

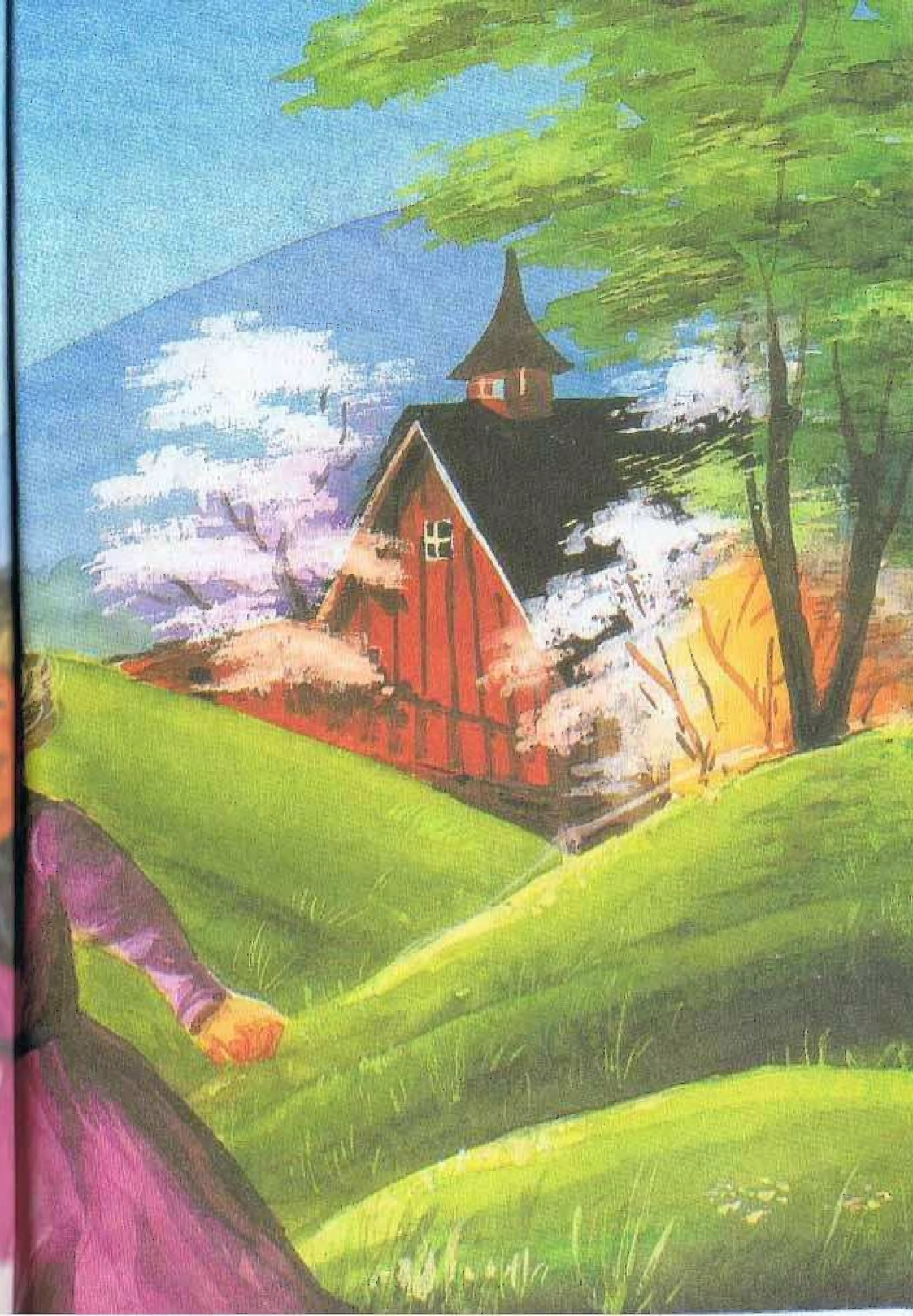
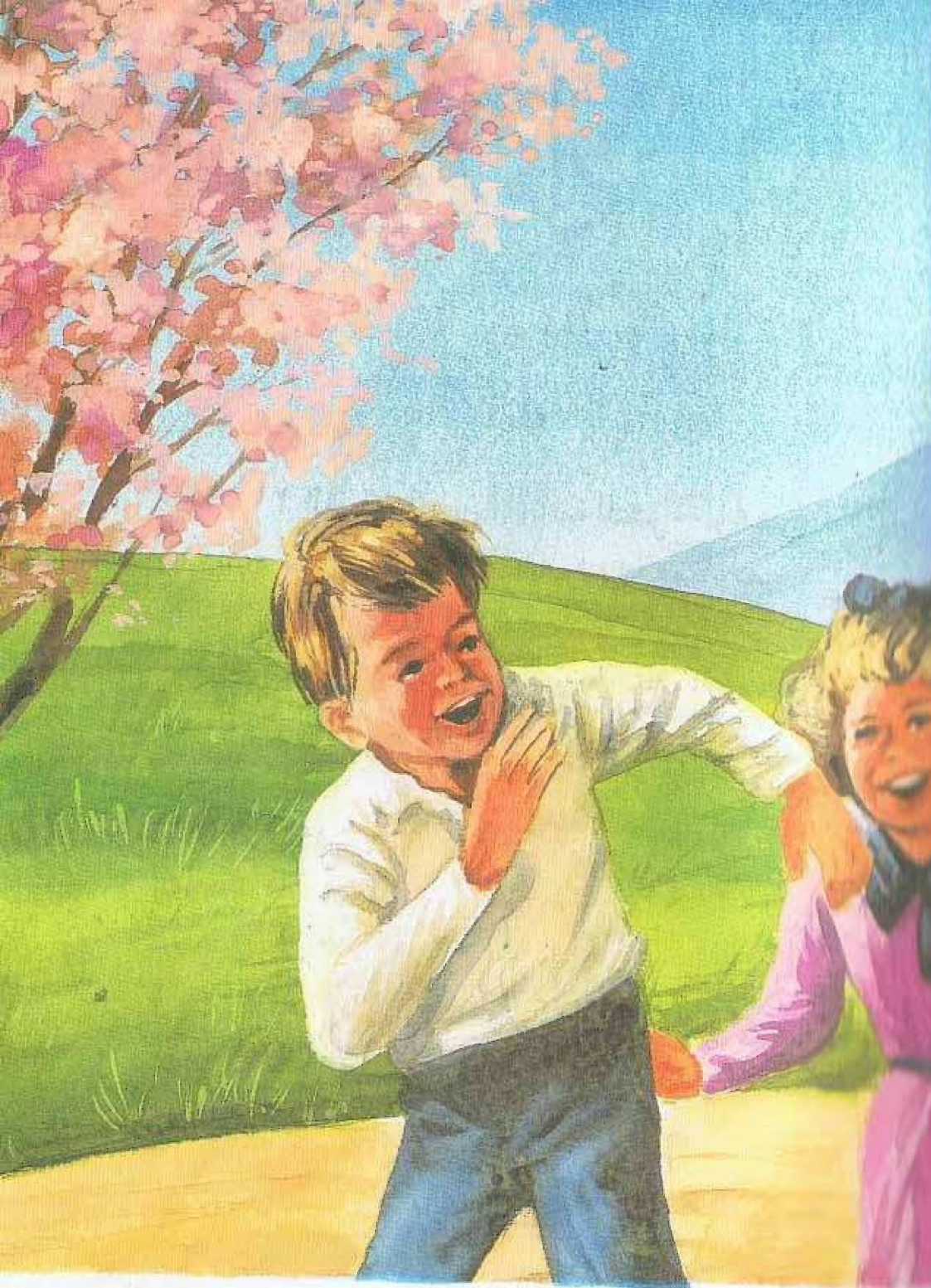
# حافيت كورفيلك



الروايات المشهورة









# دقيق كبرفيلك



تأليف : تشارلز ديكنز  
أعدّها بالعربية : شوقي رياض السنورسي  
رسوم : نسيم ج. نصيف

مكتبة لبنات

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© ٢١٩٩ الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه  
أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٧٢ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ٩ - ٠٠٧٢ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة

## الفصل الأول

ذات مساءً باردٍ تَلَفُّهُ العَوَاصِفُ ، كَانَتْ أُمِّي تَوْشِكُ أَنْ تَضَعَ  
مَوْلُودَهَا الْأَوَّلَ . وَكَانَ أَبِي قَدْ مَاتَ مِنْذُ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ .

قَالَتْ أُمِّي لِخَادِمَتِهَا « بِيغُوتِي » ، الَّتِي كَانَتْ صَدِيقَةً مُحِبَّةً  
وَوَفِيَّةً لَنَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ : « ثَمَّةَ دَقَّ عَلَى الْبَابِ . تَرَى مَنْ يَكُونُ  
الطَّارِقُ ؟ »

وَمَا إِنَّ فَتَحَتْ بِيغُوتِي الْبَابَ حَتَّى انْدَفَعَتْ الْآنِسَةُ « تَرُوتُود » إِلَى  
الدَّخْلِ ، وَهِيَ تَصِيحُ قَائِلَةً : « أَيْنَ الْمَوْلُودُ ؟ » وَكَانَتْ الْآنِسَةُ تَرُوتُودُ  
هِيَ عَمَّةُ وَالِدِي .

حَفَلْتُ أُمِّي مِنْ صَوْتِهَا الْمُرْتَفِعِ الْحَادِّ ، لَكِنَّهَا لَمْ تَلْبَثْ أَنْ  
أَجَابَتْ : « لَمْ يَأْتِ بَعْدُ ، لَكِنِّي أَتَوَقَّعُ مَجِيئَهُ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى . »

قَالَتِ الْعَمَّةُ لَأُمِّي : « أَنَا لَمْ أَرَكَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ أَشْهَدْ زَفَافَكَ ،

غَيْرَ أَنَّنِي أَجِدُكَ أَصْغَرَ سِنًا كَثِيرًا عَمَّا كُنْتُ أَتَخِيلُ . أَنْتِ تَبْدِينَ  
صَغِيرَةً جِدًّا يَا طِفْلَتِي ، وَيُؤَسِّفُنِي أَنْ زَوْجَكَ - الَّذِي هُوَ ابْنُ أُخِي -  
قَدْ مَاتَ وَتَرَكَكَ تُصَارِعِينَ الْحَيَاةَ بِمُفْرَدِكَ فِي هَذِهِ السَّنِ الْمُبَكِّرَةِ !  
لَكِنْ أَرْجُو أَلَّا تَسْتَسْلِمِي لِلْيَأْسِ ، فَقَدْ يَمُنُّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِطِفْلَةٍ  
جَمِيلَةٍ ، عِنْدِيذٍ سَوْفَ أَتَكْفَلُ أَنَا بِتَنْشِئَتِهَا وَرِعَايَتِهَا ، لِأَنَّنِي أَحِبُّ  
الْفَتَيَاتِ . »

قَالَتْ أُمِّي الَّتِي بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالْأَمِّ الْخَاضِ : « أَشْكُرُكَ . » ثُمَّ  
اسْتَأْذَنْتْ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى حُجْرَتِهَا الْخَاصَّةِ .

اسْتَلَقْتُ الْعَمَّةَ فِي مَقْعَدِهَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَمَا إِنَّ رَأَتْ الطَّبِيبَ  
خَارِجًا مِنْ حُجْرَةِ النَّوْمِ حَتَّى وَثَبَتْ قَائِلَةً : « هَلْ أَتَى الْمَوْلُودُ ؟ »

« أَجَلٌ . »

« بِنْتُ أُمٍّ وَلَدَتْ ؟ »

« وَلَدَتْ . »

وَهُنَا انْتَفَضَتِ الْآنِسَةُ تَرُوتُودُ صَائِحَةً : « لَمْ أَكُنْ أَرِيدُهُ وَلَدًا !  
فَأَنَا لَا أَحِبُّ الْأَوْلَادَ . » وَأَسْرَعَتْ تَغَادِرُ الْمَنْزَلَ غَاضِبَةً .

كُنْتُ أَنَا ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي لَمْ تَرَعْ بَ فِيهِ الْعَمَّةُ ، وَاسْمِي



وَمَرَّتِ السَّنُونَ ، وَبَلَغْتَ السَّادِسَةَ مِنْ عُمْرِي . وَحَتَّى ذَلِكَ  
الْحِينَ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ فِي حَيَاتِي سِوَى شَخْصَيْنِ : أُمِّي ، وَخَادِمَتِنَا  
يِغُوتِي وَكَنتُ جِدًّا أَحِبُّهُمَا ، وَكَانَتْ يِغُوتِي عَطُوفًا شَدِيدَةً الْحَدَبِ  
عَلَيَّ . وَهَكَذَا عِشْنَا مَعًا حَيَاةً هَانِئَةً سَعِيدَةً .

كَنتُ أَذْهَبُ لِلصَّلَاةِ مَعَ أُمِّي كُلَّ أُسْبُوعٍ ، وَذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ  
عَائِدَانِ إِلَى الْبَيْتِ اسْتَوْقَفَنَا رَجُلٌ ذُو شَعْرٍ أَسْوَدَ كَثِيفٍ . وَلَقَدْ  
شَعَرْتُ إِزَاءَهُ بِالْخَوْفِ وَالْكَرَاهِيَةِ مِنْذُ الْوَهْلَةِ الْأُولَى .

ابْتَسَمَ الرَّجُلُ لِأُمِّي قَائِلًا : « عِمِّي صَبَاحًا ، يَا سَيِّدَةُ كُورْفِيلْد . »

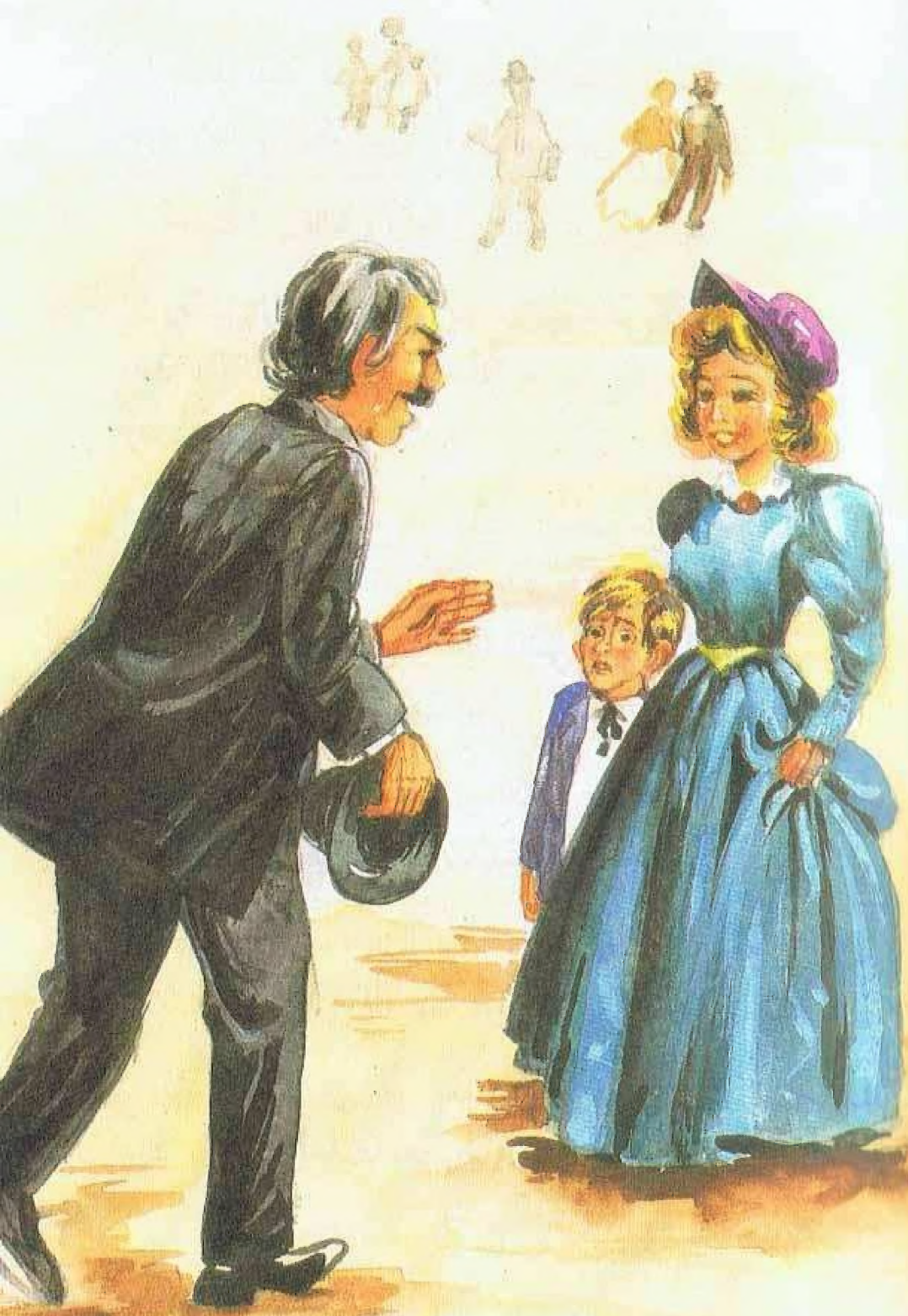
أَجَابَتْ : « عِمَّ صَبَاحًا ، يَا سَيِّدُ مَرْدِسْتُون . »

« أَرْجُو أَنْ تَكُونِي عَلَى مَا يُرَامُ . »

« أَشْكُرُكَ ، يَا سَيِّدُ مَرْدِسْتُون . »

وَتَطَّلَعَ الرَّجُلُ إِلَيَّ مُبْتَسِمًا ، غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَبَادِلْهُ الْابْتِسَامَ .

وَرَبَّتْ عَلَى رَأْسِي قَائِلًا لِأُمِّي : « هَذَا هُوَ ابْنُكَ الصَّغِيرُ  
« دافيد » ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ » فَأَشَحْتُ بِوَجْهِي عَنْهُ فِي نَفْوَ .





عِنْدِي بَدَتْ عَلَى مُحْيَاةِ سِمَاءِ الْغَضَبِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ  
عَاوَدَ الْإِتِسَامَ ، وَهُوَ يَقُولُ : « هَلْ تَسْمَحِينَ لِي بِزِيَارَتِكَ ؟ »

أَجَابَتْ أُمِّي قَائِلَةً : « أَجَلْ ، بِالتَّأَكِيدِ . »

وَهَكَذَا زَارَنَا السَّيِّدُ مِرْدِسْتُونِ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ تَكَرَّرَتْ زِيَارَتُهُ لَنَا بَعْدَ  
ذَلِكَ . وَكَانَتْ أُمِّي تَزْدَادُ تَعَلُّقًا بِهِ بَعْدَ كُلِّ زِيَارَةٍ ، فِي حِينِ  
ازْدَدْتُ أَنَا وَبِغُوتِي نَفُورًا مِنْهُ .

وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَسَابِيعَ ، قَبِلْتُ الدَّهَابَ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى بَلَدَةٍ  
« لُويستوفت » حَيْثُ كَانَ يَعْتَزِمُ زِيَارَةَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ . عَلَى أَنَّي لَمْ  
أَقْبَلْ دَعْوَتَهُ تِلْكَ حَبًّا فِي رُفْقَتِهِ ، لَكِنِّي كُنْتُ أَتَوَقَّعُ إِلَى رُؤْيَةِ تِلْكَ  
الْبَلَدَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تَقَعُ قُرْبَ الْبَحْرِ .

قَالَ لَهُ أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ التَقَى بِهِمْ هُنَاكَ : « يَقُولُونَ إِنَّ  
صَدِيقَتَكَ ، السَّيِّدَةَ كُورْفِيلْدَ ، سَيِّدَةٌ بَارِعَةٌ الْجَمَالِ . »

قَاطَعَهُ مِرْدِسْتُونِ قَائِلًا : « صَهْ ؛ فَقَدْ يَفْطِنُ الصَّبِيُّ إِلَى مَغْزَى  
كَلَامِكَ ، وَقَدْ يُفْضِي لَأُمِّهِ بِمَا تَقُولُ . » وَفَهَّقَهُ الْحَاضِرُونَ طَوِيلًا .

وَلَقَدْ أَفْضَيْتُ إِلَى أُمِّي بِمَا سَمِعْتَهُ بِالْفِعْلِ . وَأَشْرَقَ وَجْهُهَا  
آنَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّهَا أَجَابَتْ وَهِيَ تَضْحَكُ فِي جَذَلٍ : « لَا تُرَدِّدْ هَذَا

الْهَرَاءَ ثَانِيَةً ! »

وَلَمْ أَعِ حِينَئِذٍ شَيْئًا مِمَّا يَدُورُ بِخَلْدِهَا ، فَقَدْ كُنْتُ فِي السَّادِسَةِ  
مِنْ عُمْرِي ، وَكَانَ يَسْتَعْصِي عَلَيَّ فَهْمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ .

وَمَرَّتْ بَضْعَةُ شُهُورٍ ، وَفَاجَأَتْنِي أُمِّي ذَاتَ يَوْمٍ بِقَوْلِهَا : « هَلْ  
تُحِبُّ الدَّهَابَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ؟ »

أَجَبْتُ : « أَجَلْ ، بِالتَّأَكِيدِ . »

أَرَدَفَتْ قَائِلَةً : « إِذَنْ تَسْتَطِيعُ السَّفَرَ فِي رَحْلَةٍ إِلَى هُنَاكَ . »

« وَلَكِنْ أَيُّ بَلَدَةٍ سَوْفَ نَقْصِدُ ؟ »

أَجَابَتْنِي : « لَنْ أُرَافِقَكَ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، يَا دَاقِيدَ ، بَلْ سَتَذْهَبُ فِي  
صُحْبَةِ بِيغُوتِي إِلَى بَلَدَةٍ « يَارْمُوث » الَّتِي تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ .  
إِنَّ أَخَا بِيغُوتِي يَقْطُنُ هُنَاكَ ، وَسَوْفَ تَنْزِلَانِ ضَيْفَيْنِ عَلَيْهِ . أَلَا  
تَرَوْقُكَ مِثْلُ هَذِهِ الرَّحْلَةِ ؟ »

« بَلْ تَرَوْقُنِي بِالتَّأَكِيدِ ، وَلَكِنْ لِمَاذَا لَا تَأْتِينَ مَعَنَا ؟ »

« لَنْ أَسْتَطِيعَ الْآنَ شَرْحَ السَّبَبِ ، وَلَكِنَّكَ سَتَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ  
فِيمَا بَعْدُ . »



وَهَكَذَا ذَهَبَتْ مَعَ بِيغُوتِي إِلَى بَلَدَةِ « يَارْمُوثَ ». وَهُنَاكَ أَعْجَبْتُ  
كَثِيرًا بِمَنْزِلِ شَقِيقَتِهَا ، السَّيِّدِ بِيغُوتِي ، الَّذِي كَانَ مُصَمَّمًا عَلَى  
هَيْئَةٍ قَارِبٍ . وَكَانَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي صَيَّادًا شَهْمًا كَرِيمًا طَيِّبَ الْقَلْبِ ،  
أَفْسَحَ فِي مَنْزِلِهِ ذَاكَ مَكَانًا لِسُكْنَى ثَلَاثَةِ أَفْرَادٍ مِنْ عَائِلَاتِ أَصْدِقَائِهِ ،  
الَّذِينَ لَقُوا حَتْفَهُمْ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ . وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ : هَامُ ابْنُ  
صَيَّادٍ مُتَوَفَّى ، وَإِمِيلِي ابْنَةُ أُخْتِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي الَّتِي مَاتَ أَبَوَاهَا ،  
وَالسَّيِّدَةُ غَمِيدَجُ زَوْجَةُ صَيَّادٍ قَضَى نَحْبَهُ كَذَلِكَ .

كَانَتْ إِمِيلِي طِفْلَةً جَمِيلَةً جَذَبَتْ مَشَاعِرِي ، وَسَرَّعَانَ مَا  
أَصْبَحْنَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ . وَكُنَّا نَنْزِلُ إِلَى الْبَحْرِ مَعًا ، ثُمَّ نَخْرُجُ  
إِلَى الشَّاطِئِ لِنَجْلِسَ عَلَى الرَّمَالِ ، وَنَتَطَلَّعُ إِلَى الْأَمْوَاجِ الْبَعِيدَةِ .

قَالَتْ لِي إِمِيلِي ذَاتَ يَوْمٍ : « إِنِّي أَخْشَى الْبَحْرَ . أَلَا تَخْشَاهُ  
أَنْتَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَبْتُهَا بِالنَّفْيِ ، غَيْرَ أَنَّني لَمْ أَكُنْ صَادِقًا فِيمَا قُلْتُ .

قَالَتْ : « لَقَدْ صَرَخَ الْبَحْرُ وَالِدِي يَوْمًا مَا ! »

قُلْتُ فِي أَسَى : « أَعْرِفُ ذَلِكَ . »

« وَبَعْدَ مَوْتِ أَبِي ، قَامَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي بِرِعَايَتِي . إِنَّهُ رَجُلٌ عَطُوفٌ

طَيِّبُ الْقَلْبِ ، وَأَنَا أَحِبُّهُ كَثِيرًا . »

« إِنَّهُ كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ ، وَلَقَدْ أَحْبَبْتُهُ أَنَا أَيْضًا . »

قَالَتِ الْفَتَاةُ فِي حَمَاسَةٍ ، وَهِيَ تَتَطَلَّعُ إِلَى بَعِيدٍ : « سَوْفَ أَشْبُ  
فِي غُضُونِ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ ، وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ أَعْمَلُ بِجِدٍّ وَمُثَابَرَةٍ لِأَقْدَمِ  
الْمَالِ لِهَذَا الرَّجُلِ ، وَأَهْدِيَهُ الْمَلَابِسَ الْغَالِيَةَ الثَّمِينَةَ ؛ وَفَاءً لِبَعْضِ  
دَيْنِهِ عَلَيَّ . »

أَمَّا السَّيِّدَةُ غَمِيدَجُ ، فَلَمْ تَكُنْ وَفِيَّةً وَلَا مُتَّفَائِلَةً كإِمِيلِي ؛ بَلْ  
كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْاِكْتِثَابُ ، وَكَانَتْ دَائِمَةً التَّيَرُّمَ وَالشُّكُوى .  
وَكُلَّمَا غَادَرَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي الْبَيْتَ ، أَخَذَتْ تَتَدَبَّ حَظَّهَا ، وَتَوَلَّوْلُ  
وَتَقُولُ : « أَيْنَ ذَهَبَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي ؟ لَقَدْ خَرَجَ وَتَرَكَنِي نَهْبًا  
لِلْوَحْدَةِ وَالْإِنْفِرَادِ . لَا صَدِيقَ لِي أَبَدًا فِي هَذَا الْعَالَمِ ! لَا أَحَدَ يَهْتَمُّ  
بِي عَلَى الْإِطْلَاقِ ! »

وَلَمْ تَكُنِ السَّيِّدَةُ عَلَى حَقٍّ فِيمَا تَزْعُمُهُ ، فَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي  
نِعَمَ الصَّدِيقِ الْمُخْلِصِ الَّذِي يَحْدُبُ عَلَيْهَا ، وَيَرْعَى كُلَّ شُؤْنِهَا .  
عَلَى أَنَّ جُحُودَهَا لَمْ يَفْتُ فِي عَضْدِهِ ، أَوْ يُبَدِّلُ شَيْئًا مِنْ مَسْلَكِهِ  
النَّبِيلِ إِزَاءَهَا ، وَكَانَ يَلْتَمِسُ لَهَا الْأَعْدَارَ بِأَنَّ تِلْكَ هِيَ طَبِيعَتُهَا  
الَّتِي جَبَلَتْ عَلَيْهَا .



وَانْقَضَتِ الْأَيَّامُ السَّعِيدَةُ فِي يَارْمُوثَ كَمَا تَنْقُضِي كُلُّ الْأَشْيَاءِ  
الْبَهِيْجَةِ الْحُلُوَّةِ سِرَاعًا ، وَمَلَكَتْنِي الْكَابَةُ وَأَنَا أَغَادِرُ الْمَكَانَ . لَمْ أَكُنْ  
أَرْغَبُ فِي الْإِفْتِرَاقِ عَنِ السَّيِّدِ بِيْغُوتِي وَهَامَ وَالسَّيِّدَةِ غَمِيْدُجَ ، كَمَا  
شَعَرْتُ بِحُزْنٍ بَالِغٍ لِفِرَاقِي إِمِيلِي .

قُلْتُ لَصَدِيقَتِي الصَّغِيرَةِ وَأَنَا أَهْمُّ بِالرَّحِيلِ : « وَدَاعًا يَا إِمِيلِي !  
وَأِنْ كُنْتُ لَا أَرْغَبُ فِي فِرَاقِكَ . »

« وَدَاعًا يَا دَافِيدُ ! سَوْفَ أَفْتَقِدُكَ كَثِيرًا . »

« وَأَنَا كَذَلِكَ . سَوْفَ أَكْتُبُ لَكَ يَا إِمِيلِي . »

وَبَدَأْتُ رَحْلَةَ الْعَوْدَةِ مَعَ بِيْغُوتِي وَأَنَا فِي كَرْبٍ وَضِيقٍ . وَلَكِنْ  
عِنْدَمَا لَاحَ مَنْزِلُنَا عَنْ بَعْدٍ ، انْقَشَعَتِ الْغَمَّةُ عَنْ صَدْرِي ، وَشَعَرْتُ  
بِشَيْءٍ مِنَ الْإِرْتِيَاحِ . وَمَا إِنْ وَطِئْتُ أَقْدَامُنَا أَرْضَ الْحَدِيقَةِ حَتَّى  
صَبَحْتُ قَائِلًا فِي حُبُورٍ : « هَا نَحْنُ أَوْلَاءُ قَدْ عُدْنَا أَخِيرًا ، يَا بِيْغُوتِي .  
كَمْ سَتَكُونُ أُمِّي مَسْرُورَةً بِذَلِكَ ! » غَيْرَ أَنَّ بِيْغُوتِي لَزِمَتْ الصَّمْتَ .

وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ فَتَحَتِ الْبَابَ خَادِمَةً جَدِيدَةً ، فَانْدَفَعَتْ إِلَى  
الدَّاخِلِ وَلَكِنَّ الْبَيْتَ بَدَأَ مُوَحِّشًا خَالِيًا .

وَبَادَرْتُ بِالسُّؤَالِ : « أَيْنَ أُمِّي ؟ أَيْنَ ذَهَبَتْ وَهِيَ تَعْلَمُ بِقُدُومِي

الْيَوْمَ ، وَتَعْرِفُ لَهْفَتِي لِلْقِيَاهَا ؟ »

أَجَابَتْ بِيْغُوتِي : « تَمَهَّلْ ، فَسَوْفَ تَوْضَحُ لَكَ كُلُّ شَيْءٍ حِينَ  
وُصُولِهَا . »

صَرَخْتُ قَائِلًا : « لَا ، بَلْ أَنْتِ الَّتِي سَتَوْضِحِينَ الْآنَ كُلَّ  
شَيْءٍ ! أَيْنَ أُمِّي ؟ »

لَبِثْتُ هُنَيْهَةً وَقَدْ عَشِينِي رُغْبٌ هَائِلٌ ، ثُمَّ أَرْدَقْتُ فِي أَنْفَاسٍ  
مَتَهَدِّجَةٍ : « هَلْ مَاتَ مِثْلَمَا مَاتَ أَبِي ؟ »

صَاحَتْ بِيْغُوتِي ، وَهِيَ تَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهَا : « لَا ، لَا ! إِنَّهَا  
لَمْ تَمُتْ . »

« مَا خَطْبُهَا إِذَا ؟ أَخْبِرِينِي فِي الْحَالِ . »

« لَقَدْ ... لَقَدْ تَزَوَّجَتْ . وَهِيَ الْآنَ فِي نَزْهَةٍ مَعَ زَوْجِهَا - أَبِيكَ  
الْجَدِيدِ . »

سَأَلْتُهَا : « وَمَنْ يَكُونُ هَذَا الزَّوْجُ ؟ أَهُوَ ... ؟ »

« أَجَلْ ، إِنَّهُ هُوَ . إِنَّهُ السَّيِّدُ مِرْدِسْتُون . وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّكَ  
الْآنَ : السَّيِّدَةُ مِرْدِسْتُون . »



## الفصل الثاني

ذَهَبْتُ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِي ، وَدَفَنْتُ وَجْهِي فِي غِطَاءِ الْفِرَاشِ ،  
وَأَخَذْتُ أَنْتَحِبُ . كَانَ نَشِيجِي يَصْدُرُ خَافِتًا مِنْ تَحْتِ الْمَلَاءَةِ ،  
وَلَمْ تَلْبَثْ أُمِّي أَنْ أَقْبَلَتْ وَمَعَهَا بِيغُوتِي ، وَقَالَتْ : « مَا خَطْبُكَ  
يَا دَاوِيد ؟ »

أَجَبْتُ مِنْ بَيْنِ زَفَرَاتِي : « لَا أَسْتَطِيعُ الْإِفْصَاحَ عَمَّا بِي . »

وَالْتَفَتَتْ أُمِّي إِلَى بِيغُوتِي قَائِلَةً فِي حِدَّةٍ : « أَنْتِ الَّتِي فَعَلْتَ  
بِالصَّبِيِّ هَذَا . مَاذَا قُلْتَ لَهُ ؟ »

أَجَابَتِ الْفَتَاةُ : « لَسْتُ أَنَا الَّتِي فَعَلْتُ بِهِ هَذَا ، وَلَكِنْ ثَمَّةُ  
شَخْصًا آخَرَ ، يَا سَيِّدَةَ كُوبْرِفِيلْد . »

عِنْدَئِذٍ ظَهَرَ السَّيِّدُ مِرْدِسْتُونُ وَهُوَ يَتَوَعَّدُ بِصَوْتٍ غَاضِبٍ حَادٍّ :  
« يَاكَ أَنْ تُكَرَّرِي مَا قُلْتِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، يَا بِيغُوتِي ! »

سَأَلَتِ الْفَتَاةُ فِي دَهْشَةٍ : « مَاذَا قُلْتَ ، يَا سَيِّدُ مِرْدِسْتُون ؟ ! »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « لَقَدْ خَاطَبْتُ زَوْجَتِي بِقَوْلِكَ : « يَا سَيِّدَةُ  
كُوبْرِفِيلْد » ، فِي حِينِ أَنَّهَا الْآنَ السَّيِّدَةُ مِرْدِسْتُونُ لَا السَّيِّدَةُ  
كُوبْرِفِيلْد . أَحَذَّرُكَ مِنَ الْوُقُوعِ ثَانِيَةً فِي هَذَا الْخَطَأِ ! »

قَالَتِ الْفَتَاةُ ، وَهِيَ تُغَادِرُ الْحُجْرَةَ : « سَمِعًا وَطَاعَةً ، يَا سَيِّدُ  
مِرْدِسْتُون . »

وَالْتَفَتَ السَّيِّدُ مِرْدِسْتُونُ إِلَى أُمِّي قَائِلًا : « لَقَدْ أَفْسَدْتَ دَاوِيدَ  
بِتَدْلِيلِكَ يَا عَزِيزَتِي كَلَارَا ، فَأُضْحَى مِثْلَ فَتَاةٍ هَشَّةٍ رَقِيقَةٍ ! إِنَّهُ لَيْسَ  
جَسُورًا وَلَا قَوِيًّا كَالْغُلَّامَانِ الَّذِينَ فِي مِثْلِ سِنِّهِ . دَعِينِي أَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ  
عَلَى انْفِرَادٍ . »

أَجَابَتْ أُمِّي ، وَهِيَ تُغَادِرُ الْحُجْرَةَ كَذَلِكَ : « لَيْكُنْ مَا تُرِيدُ ،  
يَا عَزِيزِي . »

وَتَرَكَتْنِي مَعَ الرَّجُلِ مُنْفَرِدَيْنِ ، فَأَخَذْتُ أُرْتَعِدُ فَرَقًا . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ  
خَاطَبَنِي قَائِلًا : « لَا تَتَوَقَّعْ مِنِّي أَنْ أَذِلُّكَ كَمَا تُذِلُّكَ أُمُّكَ ؛  
فَأَنْصِتْ إِلَيَّ مَا سَأَقُولُ . »

أَجَبْتُ وَأَنَا أَنْتَفِضُ : « أَمْرُكَ ، يَا سَيِّدُ مِرْدِسْتُون . »

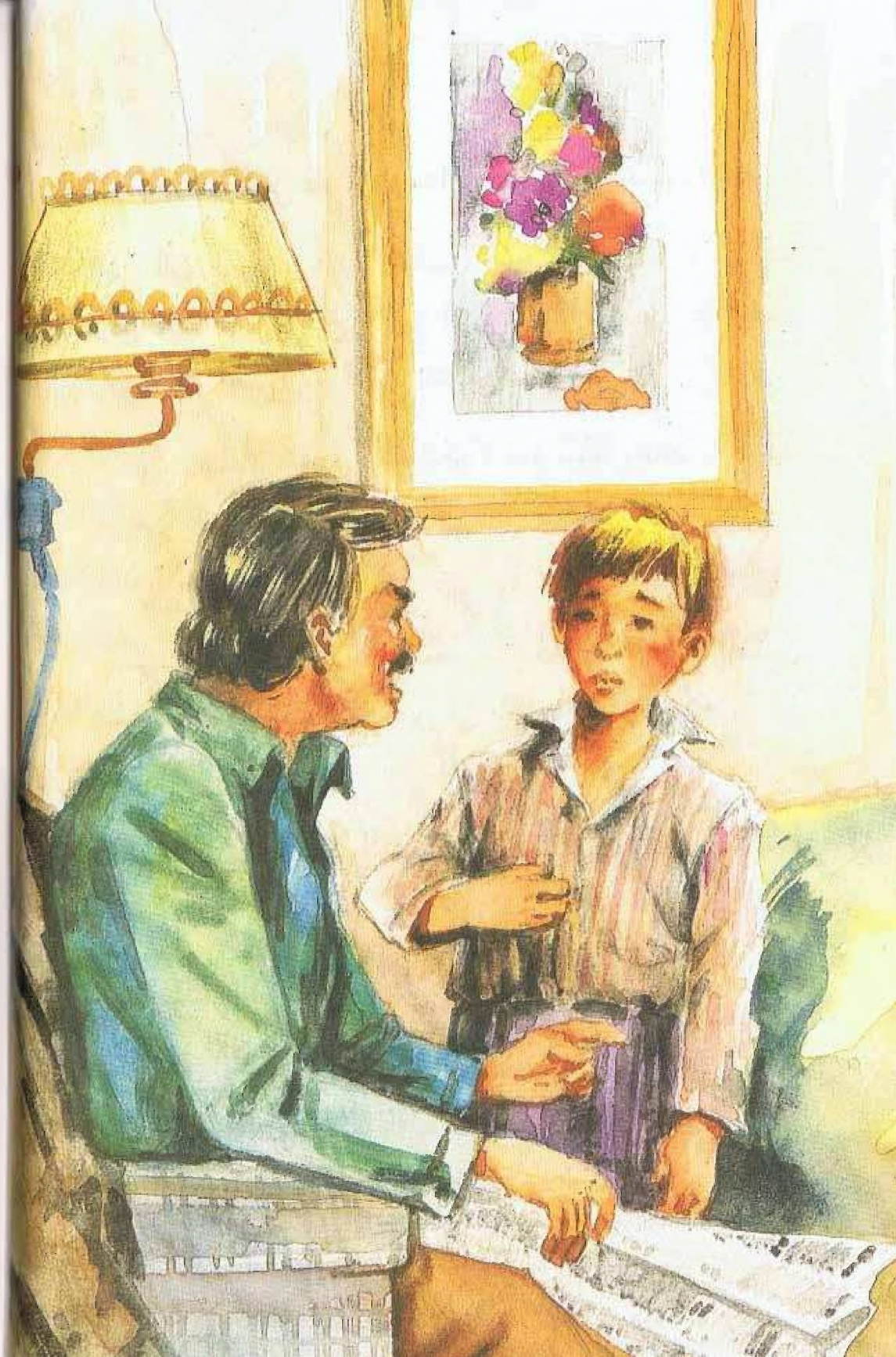


« عِنْدَمَا يُخْطِئُ كُلِّي أَوْ جَوَادِي ، فَإِنِّي أَضْرِبُهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا .  
وَأَنَا أَحْسُ فَيْكَ الْآنَ نَزْعَةً سَيِّئَةً . لَقَدْ تَزَوَّجْتُ مُؤَخَّرًا بِأَمِّكَ ، وَأَرَاكَ  
غَاضِبًا لِذَلِكَ ؛ لِذَا أَنْصَحُكَ بِأَلَّا تَسْتَرْسِلَ فِي هَذِهِ الْمَشَاعِرِ السَّيِّئَةِ  
وَالَا سَأَوْقِعْ بِكَ عِقَابًا صَارِمًا ! وَلَسَوْفَ أَضْرِبُكَ حِينَئِذٍ فِي قَسْوَةٍ  
وَعَنْفٍ . هَلْ تَفْهَمُ مَا أَقُولُ ؟ »

أَجَبْتُ فِي يَأْسٍ وَاسْتِسْلَامٍ : « أَجَلْ ، يَا سَيِّدَ مِرْدِسْتُون .  
أَرَدَفَ الرَّجُلُ بِصَوْتِهِ الْأَجَشِّ : « يَسْرُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ ذَلِكَ .  
وَالآنَ ، هَيَّا مَعِيَ . » وَذَهَبْنَا مَعًا إِلَى أُمِّي حَيْثُ تَنَاوَلْنَا طَعَامَ الْعِشَاءِ .  
وَمَا إِنَّ فَرَعْنَا مِنَ الْعِشَاءِ حَتَّى دَلَفْتُ إِلَى الْحُجْرَةِ امْرَأَةً ذَاتَ  
شَعْرٍ أَسْوَدَ ، وَوَجْهٍ صَارِمٍ الْمَلَامِحِ ، وَنَظَرْتُ إِلَيَّ فِي حِدَّةٍ . وَكَانَتْ  
شَقِيقَةَ السَّيِّدِ مِرْدِسْتُون ، وَكَانَتْ عَانِسًا لَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدُ ، وَإِنْ بَدَأَ لِي  
أَنْ قِطَارَ الزَّوْاجِ قَدْ فَاتَهَا .

قَالَتِ الْآنِسَةُ مِرْدِسْتُون وَهِيَ تُشِيرُ إِلَيَّ : « يَبْدُو أَنَّهُ عَلَامٌ سَيِّئُ  
الطَّبَاعِ . »

كَانَ صَوْتُهَا حَادًّا أَجَشًّا كَصَوْتِ أَخِيهَا . وَلَقَدْ دَهَشْتُ لِبَقَاءِهَا  
مَعَنَا فِي الْبَيْتِ . وَكَانَتْ تَسْتَيْقِظُ مُبَكَّرًا فِي الصَّبَاحِ ، لِتَجُوسَ فِي





أَنْحَاءِ الدَّارِ ، وَتَتَفَحَّصَ كُلُّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهَا فِي جُرْأَةٍ غَرِيبَةٍ .

وَذَاتَ صَبَاحٍ قَالَتْ لِأُمِّي : « سَوْفَ أَتَوَلَّى أَنَا إِدَارَةَ الْمَنْزِلِ مِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا ، يَا كَلَارَا ! »

لَمْ يَرُقْ هَذَا الْأَمْرُ بِالطَّبْعِ لِوَالِدَتِي ، لَكِنَّهَا لَمْ تَجْزُرْ عَلَى الْإِعْتِرَاضِ ، بَيِّنَةً أَنَّهَا لَمْ تَلْبَثْ أَنْ شَكَتْ ذَاتَ يَوْمٍ لِزَوْجِهَا قَائِلَةً : « إِنَّ أَخْتُكَ تَسْتَأْثِرُ بِكُلِّ شُؤْنِ الْمَنْزِلِ ، وَتَتْرَكُنِي نَهَبًا لِلْكَمَدِ وَالْفَرَاغِ ! أَنَا لَا تُعْجِنُنِي هَذِهِ الْحَالُ ! »

وَسَمِعَتِ الْآنِسَةُ مَرْدِسْتُونَ ذَلِكَ فَاسْتَشَاطَتْ غَضَبًا ، وَهَدَّدَتْ بِتَرْكِ الْمَنْزِلِ فِي الْحَالِ ؛ لَكِنْ أَخَاها هَذَا مِنْ نَائِثَتِهَا قَائِلًا : « لَا تَأْبَهِهِ لِمَا قَالَتْهُ زَوْجَتِي ، فَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ تَحْمُلَ مَسْئُولِيَّاتِ الْبَيْتِ . أَنْتِ الَّتِي سَتُدِيرِينَ الْمَنْزِلَ بِمُفْرَدِكَ . »

وَالْتَفَتَتْ إِلَى أُمِّي صَائِحًا فِي غَضَبٍ : « كُفِّي عَنْ هَذِهِ الْحِمَاقَةِ ، يَا كَلَارَا ! »

وَبَكَتْ أُمِّي طَوِيلًا ، وَلَمْ تُعَاوِدِ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ثَانِيَةً .

وَكَانَ السَّيِّدُ مَرْدِسْتُونَ يُعَاوِنُنِي فِي اسْتِدْكَارِ دُرُوسِي ، وَهِيَ الْمَهْمَةُ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ بِهَا وَالِدَتِي مِنْ قَبْلُ . إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ

أَنْ أَسْتَوْعِبَ شَرَحَ الرَّجُلِ كَمَا كُنْتُ أَفْهَمُ شَرَحَ أُمِّي ؛ ذَلِكَ لِأَنَّنِي كُنْتُ أَرْهَبُهُ وَأُخْشَاهُ !

وَذَاتَ مَسَاءٍ بَادَرَ أُمِّي بِقَوْلِهِ : « إِنَّ ابْنَكَ هَذَا غِلَامٌ غَيْبِيٌّ عَاجِزٌ عَنِ التَّعْلُمِ ، وَأَرَى أَنْ نُعَاقِبَهُ بِحِرْمَانِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْعِشَاءِ . » وَكَانَ عِشَائِي عَادَةً شَرِيبَةً خَبِيزَ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، رَفَعَ السَّيِّدُ مَرْدِسْتُونَ عَصَاهُ فِي وَجْهِ قَائِلًا : « تَذَكَّرْ دُرُوسَكَ السَّابِقَةَ ، وَإِلَّا هَشَمْتُ عِظَامَكَ بِهَذِهِ الْعَصَا ! »

وَحَاوَلْتُ أَنْ أَتَذَكَّرَ مَا قَرَأْتُهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ صَاحَ غَاضِبًا : « أَنْتِ وَلَدَ كَسُولٍ أَحْمَقٍ ! هِيََا أَتَبْعُنِي مِنْ قُورِكَ ! »

وَتَبِعْتُهُ إِلَى حُجْرَتِي الْخَاصَّةِ حَيْثُ رَفَعَ عَصَاهُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ .

وَأَمْسَكَتُ بِيَدِهِ قَائِلًا : « أَرْجُوكَ ، يَا سَيِّدُ مَرْدِسْتُونَ ، أَرْجُوكَ أَلَّا تَضْرِبَنِي ! لَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أَتَعَلَّمَ عَلَى يَدَيْكَ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ . صَدَّقْنِي أَنَّنِي قَدْ حَاوَلْتُ ذَلِكَ مَرَارًا دُونَ جَدْوَى ! »

غَيْرَ أَنَّهُ طَوَّقَ رَأْسِي بِأَحْدَى ذِرَاعَيْهِ ، وَأَخَذَ يَضْرِبُنِي بِشِرَاسَةٍ وَهُوَ يَرُدُّدُ : « بَلْ سَوْفَ تَتَعَلَّمُ رَغْمًا عَنْكَ ! »



وَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَالٍ . وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ مُغِيثًا ، عَقَرْتُ يَدَهُ عَقْرَةً قَوِيَّةً .

وَتَصَاعَدْتُ حِدَّةَ غَضَبِهِ ، وَأَنْهَالَ عَلَيَّ ثَانِيَةً بِالضَّرْبِ الْمُبْرَحِ . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ خَرَرْتُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَعَادَرَ الْحَجَرَةَ ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهَا بِالْمِفْتَاحِ .

وَبَقِيتُ حَبِيسَ عُرْقَتِي وَقَفًّا طَوِيلًا ، دُونَ أَنْ تَأْتِيَ أُمِّي لِتَطْمَئِنَّ عَلَيَّ ، أَوْ تُطْلِقَ سَرَاحِي . وَكَانَ السُّكُونُ يَلْفُ الْمَنْزِلَ كَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ ! وَانْقَضَى الصَّبَاحُ ، وَأَعْقَبَهُ الْمَسَاءُ ، ثُمَّ حَلَّ اللَّيْلُ ، وَأَنَا لَا أَزَالُ حَبِيسًا .

وَعِنْدَئِذٍ سَمِعْتُ وَقَعَ خُطَوَاتِ أَعْقَبِهِ صَرِيرُ مِفْتَاحٍ يُدَارُ فِي قُفْلِ الْبَابِ ، ثُمَّ دَلَقَتِ الْآنِسَةُ مَرْدِسَتُونِ إِلَى الْحَجَرَةِ . وَمَا إِن قَدِمْتُ إِلَيَّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ طَعَامٍ حَتَّى غَادَرَتِ الْمَكَانَ دُونَ أَنْ تَنْبَسَ بَيْنَتِ شَقَةٍ . إِلَّا أَنَّهَا حَضَرَتْ ثَانِيَةً فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، وَأَذِنَتْ لِي بِالتَّجَوُّلِ فِي حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ الْخَمْسَةُ التَّالِيَّةُ عَلَى نَفْسِ الْمُنَوَّالِ ، وَلَمْ أَرْ خِلَالَهَا سِوَى الْآنِسَةِ مَرْدِسَتُونِ ، الَّتِي كَانَتْ تَحْتَفِظُ بِمِفْتَاحِ الْغُرْفَةِ فِي جَيْبِهَا ، وَتُصْرِّحُ لِي بِمَغَادَرَتِهَا حِينَ تَشَاءُ .

وَلَمْ تَلْبَثْ يَبْغُوتِي أَنْ حَضَرَتْ ذَاتَ صَبَاحٍ ، وَوَقَفْتُ خَلْفَ الْبَابِ . وَنَادَيْتُهَا فِي لَوْعَةٍ قَائِلًا : « أَهَذِهِ أَنْتِ يَا يَبْغُوتِي ؟ »

أَجَابَتْ وَهِيَ تَشْهَقُ بِالْبُكَاءِ : « أَجَلٌ ، يَا دَاوِيدَ . »

سَأَلْتُ مِنْ خِلَالِ عِبْرَاتِي : « هَلْ أُمِّي غَاضِبَةٌ مِنِّي ؟ » فَأَجَابَتِ الْفَتَاةُ بِالنَّفْيِ . وَسَأَلْتُهَا بَعْدَ بُرْهَةٍ وَجِيزَةٍ مِنَ الصَّمْتِ : « تُرَى مَا الَّذِي سَيَحْدُثُ لِي ؟ »

« سَوْفَ تُلْحَقُ بِمَدْرَسَةٍ دَاخِلِيَّةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ لَنْدَنِ . »

« مَتَى ؟ »

« سَتَبْدَأُ الرَّحِيلَ فِي صَبَاحِ الْغَدِ . هَلْ تَسْمَعُنِي ؟ »

« أَجَلٌ ، يَا يَبْغُوتِي ، أَسْمَعُكَ جَيِّدًا . »

أَرْدَقَتِ الْفَتَاةُ ، وَهِيَ تَنْتَحِبُ : « لَا تَنْسَنِي يَا دَاوِيدَ ، فَإِنَّا لَنُؤْتِسَّاكَ . سَوْفَ أُرْعَى أَمَّاكَ بِكُلِّ الْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ . »

« أَشْكُرُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي ، يَا عَزِيزَتِي يَبْغُوتِي . وَلَكِنْ أَرْجُو أَنْ تَعِدِنِي بِشَيْءٍ وَاحِدٍ : أَكْتُبِي إِلَى أَخِيكَ السَّيِّدِ يَبْغُوتِي وَإِلَى إِيمِيلِي ، وَقُولِي لَهُمَا إِنِّي مَا زِلْتُ غُلَامًا حَسَنَ الْخُلُقِ وَالسُّلُوكِ . »



« اطمئن ؛ فسوف أكتب لهما غداً بالتأكيد . »

وفي الصباح التالي ، دلفت الأنسة مردستون إلى حجرتي حيث وضعت ملابسي في صندوق ، ثم قادتني إلى غرفة أمي .

وودعتني أمي قائلة : « يؤسفني أنك لم تكن ابناً باراً ، يا دافيد . لقد أسأت إلى السيد مردستون ، كما أسأت إلي في الوقت نفسه ، لأنني أحب زوجي . »

لم أقف عندئذ على تناول إفطاري ، فقد فقدت شهيتي ، كما غلبني حزن عميق .

ولم تلبث العربة أن وصلت ، ووقفت عند مدخل البيت .

وقالت أمي ، وهم يضعون صندوقي داخل العربة : « وداعاً يا دافيد ! سوف تكون ولداً طيباً ، وسوف تعود إلى البيت عما قريب . »

وانبرت الأنسة مردستون قائلة لأمي : « دعي الغلام ينطلق إلى مدرسته ، يا كلارا . » ثم دفعت بي إلى داخل العربة بقسوة .

### الفصل الثالث

انطلقت العربة بي إلى يارموث ، وكان يقودها السيد باركر ، الذي أخذ يسألني طوال الرحلة عن أحوال بيغوتي ؛ فقد كان يرغب في الاقتران بها ، ولم تكن الفتاة قد أحسّت - حتى ذلك الحين - بمشاعره نحوها ، إذ كان يتهيّب الإفضاء بها إليها .

وفي يارموث ركبنا عربة أخرى إلى مدينة لندن . وكانت العربة غاصة بالركاب ، فلم أشعر بالراحة إلا عندما انتهت الرحلة . وفي لندن استقبلني شاب نحيل يرتدي ملابس سوداء .

سألني الشاب : « هل أنت التلميذ الجديد ؟ »

« أجل ، يا سيدي . »

« إذا هيا معي ، فلقد أتيت لأصحبك إلى مدرستك . اسمي

« مل » ، وأنا معلم في هذه المدرسة . »



قُلْتُ فِي خَشْيَةٍ وَانْكِسَارٍ : « لَكِنِّي جَائِعٌ ! هَلْ يُمَكِّنُنِي شِرَاءُ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ ؟ »

« يُمَكِّنُكَ بِالتَّأَكِيدِ . وَلَسَوْفَ نَذْهَبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَنْزِلِ وَالِدَتِي ، حَيْثُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَنَاوَلَ طَعَامَكَ . »

وَهَكَذَا ابْتَعْتُ بَعْضَ الطَّعَامِ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا مَعًا إِلَى مَنْزِلِ أُمِّي . وَكَانَ الْمَنْزِلُ صَغِيرًا رَفِيقَ الْحَالِ . وَمَا إِنِ رَأَتْ أُمُّ ابْنِهَا حَتَّى لَاحَتْ عَلَى وَجْهِهَا سِيمَاءُ السَّعَادَةِ . وَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ اسْتَرَخَيْتُ إِلَى جَانِبِ الْمِدْفَاقَةِ لِأَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ الطَّوِيلِ ، وَأَتَنَاوَلَ مَا اشْتَرَيْتُ مِنَ طَعَامٍ .

قَالَتِ الْأُمُّ لَابْنِهَا : « أَسَمِعْنَا شَيْئًا مِنْ عَزْفِكَ يَا مِْلُ . »

وَتَنَاوَلَ الشَّابُّ نَائِيَهُ ، وَشَرَعَ يَعَزِفُ بَعْضَ الْمَقْطُوعَاتِ . كَانَ عَزْفُهُ رَدِيقًا ، وَلَكِنَّ الْأُمَّ كَانَتْ تَبْتَسِمُ فِي بَهْجَةٍ وَحُبُورٍ . وَمَا إِنِ انْتَهَى الْعَزْفُ حَتَّى غَادَرْنَا الْمَنْزِلَ الصَّغِيرَ الْمُتَوَاضِعَ ، وَبَدَأْنَا سَيْرَنَا إِلَى الْمَدْرَسَةِ . وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا ، قَالَ لِي السَّيِّدُ مِْلُ : « هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ هِيَ بَيْتُكَ الْجَدِيدُ ، وَلَسَوْفَ أَطُوفُ بِكَ جَمِيعَ عُرْفِهَا . » وَدَلَفْنَا أَوَّلًا إِلَى حُجْرَةِ الْإِدَارَةِ ، وَكَانَتْ فَسِيحَةً خَاوِيَةً يَسْتَقِرُّ فِي نِهَايَتِهَا مَكْتَبٌ ضَخْمٌ . وَسَرَّعَانَ مَا اسْتَرَعَى انْتِبَاهِي لَوْحَةٍ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمَكْتَبِ

تَحْمِلُ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةَ « احْتَرَسْ ! إِنَّهُ يَعْضُ ! »

وَسَأَلْتُ مُعَلِّمِي : « وَلَكِنْ أَيْنَ الْكَلْبُ ، يَا سَيِّدُ مِْلُ ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ : « أَيُّ كَلْبٍ ؟ »

وَمَا إِنِ أَشَرْتُ إِلَى اللُّوحَةِ حَتَّى تَجَهَّمُ قَائِلًا : « هَذِهِ اللُّوحَةُ خَاصَّةٌ بِكَ ، وَيَجِبُ أَنْ تُعَلِّقَهَا مِنْ الْآنَ فَصَاعِدًا عَلَى ظَهْرِكَ ! » وَهَكَذَا حَمَلْتُ اللُّوحَةَ عَلَى ظَهْرِي فِي الصَّبَاحِ التَّالِي ، وَشَعَرْتُ بِتَعَاسَةٍ بِالْغَةِ لِذَلِكَ .

وَلَمَّا كَانَتِ الْمَدْرَسَةُ فِي إِجَازَةٍ ، فَقَدْ أَخَذْتُ أَتَجَوَّلُ بِحُرِّيَةٍ فِي رَدَاهَاتِهَا . وَرَأَيْتُ بَوَابَةً كَبِيرَةً عُلِّقَتْ عَلَيْهَا قَائِمَةٌ بِأَسْمَاءٍ عَدِيدَةٍ . وَلَقَدْ لَفَتَ نَظْرِي مِنْ بَيْنِهَا اسْمًا « سْتِيرْفُورْث » وَ « تَرَادِيلِز » ، فَشَرَعْتُ أَفَكِّرُ فِيمَنْ يَكُونُ صَاحِبًا هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ .

وَمَا إِنِ عَادَ مُدِيرُ الْمَدْرَسَةِ ، السَّيِّدُ كَرِيكَل ، عَقِبَ الْإِجَازَةِ حَتَّى قَادَنِي السَّيِّدُ مِْلُ إِلَى مَكْتَبِهِ . كَانَ ذَا عَيْنَيْنِ ضَيِّقَتَيْنِ وَوَجْهٍ شَدِيدِ الْأَحْمَرَارِ . وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ بَادَرَنِي فِي صَوْتٍ غَاضِبٍ ، وَهُوَ يَقْرَأُ أَذْنِي : « أَصْغَرَ جِدًّا ! أَنَا رَجُلٌ صَارِمٌ وَلَا أَحِبُّ الْأَوْلَادَ الْأَشْقِيَاءَ ، فَحَافِلُ أَنْ تَكُونَ وَلَدًا طَيِّبًا . »



أُجِبْتُ ، وَأَنَا أُرْتَعِدُّ مِنَ الْخَوْفِ : « سَأَكُونُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّكَ  
يَا سَيِّدِي . وَلَكِنْ لَوْ سَمَحَ سَيِّدِي . »

« ماذا ؟ »

« لَا أُرِيدُ أَنْ أَضَعَ هَذِهِ اللَّافِتَةَ عَلَى ظَهْرِي . »

صَاحَ الرَّجُلُ غَاضِبًا : « كَيْفَ تَجْرَأُ ؟ بَلْ سَتَضَعُهَا رَغْمَ أَنْفِكَ  
لَأَيَّامٍ كَثِيرَةٍ قَادِمَةٍ . وَالْآنَ ، أُغْرِبُ عَنْ وَجْهِكَ سَرِيعًا ! » وَانْتَفَضَ  
وَاقِفًا ، فَقَرَّرَتْ إِلَى خَارِجِ الْحِجْرَةِ .

كَانَ تَرَادِيلُزُ أَوَّلَ تَلْمِيزٍ يَعُودُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعُطْلَةِ ،  
وَلَقَدْ تَحَدَّثَ مَعِيَ طَوِيلًا دُونَ أَنْ يُشِيرَ إِلَى اللَّافِتَةِ الَّتِي أَحْمِلُهَا عَلَى  
ظَهْرِي ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِعْزَازِي وَإِكْبَارِي لِشَخْصِهِ حَتَّى نِهَايَةِ  
الْعُمُرِ .

ثُمَّ أَخَذَ الْفَتَيَانُ يَفِدُونَ الْوَاحِدَ تَلَوَ الْآخِرَ . وَشَرَعُوا يَضْحَكُونَ  
وَيَسْخَرُونَ مِنِّي قَائِلِينَ : « أَنْظَرُوا إِلَى هَذَا الْفَتَى الَّذِي عُلِّقَتْ لَافِتَةٌ  
إِلَى ظَهْرِهِ ! إِنَّهُ يَعْصُ مِثْلَ الْكِلَابِ ! » ، فَاضْطَرَّرْتُ إِلَى الْوَحْدَةِ  
وَالْإِعْزَالِ ، وَتَفَاقَمَ بِذَلِكَ ضَيْقِي وَتَعَاسَتِي .

وَأَخِيرًا وَصَلَ سَتِيرْفُورْثُ .

وَبَعْدَ أَنْ حَيَّانِي بَادَرَنِي سَائِلًا : « هَلْ لَدَيْكَ نُقُودٌ ، يَا كُوپِرْفِيلْدُ ؟ »  
« أَجَلٌ . »

« إِذَا أُعْطِنِي إِيَّاهَا ، وَسَوْفَ أَرْتَبُ لَكَ قَضَاءَ وَقْتٍ مُمْتَعٍ . »  
وَأَرْدَفَ وَأَنَا أَنَاوِلُهُ النُّقُودَ : « أَنْتَ تُرِيدُ إِنْفَاقَ شَيْءٍ مِنْهَا ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ؟ »

« لَسْتُ أَدْرِي . »

« بَلْ أَنْتَ تُرِيدُ ذَلِكَ بِالتَّأَكِيدِ . حَسَنٌ ، سَوْفَ أَتْبَاعُ لَكَ قِنِينَةً  
مِنَ الْعَصِيرِ وَبَعْضَ الْفَطَائِرِ . »

وَاسْتَخَفْنَا الْمَرْحُوعَيْنِ كُنَّا نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ وَنَسْمُرُ فِي الْغُرْفَةِ  
الْوَحِيدَةِ الْمُخَصَّصَةِ لِنَوْمِنَا جَمِيعًا . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبْلَغْنِي الْأَوْلَادُ  
بِأَنَّ السَّيِّدَ كَرِيكَلَ ، صَاحِبَ الْمَدْرَسَةِ ، مُدِيرَ فَاشِيلَ وَمُعَلِّمَ جَاهِلٍ ،  
فَاسْتَعْرَبْتُ ذَلِكَ الْقَوْلَ ، إِذْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْمُدْرَسِينَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا  
مِنَ الْمُثَقِّفِينَ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ فَاجَأَنَا السَّيِّدُ كَرِيكَلَ فِي أَثْنَاءِ جُلُوسِنَا فِي  
حُجْرَةِ الدَّرْسِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيَّ مَقْعَدِي قَائِلًا : « يَقُولُونَ إِنَّكَ تَعْصُ ،  
يَا كُوپِرْفِيلْدُ ! إَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْعَصَا يُمَكِّنُ أَيْضًا أَنْ تَعْصُ ! »



وَأَخَذَ يَهْزُ عَصَاهُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ هَوَى عَلَى  
جَسَدِي بِضَرْبَةٍ شَدِيدَةٍ وَهُوَ يَقُولُ : « هَلْ تَرَوْكَ هَذِهِ ؟ » ثُمَّ أَعْقَبَهَا  
بِبُضْعِ ضَرْبَاتٍ أُخَرَ ، فَصَرَخْتُ بِأَكْبَارٍ مِنَ الْغَيْظِ وَالْأَلَمِ .

كَانَ يَوْمُنَا الدَّرَاسِيُّ الْأَوَّلُ قَاتِمًا كَثِيرًا ، نَأَلْتُ فِيهِ عَصَا السَّيِّدِ  
كِرِيكَلٍ مِنْ أَجْسَادِنَا جَمِيعًا ، فِيمَا عَدَا سْتِيرْفُورْثَ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالْأَسَابِيغُ ، وَكُنْتُ أَقْصُ عَلَى سْتِيرْفُورْثَ قِصَّةً  
طَوِيلَةً كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَلَمْ يَلْبَثِ الْفَتَى أَنْ انْجَذَبَ إِلَيَّ ، وَأَصْبَحْنَا  
صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ . وَقَدْ أَحْبَبَنِي السَّيِّدُ مِثْلَ كَذَلِكَ ، فَصِرْتُ أَسْتَوْعِبُ  
دُرُوسَهُ جَيِّدًا . وَسَرَّعَانَ مَا نَزَعَ اللَّافِتَةَ عَنْ ظَهْرِي .

غَيْرَ أَنَّي مَا زِلْتُ أَذْكُرُ وَاقِعَةَ أَلِيْمَةَ جَرَتْ بَيْنَ السَّيِّدِ مِثْلٍ  
وَسْتِيرْفُورْثَ رَغَمَ تَقَادُمِ الْعَهْدِ بِهَا : فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعُطْلَةِ  
الْمَدْرَسِيَّةِ ، انْعَقَدَ شَمْلُنَا فِي قَاعَةِ الدَّرْسِ ، فَأَخَذْنَا نَلْهَوُ وَنَمْرَحُ فِي  
خِفَّةٍ وَطَيْشٍ ، وَكَانَ سْتِيرْفُورْثُ أَشَدَّنَا صَخْبًا وَضَجِيجًا .

وَفَجَاةً صَاحَ السَّيِّدُ مِثْلَ فِي غَضَبٍ قَاتِلًا : « سْتِيرْفُورْثُ ! الزِّمِ  
الْهُدُوءَ ! »

تَسَاءَلَ سْتِيرْفُورْثُ فِي بُرُودٍ : « مَنْ تَعْنِي بِهَذَا الْأَمْرَ ، يَا سَيِّدُ  
مِثْلُ ؟ »

أَجَابَ السَّيِّدُ مِثْلُ : « أَعْنِيكَ أَنْتَ يَا سْتِيرْفُورْثَ . إِنَّكَ لَفِي غَايَةِ  
الْوَقَاحَةِ ! »

قَالَ سْتِيرْفُورْثُ : « أَنَا لَسْتُ وَقِحًا ، يَا سَيِّدُ مِثْلُ ، وَإِنَّمَا أَنَا فَتَى  
كَرِيمٌ الْمُحْتَدِ ، فِي حِينِ أَنَّكَ أَنْتَ مُعَلِّمٌ فَقِيرٌ مَغْمُورٌ . وَلَقَدْ جَرَى  
الْعُرْفُ عَلَى أَنَّ السَّيِّدَ الْمُهَذَّبَ لَا يَتَوَقَّحُ عَلَى إِنْسَانٍ رَقِيقِ الْحَالِ . »

أَجَابَ السَّيِّدُ مِثْلُ عَلَى الْفُورِ : « لَسْتُ سَيِّدًا وَلَا مُهَذَّبًا  
يَا سْتِيرْفُورْثُ ! فَإِنَّ سُلُوكَكَ يَفْتَقِرُ إِلَى الْكَرَمِ وَالنُّبْلِ . أَنْتَ تُؤْذِي  
زَمِيلَكَ الطَّيِّبَ الرَّقِيقَ - كُوپِرْفِيلْدَ - الَّذِي لَا تَرْقَى أَخْلَاقَكَ  
الْوَضِيعَةَ إِلَى خُلُقِهِ الرَّفِيعِ . »

صَاحَ سْتِيرْفُورْثُ ، وَقَدْ صَعِدَ الدَّمُ إِلَى رَأْسِهِ : « أَصُمْتُ !  
أَصُمْتُ وَإِلَّا ضَرْبَتُكَ ! »

وَدَخَلَ السَّيِّدُ كِرِيكَلُ ، وَهُوَ يَرْغِي وَيَزِيدُ قَاتِلًا : « مَا هَذِهِ  
الْجَلَبَةُ ؟ مَاذَا يَجْرِي هُنَا يَا سَيِّدُ مِثْلُ ؟ »

أَجَابَ السَّيِّدُ مِثْلُ : « إِنَّ سْتِيرْفُورْثَ يَتَوَقَّحُ عَلَيَّ . »

نَظَرَ السَّيِّدُ كِرِيكَلُ إِلَى سْتِيرْفُورْثَ ، وَقَالَ فِي دَهْشَةٍ :  
« سْتِيرْفُورْثُ ؟ وَلَكِنَّهُ فَتَى كَرِيمٌ الْعُنْصُرُ ، وَأُمُّهُ سَيِّدَةٌ ثَرِيَّةٌ . أَوْ حَقًّا



تَوَقَّحْتَ عَلَى مُدَرِّسِكَ يَا سْتِيرْفُورْث ؟

أَجَابَ سْتِيرْفُورْث : « لَا ، لَقَدْ قُلْتُ إِنَّهُ فَقِيرٌ فَحَسَبْتُ ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ . »

وَالْتَفَتَ السَّيِّدُ كَرِيكَل إِلَى السَّيِّدِ مِلْ ، وَقَالَ : « هَلْ أَنْتَ فَقِيرٌ بِالْفِعْلِ ، يَا سَيِّدُ مِلْ ؟ »

أَجَابَ السَّيِّدُ مِلْ : « أَجَلْ ، يَا سَيِّدِي . »

قَالَ السَّيِّدُ كَرِيكَل : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّكَ فَقِيرٌ يَا مِلْ ! هَذَا أَمْرٌ مُؤَسِّفٌ ! فَإِنَّ جَمِيعَ الْمُدَرِّسِينَ هُنَا مِنْ عِلْيَةِ الْقَوْمِ ، وَنَحْنُ لَا نَحْبُدُ وَجُودَ فَقَرَاءِ بَيْنَنَا ! »

بُهِتَ السَّيِّدُ مِلْ ، غَيْرَ أَنَّهُ تَمَالَكَ نَفْسُهُ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْصِرَافِ .  
وَأَذِنَ لَهُ السَّيِّدُ كَرِيكَل قَائِلًا : « تَفَضَّلْ ، فَإِنَّهُ يَحْسُنُ أَنْ تَمْضِيَ الْآنَ مِنْ قُورْكَ . »

وَتَطَّلَعْنَا جَمِيعًا إِلَى السَّيِّدِ مِلْ ، وَهُوَ يَأْخُذُ نَايَهُ وَكُتْبَهُ وَيُغَادِرُ الْحِجْرَةَ . وَرَأَى عَلَيْنَا صَمْتًا ثَقِيلًا ، وَلَمْ يَرْغَبْ أَحَدٌ فِي النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ سْتِيرْفُورْث .

وَعَلِمْتُ فِيمَا بَعْدَ أَنْ السَّيِّدُ مِلْ قَدْ تَرَكَ الْمَدْرَسَةَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ .

وَكُنْتُ مِنْ أَكْثَرِ التَّلَامِيذِ حُزْنًا لِفِرَاقِهِ ، رَغِمَ الصَّدَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تُرْبِطُنِي بِسْتِيرْفُورْث ، ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُعَلِّمًا مُخْلِصًا شَدِيدَ الْحَدَبِ عَلَيَّ ، كَمَا كَانَ مُعِينًا لِي عَلَى اسْتِيعَابِ دُرُوسِي .

عَلَى أَنَّ السَّعَادَةَ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ حَلَّتْ بِي ؛ فَذَاتَ يَوْمٍ فَاجَأَنِي السَّيِّدُ بِيغُوتِي وَمَعَهُ هَامٌ بِالزِّيَارَةِ .

قَالَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي : « لَقَدْ حَضَرْنَا إِلَى لَنْدَنَ لِقَضَاءِ بَعْضِ الْمَهَامِ ، فَعَزَمْنَا عَلَى زِيَارَتِكَ . كَيْفَ حَالُكَ يَا دَافِيد ؟ »

« إِنِّي مُغْتَبِطٌ لِرُؤْيَيْتِكُمَا أَشَدَّ الْإِعْتِبَاطِ ! كَيْفَ حَالُ إِمِيلِي ؟ »

« عَلَى خَيْرٍ مَا يُرَامُ . »

« وَالسَّيِّدَةُ غَمِيدُج ؟ »

« إِنَّهَا بِخَيْرٍ . كَذَلِكَ . »

عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ هَامٌ قَائِلًا : « لَقَدْ أَحْضَرْنَا لَكَ هَدِيَّةً مِنَ الْأَسْمَاكِ الْفَاخِرَةِ . هَلْ تُحِبُّ لَحْمَ السَّمَكِ ؟ »

« أَحِبُّهُ لِلْغَايَةِ . »

وَعَمَرَنِي الْفَرَحُ لِتِلْكَ الْهَدِيَّةِ ؛ فَقَدْ كَانَ يُلَازِمُنِي الشُّعُورُ



بالجوع في تلك المدرسة .

وَفَجأةً دَلَفَ ستيرفورت إلى الحُجْرة ، وَمَا إنْ رَأَى هام والسَّيِّدَ  
بيغوتي حتَّى تَرَجَعَ قَائِلاً : « مَعذِرَةٌ لِلإِزْعَاجِ ، فَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ  
بِصُحْبَتِكَ ضَيُوقاً . »

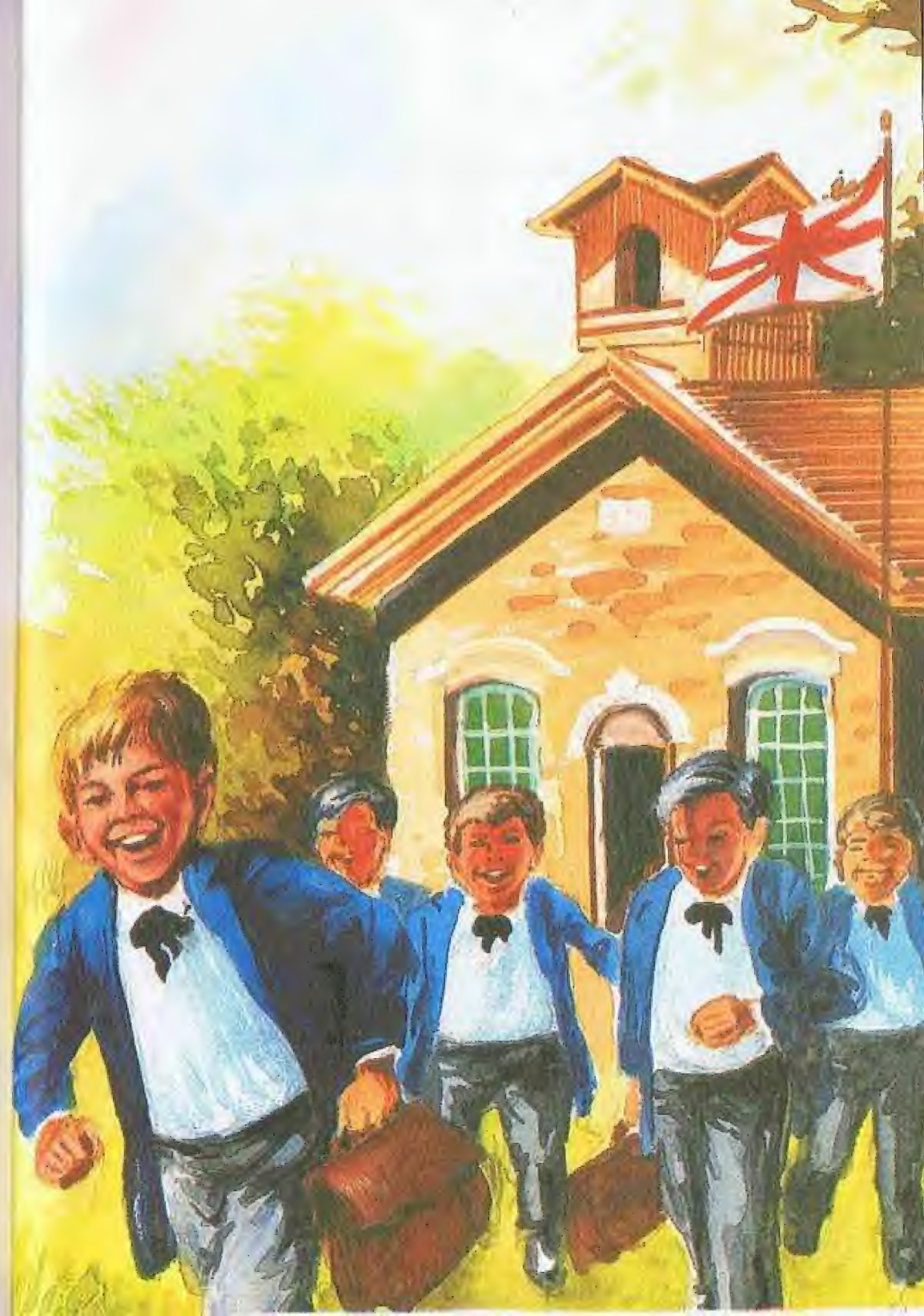
« لَيْسَ نَعْمَةً إِزْعَاجٌ . اجْلِسْ كَيَّ أَعْرِفَكَ بِهِذَيْنِ الصَّدِيقَيْنِ . هَذَا  
السَّيِّدُ بيغوتي ، وَهَذَا هام . » وَصَافَحَهُمَا ستيرفورت .  
قُلْتُ لَهُ : « إِنَّ السَّيِّدَ بيغوتي يَمْتَلِكُ مَنزَلاً قَرِيداً فِي يَارْموث ،  
عَلَى هَيْئَةٍ قَارِبٍ . »

أَجَابَ ستيرفورت فِي دَهْشَةٍ : « هَذَا شَيْءٌ مُثِيرٌ ! »

قُلْتُ لِلْسَّيِّدِ بيغوتي : « سَوْفَ أَحْضَرُ لِرِيارَتِكُمْ فِي الْقَرِيبِ  
العَاجِلِ . هَلْ يُمْكِنُنِي أَنْ أَصْطَحِبَ ستيرفورت لِيَرَى مَنزِلَكُمْ  
الْقَرِيدَ ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ الْكَرِيمُ : « سَوْفَ يُسْعِدُنَا ذَلِكَ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . »

وَكَمْ يَلَبَثُ هام والسَّيِّدُ بيغوتي أَنْ اسْتَأْذَنَا فِي الْإِنْصِرَافِ . وَأَخِيرًا  
حَلَّ الْيَوْمُ السَّعِيدُ الْمُرْتَقِبُ - أَوَّلُ أَيَّامِ إِجَازَتِنَا الْمَدْرَسِيَّةِ ، وَشَرَعَ جَمِيعُ  
التَّلَامِيذِ فِي الْعُودَةِ إِلَى بُيُوتِهِمْ .





أَجَابَتْ بِيغُوتِي ، وَهِيَ تُطَوِّقُ وَالِدَتِي بِذِرَاعَيْهَا : « لَا ، يَا حَبِيبَتِي ،  
أَنَا لَنْ أَفَارِقَكَ . »

وَتَحَدَّثْنَا عَنِ السَّيِّدِ مُرْدِسْتُون ، فَقَالَتْ بِيغُوتِي إِنَّهَا لَا تُحِبُّهُ ، لِأَنَّهُ  
لَا يُجِنِّي ، عِنْدَئِذٍ لَأَحَ الْغَضَبُ عَلَى وَجْهِ وَالِدَتِي ، وَأَنْكَرْتُ مِنْهَا  
هَذَا الْقَوْلَ ، فَلَمْ تَجِدِ الْخَادِمَةَ الْمُخْلِصَةَ مَنَاصًا مِنَ الْاعْتِذَارِ . وَهُنَا  
عَادَتْ الْإِبْتِسَامَةُ إِلَى شَفَتَيِ وَالِدَتِي ، وَهِيَ تَقُولُ : « إِنَّنِي جِدُّ  
سَعِيدَةٍ بِعَوْدَةِ دَاوَيْدَ إِلَى الْبَيْتِ . أُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ لَنَا إِحْدَى الْقِصَصِ ،  
يَا دَاوَيْدَ . »

وَقَرَأْتُ لَهُمَا قِصَّةً ، وَقَضَيْنَا مَعًا أَمْسِيَّةً سَعِيدَةً . وَلَمَّا دَقَّتِ  
السَّاعَةُ الْعَاشِرَةُ ، سَمِعْنَا صَوْتَ السَّيِّدِ مُرْدِسْتُون وَأَخْتِهِ فِي الْخَارِجِ .

عِنْدَئِذٍ قَالَتْ أُمِّي هَامِسَةً : « وَالْآنَ أَذْهَبُ إِلَى فِرَاشِكَ ، يَا دَاوَيْدَ .  
أَذْهَبُ سَرِيعًا . » وَذَهَبْتُ إِلَى فِرَاشِي دُونَ أَنْ أَرَى الرَّجُلَ .

غَيْرَ أَنَّنِي رَأَيْتُهُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي . كَانَ واقِفًا قُرْبَ الْمِدْفَأَةِ ،  
فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ ، وَاعْتَذَرْتُ عَنْ عَقْرِي إِيَّاهُ . وَصَافَحَنِي الرَّجُلُ فَيَّ  
بُرُودٍ ، دُونَ أَنْ يَتَبَسَّ بِبِنْتِ شَقِيَّةٍ .

وَمَا إِنَّ جَلَسَتْ الْإِنْسَةُ مُرْدِسْتُون إِلَى الْمَائِدَةِ حَتَّى بَادَرَتْ بِالسُّؤَالِ

## الفصل الرابع

رَكِبْتُ الْعَرَبَةَ إِلَى يَارْمُوثَ أَوَّلًا ، وَمِنْهَا صَحَبَنِي بَارَكِزَ إِلَى  
مَنْزِلِي . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقْرَعُ الْبَابَ إِذْ سَمِعْتُ أُمِّي وَهِيَ تُغْنِي فِي  
الدَّخْلِ . وَاسْتَقْبَلَتْنِي بِفَرَحٍ غَامِرٍ ، وَعَانَقَتْنِي بِحَرَارَةٍ ، وَكَذَا فَعَلْتُ  
بِيغُوتِي أَيْضًا . وَلَمْ تَلَبَّثْ أَنْ جَاءَتْ تُحْمِلُ طِفْلًا حَدِيثَ الْوِلَادَةِ ،  
وَهِيَ تَقُولُ : « لَقَدْ رَزَقْتَ بِأَخٍ صَغِيرٍ ، يَا دَاوَيْدَ . »

وَتَنَاوَلْنَا الطَّعَامَ مَعًا إِلَى جَانِبِ الْمِدْفَأَةِ . وَأَخْبَرْتُ بِيغُوتِي بِرَغْبَةِ  
بَارَكِزَ فِي الزَّوْجِ بِهَا ، فَضَحِكَتُ قَائِلَةً بَأَنَّهُ مَجْنُونٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا  
خَفَضَتْ نَاضِرَتَهَا ، وَعَطَّتْ بِيَدَيْهَا وَجْهَهَا الَّذِي كَسَتْهُ حُمْرَةُ الْخَجَلِ  
وَالْحَيَاءِ .

وَقَالَتْ أُمِّي فِي حُزْنٍ : « هَلْ سَتَزَوِّجِينَ بَارَكِزَ ، يَا بِيغُوتِي ؟ هَلْ  
سَيَهْوُنُ عَلَيْكَ فِرَاقِي ؟ »



عَنْ مَوْعِدِ انْتِهَاءِ إِجَازَتِي وَعَوَّدَتِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ . وَعِنْدَمَا أَخْبَرْتَهَا أَنَّ الْعُطْلَةَ سَوْفَ تَمْتَدُّ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، مَطَّتْ شَفَتَيْهَا قَائِلَةً : « سَهْرُ بَأْكَمَلِهِ ! هَذَا كَثِيرٌ ! » ثُمَّ أَرَدَقَتْ بِفَظَاظِلَةٍ ، وَهِيَ تَفْتَعِلُ الْإِبْتِسَامَ : « عَلَى آيَةِ حَالٍ لَنْ يَلْبَثَ الشَّهْرُ أَنْ يَنْقُضِي ، ثُمَّ تَغَادِرُنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَدْرَسَتِكَ . »

كُنْتُ أَجْلِسُ عَادَةً مَعَ أُمِّي وَالْآنِسَةِ مَرْدِسْتُونَ ، وَلَمْ يَكُنِ السَّيِّدُ مَرْدِسْتُونَ يَتَحَدَّثُ إِلَيَّ إِلَّا لِمَامًا . عَلَى أَنَّ أَخِي الطُّفْلَ كَانَ مَعَنَا دَائِمًا ، وَلَقَدْ أَحْبَبْتُهُ بِشِدَّةٍ . وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَتْ أُمِّي تُمَسِّكُ بِالطُّفْلِ ، عِنْدَمَا حَمَلْتَهُ عَنْهَا ، وَضَمَمْتَهُ إِلَى صَدْرِي ؛ عِنْدَئِذٍ أَطْلَقَتِ الْآنِسَةُ مَرْدِسْتُونَ صَرْخَةً مَدْوِيَةً .

سَأَلْتُهَا أُمِّي : « مَاذَا بِكَ ؟ »

صَاحَتِ الْآنِسَةُ مَرْدِسْتُونَ قَائِلَةً : « لَا تَدْعِي هَذَا الْفَتَى يَحْمِلُ الطُّفْلَ . إِنَّهُ سَيُلْحِقُ بِهِ الْأَذَى . »

وَأَنْدَفَعْتُ نَحْوِي ، وَنَزَعْتُ مِنْهُ الطُّفْلَ ، فَشَعَرْتُ بِغُصَّةٍ شَدِيدَةٍ .

هَكَذَا كَانَ يَرْكَبُنِي الْعَمُّ كُلَّمَا التَّقَيْتُ السَّيِّدَ مَرْدِسْتُونَ أَوْ شَقِيقَتَهُ . وَلَقَدْ دَعَانِي ذَلِكَ إِلَى لُزُومِ حُجْرَتِي الْخَاصَّةِ حَيْثُ كُنْتُ

أُقْضِي مُعْظَمَ الْوَقْتِ فِي مُطَالَعَةِ الْقِصَصِ ، كَمَا كُنْتُ أَزُورُ بِيغُوتِي فِي غُرْفَتِهَا بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ . وَيَبْدُو أَنَّ السَّيِّدَ مَرْدِسْتُونَ لَمْ يَرُقْ لَهُ ذَلِكَ ؛ إِذْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ اسْتَدْعَانِي إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَقَالَ : « مَا لِي أَرَاكَ غَاضِبًا مُتَجَهِّمًا الْوَجْهَ عَلَى الدَّوَامِ ، تَقْضِي سَحَابَةَ نَهَارِكَ فِي وَحْدَةٍ وَانْفِرَادٍ ، أَوْ فِي الثَّرْتَرَةِ مَعَ الْخَدَمِ الْجُهْلَاءِ ( يَعْنِي بِيغُوتِي ) أَرَى أَنَّكَ تَتَحَاشَى رُؤْيِي ، وَتَتَجَنَّبُ رُؤْيَةَ أُخْتِي كَذَلِكَ ، وَفِي هَذَا صَلَفٌ مِنْكَ وَوَقَاحَةٌ ! يَجِبُ أَنْ تَجْلِسَ إِلَى كِلَيْنَا مِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا ، وَتَتَحَدَّثَ إِلَيْنَا وَإِلَى الْوَالِدَتَيْنِ . »

لَمْ أَجِدْ بُدًّا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ أَجَالِسَهُمْ كُلَّ مَسَاءٍ ، وَإِنْ كُنْتُ أَرْجِي الْوَقْتِ بِالْقِرَاءَةِ كَالْمُعْتَادِ ؛ فَالسَّيِّدُ مَرْدِسْتُونَ وَشَقِيقَتُهُ كَانَا عَازِفَيْنِ عَنِ الْكَلَامِ ، وَكَانَتْ وَالِدَتِي لَا تَجْرُؤُ عَلَى أَنْ تَقْطَعَ صَحْتَهُمَا بِحَدِيثٍ مَا . وَكُنْتُ أَهْرَعُ إِلَى فِرَاشِي فِي التَّاسِعَةِ تَمَامًا .

وَعِنْدَمَا حَلَّ الْيَوْمُ الْأَخِيرُ مِنْ عُطْلَتِي ، وَكَانَ يَوْمًا قَارِسَ الْبَرْدِ ، جَاءَ بَارَكِزُ لِيَحْمِلَنِي فِي عَرَبَتِهِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ . وَصَافَحَتُ السَّيِّدَ مَرْدِسْتُونَ وَشَقِيقَتَهُ مُودَعًا ، ثُمَّ قَبَّلْتُ وَالِدَتِي فِي حَرَارَةٍ . وَوَقَفْتُ أُمِّي تُلَوِّحُ لِي بِأَحْدَى يَدَيْهَا عِنْدَ الْبَابِ ، وَهِيَ تَحْمِلُ صَغِيرَهَا عَلَى الْيَدِ الْأُخْرَى . وَتَزَوَّدَتْ مِنْهُمَا بِنَظَرَةٍ أَخِيرَةٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَتِ الْعَرَبَةُ فِي



طريقها المرسوم .

ومرَّ شهران . وذات يوم استدعيت زوجة السيد كريكل إلى حُجرتها ، وقالت لي في رقة وعطف : « سوف أفضي إليك نبأ مؤسف يا دافيد ، ولكن أرجوك أن تتماسك : إن والدتك تعاني مرضاً شديداً . »

لم أستطع أن أنطق بشيء . ووقفت أنتظر تمام الحديث ، وقد غشيتني خوف عظيم .

وأردفت السيدة بعد هنيهة من الصمت : « الحقيقة أن حياة أمك قد انتهت على الأرض ، ولقد لبث نداء ربها بالأمس ! »

شهقت شهقة عالية ، ثم انخرطت في البكاء .

وبعد أن هدأت قليلاً سألتها : « وكيف حال أخي الصغير ؟ »

« إنه مريض ، مريض للغاية . يجب أن تعود غداً إلى منزلك . »

كانت الأنسة مردستون أول من رأيت لدى عودتي إلى البيت . ولدهشتي الشديدة لم تعزني في وفاة أمي ، واكتفت بأن أمرتني بأن ألزم حُجرتي .

وبدا السيد مردستون مكروباً شديداً الحزن ، وكان يذرع المنزل جثةً وذهاباً ، وقد استبد به التوتر والقلق .

أما بيغوتي فقد أحاطتني بذراعيها ، وقالت لي وهي تزفر : « لقد عانت أمك من المرض طويلاً ، وكانت تتحدث عنك كل يوم . تذكرها دائماً ، يا عزيزي ، وثق بأنها كانت تحبك . »

أحببتها بأنني سوف أفعل - غير أنني كنت أود أن أتذكرها كما كانت تبدو في أيامها المشرقة السعيدة قبل زواجها بهذا السيد ، لا في أيام بؤسها وشقائها بعد الزواج منه .

لم أعد إلى المدرسة بعد وفاة أمي ، فلقد أراد السيد مردستون أن يوفر نفقات الدراسة . وهكذا بقيت رهين البيت التمس الحزين ، وأصبح هو وشقيقته يكتان لي كرهاً أكثر من ذي قبل .

وقالت لي بيغوتي ، ذات يوم وأنا جالس في غرفتها : « إن السيد مردستون لا يرغب في بقائي بعد الآن ، ولذا فقد قررت البحث عن عمل جديد . سوف أذهب إلى يارموث أولاً لقضاء بضعة أيام ، فهل تحب أن تصحبني إلى هناك ؟ »

وافقت على الفور ، كما أذن لي السيد مردستون بذلك . وفي



ذاتِ صَبَاحٍ ، انْطَلَقْتُ بِنَا عَرَبَةُ السَّيِّدِ بَارَكُزَ ، وَكَانَ الرَّجُلُ جِدًّا  
سَعِيدٍ بِجُلُوسِ بِيغُوتِي فِي عَرَبَتِهِ ، كَمَا كَانَتْ هِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ  
سَعِيدَةً بِوُجُودِهِ .

وَأخِيرًا وَصَلْنَا إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي الَّذِي ابْتَهَجَ لِلْقَائِنَا .

وَبَادَرْتُهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ إِمِيلِي ، فَأَجَابَ بِأَنَّهَا مَا زَالَتْ فِي الْمَدْرَسَةِ ،  
وَأَنَّهَا لَنْ تَلْبِثَ أَنْ تَعُودَ .

وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتٍ حَتَّى عَادَتْ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ الْجَمِيلَةُ ،  
وَعَلَتْ وَجْهَهَا الدُّهْشَةَ لِرُؤُوسِنَا ، وَصَافَحَتْهَا قَائِلًا : « كَيْفَ حَالُكَ  
يَا إِمِيلِي ؟ هَلْ تَسْمَحِينِ لِي بِتَقْبِيلِكَ ؟ »

أَجَابَتْ ، وَقَدْ احْمَرَّتْ وَجَنَّتَاهَا : « كُفُّ عَنْ هَذَا الْحُمُقِ ! »

عَلَى أَنَّهَا عَادَتْ بَعْدَ حِينٍ ، وَجَلَسَتْ إِلَى جَانِبِي ، ثُمَّ قَالَتْ  
وَهِيَ تُمْسِكُ يَدَيَّ : « أَعْرِفُ أَنَّ أُمَّكَ وَأَخَاكَ الصَّغِيرَ قَدْ تَوَفَّيَا ،  
وَلَقَدْ حَزَنْتُ كَثِيرًا لِذَلِكَ . » وَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا الزُّرْقَاوَانِ الْجَمِيلَتَانِ ،  
وَبَدَتْ فِي حُزْنِهَا شَدِيدَةَ السَّحَرِ وَالْجَاذِبِيَّةِ . وَتَنَاوَلْنَا الطَّعَامَ جَمِيعًا  
فِي بَيْتِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي ، ثُمَّ أَخَذْنَا نَتَجَادَبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ .

قَالَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي : « إِنَّ صَدِيقَكَ سَتِيرْفُورْثَ فَتَى رَائِعٍ ،

يَا دَاوِيدَ . »

أَجَبْتُهُ قَائِلًا : « أَجَلٌ ، وَهُوَ ذَكِيٌّ ، شَدِيدُ الْبَرَاعَةِ كَذَلِكَ . إِنَّهُ  
يَسْتَوْعِبُ دُرُوسَهُ بِسُرْعَةٍ مُذهِلَةٍ . »

وَأَرَدَفَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي ، وَهُوَ يَضْحَكُ : « أَنْظُرْ إِلَى إِمِيلِي . لَقَدْ  
أَعْجَبْتَ بِسَتِيرْفُورْثَ قَبْلَ أَنْ تَرَاهُ ! »

فَأَشْرَقَ وَجْهُ الْفَتَاةِ خَجَلًا ، وَسَرَّعَانَ مَا غَطَّتْهُ يَدَيْهَا . وَاسْتَرْسَلَ  
السَّيِّدُ بِيغُوتِي وَهَامَ فِي مُدَاعَبَةِ إِمِيلِي ؛ فَقَدْ كَانَا يُحِبَّانِهَا كَثِيرًا ،  
وَيُدَلِّلَانِهَا أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي .

كَانَ الْوَقْتُ فِي يَارْمُوثَ سَعِيدًا دَائِمًا . وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَتْ بِيغُوتِي  
وَبَارَكُزُ يَدْخِرَانِ لَنَا مُفَاجَأَةً سَارَةً قَبْلَ الْعُودَةِ : فَقَدْ غَادَرَا الْمَنْزِلَ فِي  
مَلَاسٍ جَدِيدَةٍ أَتَقَةٍ ، وَإِنْ هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ وَبَعْضُ السَّاعَةِ حَتَّى عَادَا  
بَعْدَ أَنْ عَقَدَا قِرَانَهُمَا الْمَيْمُونَ .

وَانْقَضَى الْوَقْتُ السَّعِيدُ الَّذِي قَضَيْنَاهُ فِي يَارْمُوثَ سَرِيعًا ، وَحَانَ  
مَوْعِدُ عَوْدَتِي إِلَى الْبَيْتِ التَّعَسِ الْكَثِيبِ . وَعَزَفَ السَّيِّدُ مِرْدِسْتُونَ  
عَنْ ضَرْبِي ، وَإِنْ ظَلُّ مُتَحَاشِيًا التَّحَدُّثِ إِلَيَّ . وَكَانَتْ أُخْتُهُ تُقَدِّمُ لِي  
الطَّعَامَ كُلَّ يَوْمٍ . وَلَمْ يَكَدْ يَمُرُّ أُسْبُوعَانِ حَتَّى اسْتَدْعَانِي إِلَى حُجْرَتِهِ



الخاصة ، وكان يجلس بها رجل غريب ، وحدجني بنظرة سريعة ،  
ثم قال : « هذا هو السيد كوينيون ، يا دافيد . لقد حصلت لك  
على عمل في مكتبه بلندن ، وسوف ترحل عدًا إلى هناك . يجب  
أن تحصل على قوتك بعرق جبينك من الآن فصاعدًا ، وسوف أقوم  
بدفع إيجار الغرفة التي ستسكنها هناك . »

## الفصل الخامس

كان مكتب السيد كوينيون في لندن قديرًا ومظلمًا ، وكان  
يشاركني في العمل غلامان يكبرانني بقليل - وكنت إذ ذاك في  
العاشرة من عمري . كنا نقضي سحابة النهار في غسل القوارير  
المسخة ، ولم ألبث أن مللت ذلك العمل الكريه .

وفي اليوم الأول لالتحاقني بالعمل ، استدعاني السيد كوينيون  
وقدم لي رجلًا أصلع يرتدي معطفًا بنيًا ، وقال : « هذا هو السيد  
ميكاوهر الذي ستقيم عنده . »

وصافحت الرجل : فبادرني بالسؤال : « متى ستفرغ من العمل  
اليوم ؟ »

« في الثامنة مساءً ، يا سيدي . »

قال الرجل : « إذا فسوف أحضر في الثامنة لاصطحبك إلى



كَانَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ يَعِيشُ فِي مَنْزِلٍ كَثِيرِ الْحُجَرَاتِ ، وَلَكِنْ  
الْفَقْرُ الْمُدْفَعُ كَانَ يُعَشِّشُ فِي جَنَابَتِهِ . وَلَقَدْ أَخْبَرْتَنِي زَوْجَتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُ رَجُلٌ سَيِّئُ الطَّلَاعِ مَادِيٌّ ، وَأَنَّهُ مَدِينٌ لِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّاسِ .

كُنْتُ حِينَئِذٍ فَقِيرًا مِثْلَهُ ؛ فَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ كُورِينِيونَ يَنْقُذُنِي سِتَّةَ  
شِلِينَاتٍ أَجْرًا فِي الْأُسْبُوعِ ، وَكَانَتْ تَكَادُ تَكْفِي لِطَعَامِي - عَلَى أَنَّ  
أُسْرَةَ السَّيِّدِ مِيكَائِيلُ كَانَتْ أَشَدَّ بُؤْسًا وَمُعَانَاةً !

وَقَالَتْ لِي السَّيِّدَةُ مِيكَائِيلُ ذَاتَ يَوْمٍ : « لَقَدْ قَرَعَ الْبَيْتُ مِنْ  
الطَّعَامِ تَمَامًا يَا دَافِيدَ ، وَلَكِنْ نَعُدْ نَمْلِكُ أَيَّ مَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ ؛ هَلْ  
يُمْكِنُكَ مُسَاعَدَتِي ؟ »

كَانَ فِي حُوزَتِي شِلِينَانِ ، فَقَدَّمْتُهُمَا إِلَيْهَا عَلَى الْفَوْرِ ، وَلَكِنَّهَا  
شَكَرْتَنِي قَائِلَةً فِي حَزْنٍ بَالِغٍ : « لَسْتُ أَبْغِي مِنْكَ نَقُودًا ، يَا دَافِيدَ ،  
وَأِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي بَيْعِ كُتُبِ السَّيِّدِ مِيكَائِيلُ . هَلْ يُمْكِنُكَ  
أَنْ تَبِيعَ لِي هَذِهِ الْكُتُبَ ؟ »

أَجَبْتُ : « بِالتَّأَكِيدِ . »

وَعِنْدَمَا عُدْتُ مِنْ مَتَجَرِّ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَنَقَذْتُهَا الشَّمْنَ ،

انْفَرَجَتْ أَسَارِيرُهَا ، وَقَبَّلْتَنِي قَبْلَةً حَانِيَةً . وَلَقَدْ بَعْتُ لَهَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً  
بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَقَدْ كَانَتْ تَمُرُّ هِيَ وَزَوْجُهَا بِأَيَّامٍ عَصِيْبَةٍ .

وَلَمْ تَلْبِثِ الْكَارِثَةُ أَنْ حَلَّتْ بِهِمَا ذَاتَ يَوْمٍ ، حِينَ أَعْلَنَّا عَنْ  
عَجْزِهِمَا التَّامِّ عَنْ سَدَادِ دُيُونِهِمَا ، فَدَفَعَ بِهِمَا إِلَى سِجْنِ لَنْدُنِ حَيْثُ  
زُرْتُهُمَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ . عَلَى أَنَّ أَقَارِبَ السَّيِّدَةِ مِيكَائِيلُ تَعَاوَنُوا فِي دَفْعِ  
الدَّيْنِ ، فَأُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا بَعْدَ حِينٍ .

قَالَ لِي السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ ، وَنَحْنُ نَتَنَاوَلُ الْعِشَاءَ مَعًا احْتِفَالًا  
بِخُرُوجِهِ وَزَوْجَتِهِ مِنَ السِّجْنِ : « سَوْفَ أَرْحَلُ مَعَ زَوْجَتِي عَدَا إِلَى  
مَدِينَةِ بَلَايْمُوثَ لِنَبْدَأَ حَيَاةً أَفْضَلَ هُنَاكَ . نَحْنُ آسِفَانِ أَشَدَّ الْأَسْفِ  
لِفِرَاقِكَ يَا دَافِيدَ ، عَلَى أَنِّي أَوَدُّ أَنْ أَسْدِيَ إِلَيْكَ نَصِيحَةً غَالِيَةً قَبْلَ  
رَحِيلِي : إِذَا مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكْسِبَ عِشْرِينَ جَنِيْهًا فِي الْعَامِ ، فَلَا  
تُنْفِقْ سِوَى تِسْعَةِ عَشَرَ فَقَطْ - حَذَارٌ مِنْ أَنْ تُنْفِقَ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ ! »  
فَشَكَرْتُهُ عَلَى تِلْكَ النَّصِيحَةِ ، وَأَنَا فِي حَزْنٍ بَالِغٍ لِفِرَاقِهِ .

وَعِنْدَمَا حَانَ مَوْعِدُ رَحِيلِهِمَا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، قَبَّلَانِي فِي وَدٍّ  
وَحَنَانٍ . وَقَدَّمْتُ لِأَطْفَالِهِمَا بَعْضَ الْهَدَايَا ، وَوَقَفْتُ أَلُوْحُ لَهُمَا  
مُودَعًا ، وَالْدُمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنِي .

أَصْبَحْتُ ، بَعْدَ رَحِيلِهِمَا ، بِإِلَا أَصْدِقَاءَ فِي لَنْدُنِ . وَاجْتِاحَنِي



حِينَئِذٍ شَعُورٌ جَامِحٌ بِالْوَحْشَةِ ، وَبِالْكُرْهِ لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ . ثُمَّ لَمْ  
أَلْبَثْ أَنْ فَكَّرْتُ فِي اللُّجُوءِ إِلَى عَمَّتِي الْآنِسَةِ بِيَتْسِي تَرُوتُوود ،  
الَّتِي كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا تُقِيمُ فِي مَدِينَةِ دوفر .

وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّفَرِ ، غَادَرْتُ الْمَنْزِلَ حَامِلًا صُنْدُوقَ مَلَابِسِي ،  
ثُمَّ اسْتَوْقَفْتُ حُودِيًّا لِيَحْمِلَنِي مَعَ الصُّنْدُوقِ إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَبَةِ  
الْمَسَافِرَةِ إِلَى دوفر .

لَمْ أَطْمَئِنَّ إِلَى شَكْلِ الْحُودِيِّ أَوْ نَظَرَاتِهِ ، فَوَضَعْتُ قِطْعَةَ النُّقُودِ  
الَّتِي أَحْمِلُهَا فِي فَمِي خَشْيَةً أَنْ يَسْلُبَنِي إِيَّاهَا . وَمَا أَنْ مَارَتْ بِنَا  
الْعَرَبَةُ قَلِيلًا حَتَّى تَذَكَّرْتُ أَنَّنِي لَمْ أَكْتُبْ عُنَوَانِي عَلَى الصُّنْدُوقِ ،  
فَطَلَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ أَنْ يَتَوَقَّفَ رِثْمًا أَفْعَلُ ذَلِكَ . وَتَوَقَّفَ الرَّجُلُ بَعْدَ  
قَلِيلٍ فِي شَارِعِ خَالٍ مِنَ الْمَارَةِ ، ثُمَّ نَزَلَ مِنَ الْعَرَبَةِ وَحَدَجَنِي بِنَظَرَةٍ  
قَاسِيَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَسْتُ أَعْرِفُ تَفْسِيرًا لِهَذَا الَّذِي يَحْدُثُ !  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ صَاحِبَ هَذَا الصُّنْدُوقِ الَّذِي لَا يَحْمِلُ اسْمَكَ  
عَلَيْهِ ! »

صَبَحْتُ فِي غَضَبٍ قَاتِلٍ : « بَلْ أَنَا صَاحِبُ الصُّنْدُوقِ دُونَ  
سِوَايَ ! »

وَعِنْدَئِذٍ سَقَطَتْ قِطْعَةُ النُّقُودِ مِنْ فَمِي ، فَالْتَقَطْتُهَا بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ

يَقُولُ : « وَهَذِهِ أَيْضًا لَا تَخْصُكَ ، لَقَدْ سَرَقْتُهَا كَذَلِكَ . »

وَقَفَزَ إِلَى الْعَرَبَةِ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، وَأَنْطَلَقَ يُسَاقِ الرِّيحَ ، وَهُوَ  
يَصِيحُ قَاتِلًا : « وَالْآنَ ، وَدَاعًا أَيُّهَا الْأَبْلَهُ ! »

وَعَدَوْتُ صَارِخًا خَلْفَ الْعَرَبَةِ ، غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعَ اللَّحَاقَ بِهَا ،  
بِطَبِيعَةِ الْحَالِ .

وَهَكَذَا سَلَبَنِي الْوَعْدُ نُقُودِي وَصُنْدُوقِي ، وَتَرَكَنِي فِي حَنْقٍ  
وَذُهُولٍ .

وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقْطَعَ الْمَسَافَةَ الطَّوِيلَةَ إِلَى دوفر سَيْرًا عَلَى قَدَمَيَّ ،  
فَأَخَذْتُ أَسْأَلُ الْمَارَةَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ . وَمَا إِنْ  
شَرَعْتُ فِي السَّيْرِ حَتَّى شَعَرْتُ بِجُوعٍ شَدِيدٍ ، فَاضْطَرَرْتُ إِلَى بَيْعِ  
صُدْرَةٍ سَتَرْتِي لِلْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ . وَعِنْدَمَا جَنَّ اللَّيْلُ ،  
أَوَيْتُ إِلَى أَحَدِ الْحُقُولِ ، وَافْتَرَشْتُ الْأَرْضَ لِأَنَامَ .

وَاسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الرِّحْلَةُ الْمُضْنِيَّةُ زُهَاءً أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، بَعْتُ خِلَالَهَا  
قِطْعًا أُخْرَى مِنْ مَلَابِسِي كَيْ أَتِمَكَّنَ مِنْ شِرَاءِ الْقُوتِ الضَّرُورِيِّ ،  
كَمَا كُنْتُ أَقْضِي اللَّيْلَ بِطَوْلِهِ فِي الْعَرَاءِ . وَأَخِيرًا وَصَلْتُ مَدِينَةَ  
دوفر مُنْهَكًا ، مَحْزُونًا ، مُغْبِرَ الْوَجْهِ وَالْجَبِينِ .



وَسَأَلَتْ أَحَدَ الْمَارَّةِ عَمَّا إِذَا كَانَ يَعْرِفُ مَنْزِلَ الْآنِسَةِ تروتوود ،  
فَقَطَّلَعَ إِلَيَّ فِي أَزْدِرَاءٍ ، وَقَالَ : « أَغْرَبُ عَنْ وَجْهِي ، فَأَنَا لَا أَعْرِفُ  
هَذَا الْأَسْمَ ! »

وَدَلَفْتُ إِلَى أَحَدِ الْمُتَاجِرِ ، وَسَأَلْتُ الْوَاقِفِينَ : « هَلْ يُمَكِّنُ  
لأَحَدِكُمْ أَنْ يَدُلَّنِي عَلَى مَنْزِلِ الْآنِسَةِ تروتوود ؟ »

فَصَاحُوا فِي نَفْسٍ وَاحِدٍ ، ظَانِّينَ أَنَّي مِنَ الْمُتَسَوِّلِينَ : « ابْتَعدْ أَيُّهَا  
الْفَتَى ، فَأَنْتَ فِي غَايَةِ الْقَدَارَةِ ! »

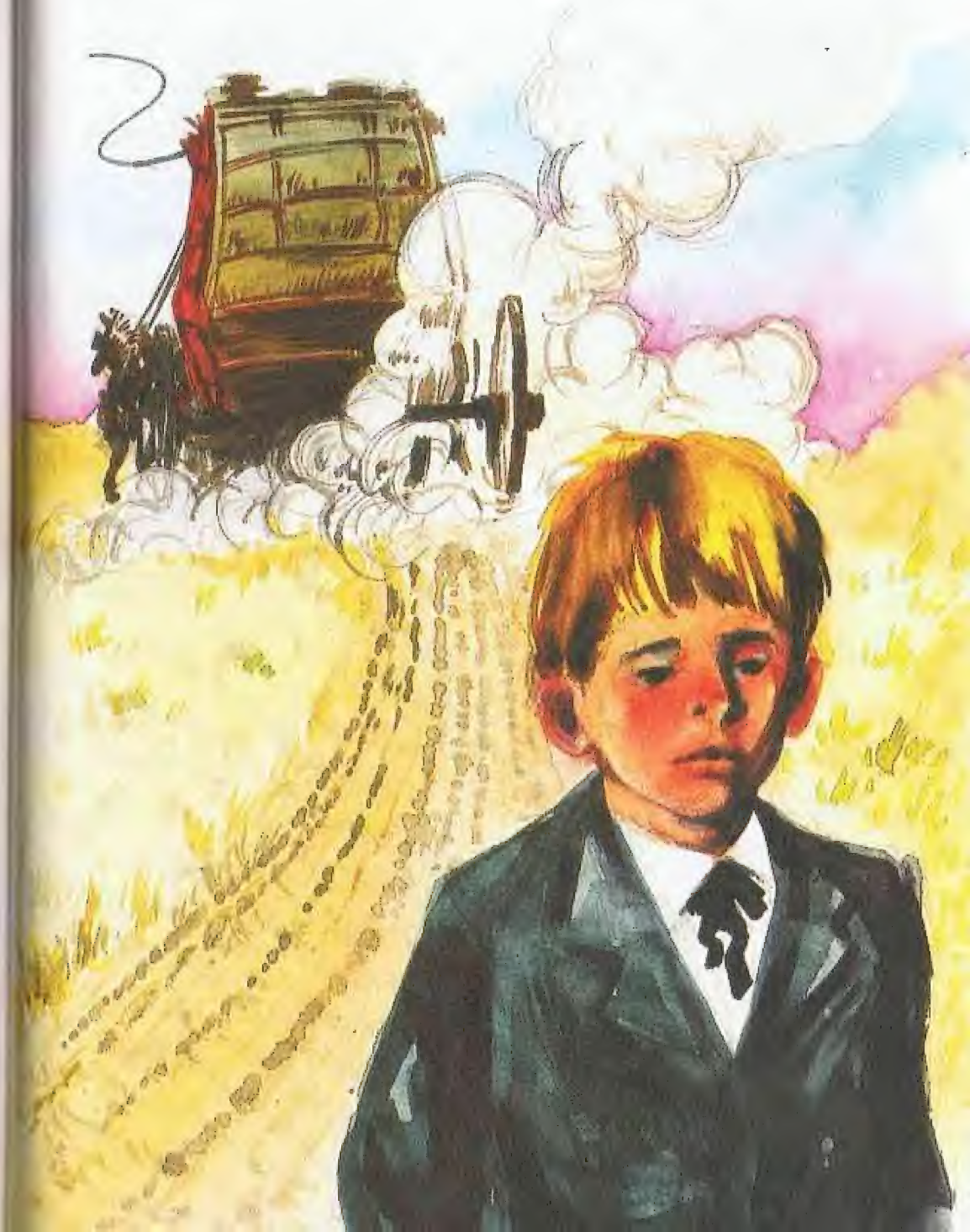
غَيْرَ أَنَّ فِتَاءً انْبَرَتْ مِنْ بَيْنِهِمْ قَائِلَةً : « تَعَالَ مَعِي يَا غُلَامُ ، فَأَنَا  
خَادِمَةٌ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الَّتِي تَبْحَثُ عَنْهَا . »

وَمَا إِنَّ وَصَلْنَا إِلَى بَابِ مَنْزِلِ عَمَّتِي ، حَتَّى قَالَتِ الْخَادِمَةُ :  
« انْتَظِرْ هَا هُنَا إِلَى أَنْ تَخْرُجَ السَّيِّدَةُ إِلَيْكَ . أَنْتَ شَحَاذٌ بِالطَّبْعِ ،  
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أُحِبُّهَا فِي أَسَى شَدِيدٍ : « لَا ، لَسْتُ شَحَاذًا . »

قَالَتْ ، وَهِيَ تَدْلِفُ إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ : « وَلَكِنَّكَ تَبْدُو كَأَحَدِ  
الشَّحَاذِينَ ! »

وَمَا إِنَّ وَقَعَ بَصَرُ الْعَمَّةِ عَلَيَّ ، حَتَّى صَاحَتْ قَبْلَ أَنْ تَكْتَشِفَ





مَنْ أَكُونُ : « ماذا تُريدُ يا فتى ؟ اِبْتَعدُ عَن مَنزِلِي هذا ، فَأنا لا أَحِبُّ الأولادَ القَدِيرين ! »

قُلْتُ فِي تَوَسُّلِ واسْتِرحامٍ : « وَلَكِنِّي لَسْتُ شَحَّادًا ، يا عَمَّتِي . أنا دافيد كويرفيلد ، وَوالدي ابنُ أخيك ! »

تَهالَكَتِ العَمَّةُ عَلَى الأَرْضِ وَصاحَتُ قائِلَةً : « ماذا ؟ يا لَهَا مِنْ مُفاجَأَةٍ مُذهِلَةٍ ! ادْخُلْ يا دافيد ! ادْخُلْ حَالًا البَيْتَ ! »

وَلَمَّا احْتَوَتْنا عُرْقَةُ المَعِيشَةِ ، نَظَرَتِ العَمَّةُ ثَانِيَةً إِلَيَّ ، وَقالَتْ : « وَلَكِنِّكَ تَبْدُو فِي غَايَةِ القَدَارَةِ ! يَجِبُ أَنْ تَغْتَسِلَ عَلَى الفورِ . » ثُمَّ أَمَرَّتِ الخادِمَ بِحَرِّقِ مَلايِسِي ، وإحضارِ مَلايِسٍ أُخْرَى جَدِيدَةٍ .

وَعَاوَدَنِي النِّشاطُ بَعْدَ الاسْتِحْمامِ . وَسألْتُها بَعْدَ أَنْ جَلَسْنَا إِلَى مائِدَةِ العِشاءِ : « هَلْ مِنْ المُحْتَمِّ أَنْ أَعُودَ إِلَى السَّيِّدِ مَرْدِسْتُون ، يا عَمَّتِي ؟ »

أجابَتِ العَمَّةُ بِقَوْلِها : « سَوْفَ أَقَرُّرُ فِي الغَدِ ما يَجِبُ عَمَلُهُ . وَالآنَ اذْهَبْ إِلَى فِرَاشِكَ لِتَنامَ . »

وَذَهَبْتُ إِلَى فِرَاشِي فِي التَّوَّ ، واسْتَسَلَمْتُ لِنَومٍ هادئٍ .

## الفصل السادس

فِي الصُّبْحِ التَّالِي ، جَلَسَتِ العَمَّةُ مَعِي إِلَى مائِدَةِ الإفْطارِ . وَشَرَعَتْ تَتَطَلَّعُ إِلَيَّ فِي صَمْتٍ ، فَشَعَرْتُ بِشَيْءٍ مِنَ القَلَقِ . وَلَكِنْ لَمْ تَلْبِثْ أَنْ قالَتْ : « لَقَدْ بَعَثْتُ بِرِسالَةٍ إِلَى السَّيِّدِ مَرْدِسْتُون . »

أَجَبْتُ ، وَقَدْ عَشَّيَنِي الخَوْفُ : « أ حَقًّا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ »

« أَجَلْ ، وَسَوْفَ يَحْضُرُ إِلَى هُنَا عَمَّا قَرِيبٍ . »

« هَلْ سَيَأْخُذُنِي مَعَهُ ؟ »

أجابَتِ العَمَّةُ : « لَسْتُ أَدْرِي . وَلَكِنْ هَلْ فَرَعْتَ مِنْ تَنَاولِ الإفْطارِ ؟ »

« أَجَلْ . »

قالَتِ العَمَّةُ : « إِذَا فَاخْرَجَ لِلْعِبِ ، فَإِنَّ الجَوْ صَحَّوْ بِهِيْجَ . »



وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ ، كُنَّا جَالِسِينَ خَلْفَ النَّافِذَةِ نَتَطَّلَعُ إِلَى حَدِيقَةِ  
الْمَنْزِلِ النَّصِيرَةِ الْخَلَابَةِ . وَفَجْأَةً لَاحَ لِعَمَّتِي حِمَارٌ يَسِيرُ فَوْقَ السُّنْدُسِ  
الْأَخْضَرِ الْجَمِيلِ .

هَرَوَلَتِ الْعَمَّةُ فِي غَضَبٍ إِلَى الْخَارِجِ ، وَهِيَ تَصِيحُ قَائِلَةً  
لِخَادِمَتِهَا جَانِيتٍ : « لَقَدْ تَسَلَّلَ إِلَى حَدِيقَتِنَا حِمَارٌ ضَخْمٌ ، وَهُوَ يَطَأُ  
الْآنَ سُنْدُسَهَا الْمُشَدَّبَ الْأَنِيقَ . »

كَانَ الرَّكَّابَانِ هُمَا السَّيِّدُ مِرْدَسْتُونُ وَشَقِيقَتُهُ ، وَكَانَتْ عَمَّتِي  
تَجْهَلُهُمَا . وَمَا إِنَّ نَزْلًا عَنْ ظَهْرِ الدَّابَّةِ حَتَّى صَرَخَتْ الْعَمَّةُ فِي  
وَجْهِ الْآنِسَةِ مِرْدَسْتُونِ قَائِلَةً : « يَا لِلْوَفَاحَةِ ! كَيْفَ تَجْرئينَ عَلَى أَنْ  
تَدْخُلِي بِحِمَارِكَ هَذَا أَرْضَ حَدِيقَتِي ؟ »

وَهَرَعَتْ إِلَى الْعَمَّةِ ، وَصَبَحَتْ قَائِلًا : « هَذِهِ هِيَ الْآنِسَةُ  
مِرْدَسْتُونُ يَا عَمَّتِي ، وَهَذَا هُوَ شَقِيقُهَا السَّيِّدُ مِرْدَسْتُونُ ! » ، وَلَكِنَّهَا  
لَمْ تُلْقَ بِالْأُ إِلَى .

وَعِنْدَمَا هَدَأَتْ ثَائِرَتُهَا ، دَعَتْهُمَا إِلَى دُخُولِ الْبَيْتِ ، وَطَفِقَتْ  
تَتَأَمَّلُهُمَا لِلْحِظَاتِ . وَأَخِيرًا قَالَتْ لِلْسَّيِّدِ مِرْدَسْتُونِ : « أَنْتَ إِذَا  
الرَّجُلُ الَّذِي اقْتَرَنَ بِزَوْجَةِ ابْنِ أَخِي بَعْدَ وَفَاتِهِ . يَا لَهَا مِنْ طِفْلَةٍ  
بَائِسَةٍ ! »

وَلَا حَ الْغَضَبُ عَلَى وَجْهِ السَّيِّدِ مِرْدَسْتُونِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ  
أَنْ نَظَرَ إِلَيَّ ، وَقَالَ : « إِنَّ دَاوَيْدَ وَلَدَ عَاقٍ . لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ بِوَظِيفَةٍ فِي  
لندن ، وَدَفَعْتُ لَهُ إيجَارَ مَسْكَنِهِ هُنَاكَ ، فَمَاذَا كَانَ رَدُّهُ لِهَذَا  
المَعْرُوفِ ؟ إِنَّهُ لَمْ يَقْدَمْ لِي الشُّكْرَ حَتَّى الْآنَ ، وَلَكِنَّهُ هَجَرَ عَمَلَهُ  
دُونَ مَبَرٍّ ! »

وَصَمَتَ الرَّجُلُ هَنِيئَةً ، ثُمَّ أَرْدَفَ : « يَجِبُ أَنْ يَعُودَ الْفَتَى  
لِعَمَلِهِ السَّابِقِ فِي الْحَالِ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكْسِبَ رِزْقَهُ بِكَدِّهِ . »  
عِنْدَئِذٍ صَرَخَتْ قَائِلًا : « الرَّحْمَةُ يَا عَمَّتِي ! فَأَنَا أُمُتُّ هَذَا  
الْعَمَلِ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ الْعُودَةَ إِلَيْهِ ! »

صَاحَ السَّيِّدُ مِرْدَسْتُونُ مُتَوَعِّدًا : « بَلْ يَجِبُ أَنْ تَعُودَ لِعَمَلِكَ فِي  
التَّوَّ ، وَإِلَّا فَلَنْ أَرَى وَجْهَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَلَنْ أَسَاعِدَكَ بِأَيَّةِ نَقْوٍ . »  
عِنْدَئِذٍ رَدَّتِ الْعَمَّةُ عَلَيْهِ فِي حِدَّةٍ قَائِلَةً : « أَنْتَ لَمْ تُسَاعِدْهُ  
بِشَيْءٍ حَتَّى الْآنَ ! يُمَكِّنْ لِدَاوَيْدَ أَنْ يَبْقَى مَعِيَ إِذَا شَاءَ ، أَمَّا أَنْتَ  
فَيُمَكِّنْكَ الْانْصِرَافُ ! »

صَاحَ السَّيِّدُ مِرْدَسْتُونُ قَائِلًا : « سَوْفَ أَفْعَلُ بِالتَّأَكِيدِ . غَيْرَ أَنَّنِي  
أُرِيدُ أَنْ أَضِيفَ قَبْلَ انْصِرَافِي أَنَّكَ سَيِّدَةٌ حَمَقَاءُ ، وَأَنْ دَاوَيْدَ وَلَدَ عَاقٍ  
وَشَرِيرٍ . »



أَجَابَتْ عَمَّتِي فِي بُرُودٍ : « بَلْ أَنْتَ الْوَعْدُ الْأَشْرُّ بِلا مِرَاءٍ ! فَقَدْ كُنْتُ قَطًّا ، عَلِيظَ الْقَلْبِ ، مَعَ دَاوَيْدَ وَوَالِدَتِهِ . وَهَكَذَا كَانَتْ أَخْتُكَ أَيْضًا . لَقَدْ أَشَقَيْتُمَا حَيَاتِيهِمَا بِقَسَوَتِكُمَا الْبَالِغَةِ . »

صَاحَتِ الْآنِسَةُ مُرْدِسْتُونَ قَائِلَةً : « إِنَّكَ لَسَيِّدَةٌ فِي غَايَةِ الْوَقَاحَةِ ! »

رَدَّتِ الْعَمَّةُ بِطَرْدِهَا وَشَقِيقِهَا مِنَ الْمَنْزِلِ . وَمَا إِنْ غَابَا عَنْ الْبَصَرِ حَتَّى نَظَرَتْ إِلَيَّ فِي عَطْفٍ ، وَقَالَتْ : « وَالْآنَ ، هَذَا هُوَ بَيْتُكَ يَا دَاوَيْدَ ، وَبِمُكْنِكَ الْبَقَاءُ فِيهِ عَلَى الدَّوَامِ . »

شَكَرْتُهَا بِحَرَارَةٍ ، وَأَمْطَرْتُهَا بِقَبْلَاتِ الْوُدِّ وَالْأَمْتِنَانِ . وَقَالَتْ لِي الْعَمَّةُ بَعْدَ بَرْهَةٍ قَصِيرَةٍ : « لَنْ تَكُونَ مُضْطَرًّا إِلَى الْعَمَلِ الْآنَ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَسْتَأْنِفَ دِرَاسَتَكَ أَوَّلًا . سَوْفَ نَذْهَبُ فِي الْغَدِ إِلَى مَدِينَةِ كَانْتَرِبْرِي كَيْ يُلْحِقَكَ السَّيِّدُ وَكَفِيلِدَ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَكَ هُنَاكَ . »

« مَنْ يَكُونُ السَّيِّدُ وَكَفِيلِدَ يَا عَمَّتِي ؟ »

« إِنَّهُ مُحَامٍ بَارِعٌ فِي كَانْتَرِبْرِي ، كَمَا أَنَّهُ صَدِيقٌ مُخْلِصٌ لِي فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ . »

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ، حَمَلْتُنَا عَرَبَةٌ الْعَمَّةِ إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ وَكَفِيلِدَ فِي مَدِينَةِ كَانْتَرِبْرِي . وَبَيْنَمَا كُنَّا نَهْبِطُ مِنَ الْعَرَبَةِ أَطْلُ

عَلَيْنَا وَجْهَ نَحِيلٍ مِنْ خِلَالِ إِحْدَى نَوَافِدِ الدَّارِ ، وَلَقَدْ عَرَفْتُ فِيهَا بَعْدَ أَنَّهُ وَجْهَ « يُرِّيَا هِيْب » ، الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ كَاتِبًا بِالْمَكْتَبِ . وَسَرَّعَانَ مَا دَلَفْنَا إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِ السَّيِّدِ وَكَفِيلِدَ ، فَالْقَيْتُهُ رَجُلًا ضَخَمَ الْجُنَّةِ ، أَشْيَبَ الشَّعْرَ ، وَيَتَمَيَّزُ بِوَجْهِ شَدِيدِ الْاحْمِرَارِ .

وَبَعْدَ أَنْ حَيَّا السَّيِّدُ وَكَفِيلِدَ عَمَّتِي ، سَأَلَهَا : « مَا هِيَ الْخِدْمَةُ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ أَقْدِمَهَا لَكَ يَا آنِسَةُ تَرَوْتَوُود ؟ »

أَجَابَتْ الْعَمَّةُ بِقَوْلِهَا : « أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بِدَاوَيْدَ إِلَى مَدْرَسَةٍ جَيِّدَةٍ . هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدُلَّنِي إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ ؟ »

« أَجَلٌ ، وَبِمُكْنٍ أَنْ أَلْحِقَهُ بِهَا فِي الْغَدِ . »

« فِي الْغَدِ ؟ وَلَكِنْ أَيْنَ سَيَقْضِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؟ »

« فِي مَنْزِلِي هَذَا ، بِالطَّبْعِ . »

وَعَادَتْ عَمَّتِي إِلَى دَوْفَرٍ بَعْدَ أَنْ عَاهَدَتْ بِي إِلَى صَدِيقِهَا السَّيِّدِ وَكَفِيلِدَ . وَفِي الْمَسَاءِ أَخَذْتُ أَتَجَوَّلُ فِي أَنْحَاءِ الْمَكْتَبِ ، وَكَانَ يُرِّيَا هِيْبَ يَتَطَلَّعُ إِلَيَّ فِي صَمْتٍ مُرِيبٍ . وَلَمْ أَطْمَئِنُّ إِلَى ذَلِكَ الْفَتَى النَّحِيلِ ذِي الْمَلَابِيسِ السُّودَاءِ الْكَثِيَّةِ .

وَعَلَى مَائِدَةِ الْعِشَاءِ ، قَدَّمَنِي السَّيِّدُ وَكَفِيلِدَ إِلَى ابْنَتِهِ « أُغْنِيس » ،



وَكَانَتْ فَتَاةً لَطِيفَةً ذَاتَ وَجْهِ مَلَأَتْكِ جَذَابٍ .

وَذَهَبَتْ إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي الصُّبْحِ التَّالِي ، وَمَكَثَتْ بِهَا طَوَالَ  
الْيَوْمِ . وَفِي الْمَسَاءِ عُدْتُ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ وَكَفَيْلِدَ ، حَيْثُ تَنَاوَلْنَا  
مَعَ طَعَامَ الْعِشَاءِ . وَبَعْدَ أَنْ تَوَجَّهْتُ أَغْنِيسَ إِلَى عَرْفَتِهَا ، قَالَ لِي  
الرَّجُلُ : « أَتَيْنَ تَعْتَزِمُ السُّكْنَى ، يَا دَافِيدَ ؟ »

أَجَبْتُ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الصَّمْتِ : « هَلْ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَبْقَى هُنَا ،  
يَا سَيِّدَ وَكَفَيْلِدَ ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ : « أَجَلٌ . غَيْرَ أَنَّ الْمَنْزَلَ هُنَا مُمِلٌ بَعْضَ الشَّيْءِ  
بِالنِّسْبَةِ لِمِثَالِكَ مِنَ الْأَوْلَادِ . »

« وَلَكِنِّي أَحِبُّ هَذَا الْبَيْتَ ، كَمَا أَنَّ أَغْنِيسَ سَعِيدَةٌ بِالْعَيْشِ فِيهِ  
وَهِيَ مِثْلِي . »

صَمَتَ السَّيِّدُ وَكَفَيْلِدَ هَيْنَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَغْنِيسُ ! تَرَى هَلْ  
تَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ فِي هَذَا الْبَيْتِ ؟ عَجَبًا ، إِنِّي لَمْ أَفَكِّرْ فِي هَذَا  
الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ . »

وَسَكَتَ الرَّجُلُ فَجَاءَهُ عَنِ الْكَلَامِ ، وَأَخَذَ يَعْجُبُ بِشَرَاهَةِ مِنَ  
الشَّرَابِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ عَلَى الْمَائِدَةِ ، فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ إِلَى يُرِيَا هَيْبَ

الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ جَالِسًا يَقْرَأُ فِي حُجْرَتِهِ الْخَاصَّةِ بِالْمَكْتَبِ .

سَأَلْتُ يُرِيَا : « مَاذَا تَقْرَأُ ؟ »

أَجَابَ : « أَقْرَأُ كِتَابًا فِي الْقَانُونِ . إِنِّي أَدْرُسُ الْقَانُونَ الْآنَ . »

« هَلْ تَرْغَبُ فِي أَنْ تَكُونَ مُحَامِيًا ؟ »

« أَجَلٌ ، فَاَلْمُحَامُونَ يَكْسِبُونَ مَالًا كَثِيرًا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« لَسْتُ أَدْرِي . وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّكَ شَدِيدُ الْبِرَاعَةِ . »

« لَا ، إِنِّي امْرُؤٌ رَقِيقُ الْحَالِ . لَقَدْ نَشَأْتُ فِي أُسْرَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ ،  
وَكَانَ أَبِي رَجُلًا فَقِيرًا بَسِيطَ الشَّانِ ، غَيْرَ أَنَّنِي مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ أَصْبِحَ  
مُحَامِيًا عَلَى آيَةِ حَالٍ . هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ السَّيِّدَ وَكَفَيْلِدَ يُحِبُّنِي ،  
وَيَمُدُّ لِي يَدَ الْعَوْنِ دَائِمًا . وَأَنَا أَشْكُرُ لَهُ هَذَا الصَّنِيعَ . »

وَالْتَوَى الْفَتَى فِي مَقْعَدِهِ ، فَبَدَأَ مِثْلَ مَسْخَرٍ قَمِيءٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ .

وَأَضَافَ قَائِلًا : « كَمَا أَنَّ الْآنِسَةَ أَغْنِيسَ لَطِيفَةٌ مَعِي . إِنِّي  
أَحِبُّهَا ، فَهِيَ فَتَاةٌ رَقِيقَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَادِيَّةٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

لَمْ أَعْلَقْ بِشَيْءٍ ، فَنَظَرَ إِلَى سَاعَتِهِ ، وَقَالَ : « لَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ  
عَوْدَتِي إِلَى الْبَيْتِ . أَكْرَرُ دَعْوَتِي لَكَ لِزِيَارَتِي فِي مَنْزِلِي الْبَسِيطِ



المتواضع ، وَلَسَوْفَ تُسَرُّ أُمِّي كَثِيرًا بِرُؤْيَيْكَ .

شَكَرْتَهُ ، وَوَعَدْتَهُ بِالزَّيَارَةِ فِي يَوْمٍ قَرِيبٍ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَلَمْتُ بِرِيًّا حُلْمًا مُزَعِجًا . لَقَدْ أَخَذْتُ أَتَوَجَّسُ  
الشَّرَّ مِنْ ذَلِكَ الْفَتَى الْقَمِيِّ الَّذِي يَرْتَسِمُ الْخُبْتُ فِي عَيْنَيْهِ .

## الفصل السابع

ذاتَ يَوْمٍ وَأَنَا فِي طَرِيقِ عَوْدَتِي مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، قَابَلْتُ رِيًّا هَيْبًا ،  
وَمَا كَادَ الْفَتَى يَرَانِي ، حَتَّى صَاحَ قَائِلًا : « إِنَّهَا لَمُفَاجَأَةٌ مُدْهِشَةٌ  
يَا سَيِّدَ كُورْفِيلْد ! إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى مَنْزِلِي ، فَهَيَّا مَعِيَ إِلَى هُنَاكَ . »

أَضْطَرَرْتُ إِلَى مُرَافَقَتِهِ رَغْمًا عَنِّي . وَسَأَلْتُهُ ، وَنَحْنُ نَسِيرُ إِلَى  
مَنْزِلِهِ : « هَلْ مَا زِلْتَ مُدَاوِمًا عَلَى دِرَاسَةِ الْقَانُونِ ؟ »

« أَجَلٌ ، وَلَكِنَّهَا دِرَاسَةٌ عَسِيرَةٌ لِلْغَايَةِ . إِنَّ كُتُبَ الْقَانُونِ تَزْدَحِمُ  
بِالْكَلِمَاتِ اللَّاتِينِيَّةِ ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ  
الصَّعْبَةِ . »

قُلْتُ لَهُ مُشَجِّعًا : « وَلَكِنِّي أَعْرِفُ اللَّاتِينِيَّةَ جَيِّدًا ، وَأَسْتَطِيعُ  
أَنْ أَعْلَمَكَ إِيَّاهَا . » فَلَوَى الْفَتَى جَسَدَهُ كَالْمُعْتَادِ ، ثُمَّ قَالَ : « لَا  
يَا سَيِّدِي ، فَأَنَا رَجُلٌ بَسِيطٌ مُتَوَاضِعٌ ، وَأَمْثَالِي مِنَ الْبُسْطَاءِ لَا



يَشْقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِتَعْلَمِ اللَّاتِينَةِ ، الَّتِي هِيَ حَكْرٌ عَلَى السَّادَةِ  
الْمُتَمِيزِينَ دُونَ سِوَاهُمْ .

الْفَيْتُ السَّيِّدَةُ هَيْبٌ شَدِيدَةٌ الشَّبَهُ بِابْنِهَا يُرْيَا ؛ فَقَدْ كَانَتْ نَحِيلَةً  
الْجِسْمِ ، وَتَوَثَّرُ الْمَلَابِسَ السُّودَاءَ الْقَائِمَةَ عَلَى مَا عَدَاهَا مِنَ الثِّيَابِ .  
وَمَا إِنْ أَخَذْنَا تَجَادِبَ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ حَتَّى انْهَالَا عَلَيَّ بِوَابِلٍ مِنَ  
الْأَسْئَلَةِ عَنْ عَائِلَتِي ، وَعَنْ حَيَاتِي السَّابِقَةِ فِي لَنْدُنْ ، كَمَا سَأَلَانِي  
عَنْ أَخْبَارِ السَّيِّدِ وَكَفَيْلِدِ ، وَابْنَتِهِ أَعْنِيسَ كَذَلِكَ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هَيْبُ : « إِنَّ السَّيِّدَ وَكَفَيْلِدَ مُدْمِنٌ لِلشَّرَابِ ، وَلَقَدْ  
أَضَرَ تَعَاطِي الْخَمْرِ بِصِحَّتِهِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

امْتَعْضْتُ مِنْ فُضُولِهَا الشَّدِيدِ ، فَأَجَبْتُهَا فِي بُرودٍ : « لَسْتُ  
أَدْرِي . »

وَكَانَ بَابُ الْمَنْزِلِ الْخَارِجِيِّ مَفْتُوحًا ، فَلَمَحْتُ رَجُلًا يَمُرُّ  
مِنْ أَمَامِهِ وَيَقِفُ فَجَاءَهُ عِنْدَ الْبَابِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْدَفَعَ  
نَحْوِي وَعَانَقَنِي ، وَهُوَ يَصِيحُ قَائِلًا : « وَلَدِي كُوبَرْفِيلِدُ ! يَا لِلصُّدْفَةِ  
السَّعِيدَةِ ! »

كَانَ الرَّجُلُ هُوَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ ، الَّذِي أَلْقَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ثَانِيَةً فِي

طَرِيقِي . وَقَدَّمْتُ لَهُ يُرْيَا وَالسَّيِّدَةَ هَيْبُ ، وَأَنَا أَشْعُرُ بِعَدَمِ الْإِرْتِيَاحِ ؛  
ذَلِكَ أَنَّنِي خَشِيتُ أَنْ يَتَحَدَّثَ أَمَامَهُمَا عَنْ حَيَاتِي الْبَائِسَةِ مَعَهُ فِي  
لَنْدُنْ ؛ فَقَدْ كَانَا يَظُنَّانِي مِنَ السَّادَةِ الْأَثْرِيَاءِ .

غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَتَحَدَّثْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَاقْتَصَرَ حَدِيثُهُ  
عَلَى زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ دَعَانِي إِلَى الْعِشَاءِ فِي الْفُنْدُقِ الَّذِي  
كَانَ يَنْزِلُ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي رَأَيْتُهُ ، فِي أَثْنَاءِ غُبُورِي أَحَدَ الشُّوَارِعِ ، يَسِيرُ  
بِرُقَّةٍ يُرْيَا ، غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَلْحَظَانِي . وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، أَقَامَ  
لَنَا الرَّجُلُ مَادِبَةً فَاخِرَةً بِالْفُنْدُقِ . وَسَأَلْتُهُ عَلَى انْفِرَادٍ عَنْ رَأْيِهِ  
الْخَاصِّ فِي يُرْيَا ، فَأَجَابَ بِأَنَّهُ شَابٌّ ذَكِيٌّ وَجَدِيرٌ بِالْإِعْجَابِ . كَمَا  
حَدَّثْتَنِي السَّيِّدَةُ مِيكَائِيلُ عَنْ حَيَاتِهَا السَّابِقَةِ فِي بَلَايْمُوثِ . وَقَالَتْ  
فِيمَا قَالَتْهُ إِنَّ الشَّقَاقَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ دَبَّ بَيْنَ عَائِلَتِهَا وَالسَّيِّدِ مِيكَائِيلُ ؛  
بِسَبَبِ تَفَاقُمِ دُيُونِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، كَالْمُعْتَادِ ، وَأَنَّهَا رَأَتْ حَسْمًا  
لِلْخِلَافِ ، أَنْ تَرَحَّلَ مَعَ زَوْجِهَا إِلَى كَانْتَرِبُري حَيْثُ يُمَكِّنُ لَهُمَا أَنْ  
يَبْدَأَ عَمَلًا جَدِيدًا . ثُمَّ ذَكَرَتْ أَنَّهُمَا يَتَنَظَّرَانِ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ سَوْفَ  
يَصِلُهُمَا فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ . وَكَانَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ جَدًّا فَرِحَ فِي  
تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَشَدَا مَعَنَا كَثِيرًا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الطَّرِيفَةِ .



بَيَّدَ أَنَّ الْمَالَ الْمُرْتَقِبَ لَمْ يَصِلْهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ،  
تَلَقَّيْتُ رِسَالَةً تُنَبِّئُنِي بِأَنَّهُ قَدْ اضْطُرَّ لِلرَّحِيلِ عَنِ الْمَدِينَةِ ، بَعْدَ أَنْ  
أَمْسَى عَاجِزًا عَنْ سَدَادِ دَيُونِهِ فِيهَا .

وَمَرْتُ سَنَوَاتُ الدِّرَاسَةِ فِي كَانْتَرِبُري سِرَاعًا ، وَتَوَجَّتْ جُهوُدي  
خِلَالِهَا بِالنَّجَاحِ . وَلَقَدْ جَلَسْتُ أَثْنَاءَهَا كَثِيرًا إِلَى أَعْنِيسِ وَالسَّيِّدِ  
وَكَفِيلِدِ . كَانَتْ أَعْنِيسُ رَقِيقَةً هَادِئَةً الطَّبْعِ عَلَى الدَّوَامِ ، وَكَانَتْ  
مِثْلَ أُخْتٍ وَفِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ لِي . أَمَّا السَّيِّدُ وَكَفِيلِدُ فَكَانَ مُنْصَرَفًا إِلَى  
الشَّرَابِ ، وَلَقَدْ أَدَّى بِهِ ذَلِكَ الدَّاءُ إِلَى التَّوَاكُلِ وَالْكَسَلِ ، فَأَخَذَ  
يَعْهَدُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِهِ إِلَى كَاتِبِهِ يُرِيَا . وَإِنْ هِيَ إِلَّا فِتْرَةٌ قَصِيرَةٌ  
حَتَّى صَارَ هَذَا الْكَاتِبُ الْمُخَادِعُ يَعْرِفُ مِنْ أَسْرَارِ مَكْتَبِ مَخْدُومِهِ  
أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي لِمِثْلِهِ أَنْ يَعْرِفَ .

وَانْتَهَتْ دِرَاسَتِي فِي كَانْتَرِبُري ، وَسَأَلْتَنِي الْعَمَّةُ عَمَّا أَعْتَزَمُ أَنْ  
أَفْعَلَ ، فَأَجَبْتُهَا قَائِلًا : « لَسْتُ أَعْرِفُ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ ، غَيْرَ أَنَّنِي  
أُرِيدُ الْقِيَامَ بِعَمَلٍ نَاجِحٍ وَمُفِيدٍ . »

وَنَصَحَتْنِي الْعَمَّةُ بِأَنْ أَقُومَ بِإِجَازَةٍ قَبْلَ التَّخْطِيطِ لِلْمُسْتَقْبَلِ ،  
وَأَشَارَتْ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ بِيغُونِي .

وَفِي طَرِيقِي إِلَى يَارْمُوثَ ، عَرَجْتُ عَلَى لَنْدَنِ . وَكُنْتُ أُرْتَدِي

مَلَابِسَ جَدِيدَةً أُنِيقَةً ، وَأَبْدُو كَأَحَدِ الْأَثْرِيَاءِ .

وَقَصَدْتُ فُنْدُقًا شَهِيرًا فِي الْمَدِينَةِ ، حَيْثُ جَلَسْتُ إِلَى إِحْدَى  
الْمَوَائِدِ ، وَأَمَرْتُ بِعَشَاءٍ فَاخِرٍ . وَفَجْأَةً وَقَعَ بَصْرِي عَلَى شَابٍّ وَسِيمٍ  
كَانَ يَتَنَاوَلُ عَشَاءَهُ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنِّي ، فَسِرْتُ نَحْوَهُ قَائِلًا : « أَلَا  
تَذْكُرُ أَنَّكَ رَأَيْتَنِي مِنْ قَبْلُ ، يَا صَاحِبَ ؟ »

نَهَضَ الشَّابُّ عَنْ مَقْعَدِهِ ، وَتَطَلَّعَ إِلَيَّ هُنِيهَةً ، ثُمَّ قَالَ : « لَا ،  
لَا أَظُنُّ ذَلِكَ . »

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ احْتَضَنَنِي ، وَهُوَ يَصِيحُ قَائِلًا : « آه ،  
كُورِفِيلِدُ ! إِنَّهُ أَنْتَ يَا صَدِيقِي الْعَزِيزُ ! »

كَانَ هُوَ سْتِيرْفُورْثُ ، الَّذِي ظَهَرَ فِي حَيَاتِي مَرَّةً أُخْرَى .

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ ، قَالَ لِي سْتِيرْفُورْثُ وَنَحْنُ تَتَنَاوَلُ مَعًا طَعَامَ  
الْإِفْطَارِ : « مَا زِلْتُ تَبْدُو صَغِيرَ السِّنِّ ، وَكَأَنَّ سَنَوَاتٍ كَثِيرَةً لَمْ  
تَنْقُضْ مِنْذُ اقْتَرَفْنَا ! وَالْآنَ ، هَيَّا إِلَى مَنْزِلِي لِنَقْضِي مَعًا أَمْسِيَّةً  
لَطِيفَةً . »

« لَكِنِّي أَعْتَزَمُ الذَّهَابَ إِلَى يَارْمُوثَ فِي الْحَالِ . »

« لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، أَرْجُوكَ ! اقْضِ اللَّيْلَةَ مَعِي ، ثُمَّ اذْهَبْ »



في الغد إلى هناك .»

وتطلع إليّ في توسّل ، فابتسمت قائلاً : « لا أستطيع أن أرفض  
لك طلباً ، يا ستيرفورت . سوف أمكث معك الليلة .»

واصطحبني إلى منزله في « هايغيت » ، وهي ضاحية قريبة  
من لندن . وهناك التقيت أمّه ، كما التقيت سيّدة أخرى تسكن  
معهما ، اسمها « روزا دارتل » . كانت أمّه قد تجاوزت العقد  
الرابع ، وتتميّز بقامة مديدة ، وبأنف وكبرياء شديدين . أمّا السيّدة  
الأخرى فكانت غريبة الأطوار ، ولا تبعث على الارتياح ، كما  
كانت تتميّز بنظرات حادة قاسية ، وبندبة بيضاء قبيحة المنظر ،  
تستقر على وجهها قريباً من الفم .

وتحدّثنا عن أهل يارموث ، فسألت السيّدة ستيرفورت قائلة :  
« هل يشبهوننا في المظهر والطباع ؟ »

أجاب ستيرفورت بقوله : « كلا ، فهم يميلون إلى الفظاظة  
والخشونة .»

ورغم إيماني بزيّف هذا الزعم ، فلم أعلّق بشيء .

ولقد سألت صاحبي فيما بعد عن روزا دارتل قائلاً : « كيف





أَصِيبَتِ السَّيِّدَةُ بِهَذِهِ النَّدْبَةِ ؟

فَلَا حَ الْأَسَى وَالضَّيْقُ عَلَى مُحَيَّاهُ ، وَقَالَ : « كَلِّمَا تَذَكَّرْتُ هَذَا الْأَمْرَ شَعَرْتُ بِالدَّنْبِ . لَقَدْ أَحْدَثْتُ بِهَا هَذِهِ الْإِصَابَةَ حِينَ قَدَفْتُهَا بِشَيْءٍ مَا ، عِنْدَمَا كُنْتُ غُلَامًا صَغِيرَ السِّنِّ ! »

وَمَكَثْتُ بِمَنْزِلِ سْتِيرْفُورْثِ بِضْعَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ رَافَقَنِي صَاحِبِي إِلَى يَارْمُوثَ . وَمَا إِنِّ وَصَلْتُ إِلَى تِلْكَ الْبَلَدَةِ الْحَبِيبَةِ إِلَى نَفْسِي حَتَّى هُرَعْتُ لِرُؤْيَةِ بِيغُوتِي ، تَارِكًا سْتِيرْفُورْثَ بِمُفْرَدِهِ فِي الْفُنْدُقِ .

وَدَلَفْتُ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ بَارَكزَ ، فَنَظَرْتُ بِيغُوتِي فِي دَهْشَةٍ إِلَيَّ ، ثُمَّ قَالَتْ : « مَنْ أَنْتَ ؟ »

صَبَحْتُ قَائِلًا : « بِيغُوتِي ، يَا عَزِيزَتِي ! أَلَا تَعْرِفِينَنِي ؟ هَلْ كَبُرْتُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ؟ »

تَطَلَّعَتْ إِلَيَّ ثَانِيَةً ، وَسَرَّعَانَ مَا انْدَفَعَتْ نَحْوِي ، وَضَمَّتْنِي إِلَى صَدْرِهَا ، وَهِيَ تَصِيحُ قَائِلَةً : « دَافِدُ ! آه ، لَكُمُ تَغَيَّرَتْ يَا صَغِيرِي الْعَزِيزَ ! » وَانْهَمَرَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهَا . وَلَكُمُ تَلَبَّثْتُ أَنْ قَادَتْنِي إِلَى حُجْرَةِ زَوْجِهَا السَّيِّدِ بَارَكزَ ، الَّذِي كَانَ مُلَازِمًا فِرَاشَهُ مِنْ مَرَضٍ . وَبَعْدَ أَنْ تَنَاوَلْنَا مَعًا طَعَامَ الْعِشَاءِ حَضَرَ سْتِيرْفُورْثَ ، وَلَقْنَا جَوْ مِنْ الْمَرَحِ وَالْحُبُورِ .

ثُمَّ ذَهَبْتُ وَسْتِيرْفُورْثُ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي ، فَسَمِعْنَا صِيَاحَ الرَّجُلِ وَضَحِكَاتِهِ عِنْدَ الْبَابِ . وَلَكَمَا خَطَوْنَا إِلَى الدَّخْلِ ، رَأَيْنَا هَامَ مُمَسِّكًا بِيَدِ إِمِيلِي ؛ فَأَشْرَقَ وَجْهُ الْفَتَى خَجَلًا ، أَمَّا الْفَتَاةُ فَطَاطَأَتْ رَأْسَهَا إِلَى الْأَرْضِ .

وَصَاحَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي قَائِلًا : « أَسْرَعَا بِالْدُّخُولِ ، فَلَدَيَّ مُفَاجَأَةٌ سَارَّةٌ لَكُمَا ! لَقَدْ اتَّفَقَ هَامُ وَإِمِيلِي عَلَى الزَّوْاجِ ! »

قَالَ سْتِيرْفُورْثُ : « هَذَا حَسَنٌ . وَمَتَى اتَّفَقْتُمْ عَلَى النَّبَأِ السَّعِيدِ ؟ »

أَجَابَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي بِقَوْلِهِ : « مِنْذُ قَلِيلٍ ! »

وَلَكُمُ يَلَبَّثُ هَامُ أَنْ قَالَ : « لَقَدْ أَحْبَبْتُ إِمِيلِي مِنْذُ وَقْتٍ بَعِيدٍ . أَعْرِفُ أَنَّهَا تَصَغَّرُنِي كَثِيرًا فِي السِّنِّ ، وَلَكِنَّهَا قَبِلَتْ الزَّوْاجَ بِي ، وَأَنَا جِدُّ سَعِيدٍ بِذَلِكَ . »

وَشَرَبْنَا جَمِيعًا نَحْبَ الْعُرُوسَيْنِ الْمُرتَقِبَيْنِ . وَتَحَدَّثَ الرَّجَالُ طَوِيلًا ، وَلَكِنْ إِمِيلِي ظَلَّتْ صَامِتَةً ، وَكَانَتْ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ تَخْتَلِسُ النَّظَرَ إِلَى سْتِيرْفُورْثَ . وَمَرَّ الْوَقْتُ سَرِيعًا وَجَنَّ اللَّيْلُ ، فَاسْتَأْذَنْتُ وَسْتِيرْفُورْثَ فِي الْأَنْصِرَافِ .

قَالَ لِي سْتِيرْفُورْثُ ، وَنَحْنُ فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْفُنْدُقِ : « يُحْزِنُنِي أَنْ



إميلي سَوْفَ تَتَزَوَّجُ بـ « هام » . إنها فتاة لطيفة ، رائعة الحُسن ،  
وهي جديرة بأن تكون زوجة أحد السادة النجباء . لكن هام شاب  
قليل الشأن ، محدود الذكاء ، هذا بالإضافة إلى أنه فظ ، سوقي  
المظهر .

صَحَّتْ فِيهِ قَائِلًا : « أَنْتَ عَلَى خَطَأٍ مُبِينٍ ، فَإِنَّ هَامَ شَابٌّ طَيِّبُ  
السَّيَرَةِ ، وَسَوْفَ يَكُونُ زَوْجًا مُنَاسِبًا لِإِمِيلِي ، بِالتَّأَكِيدِ . »

وَضَعَ سَتِيرْفُورْثُ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي ، وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً بَاهِتَةً ، وَهُوَ  
يَقُولُ : « أَنْتَ فَتَى ذَكِيٌّ يَا دَافِيدَ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْهَمْني بَعْدُ . »

وَمَكَثَتْ بِمَنْزِلِ السَّيِّدِ بَارَكزَ لِبَضْعَةِ أَيَّامٍ تَالِيَةٍ ، فِي حِينِ كَانَ  
سَتِيرْفُورْثُ يَبِيتُ فِي الْفُنْدُقِ ، وَيَقْضِي مُعْظَمَ نَهَارِهِ مَعَ الصَّيَّادِينَ .  
وَذَاتِ مَسَاءٍ ، كُنْتُ أَجْلِسُ بِمُفْرَدِي إِلَى جَانِبِ الْمِدْفَأَةِ عِنْدَمَا أَقْبَلَ  
نَحْوِي ، ثُمَّ طَالَعَنِي بِوَجْهِ يَنُمُّ عَنِ الْكَأَبَةِ وَالْحُزَنِ .

سَأَلْتَهُ : « مَاذَا بِكَ ؟ »

أَجَابَ : « لَا شَيْءَ . لَقَدْ أَلَمَ بِي هَاجِسٌ مُؤَلِّمٌ فَحَسَبُ . »

« أَيُّ هَاجِسٍ هَذَا ؟ »

قَالَ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الصَّمْتِ : « لَقَدْ مَاتَ أَبِي مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ،

وَلَكِنِّي أَشْعُرُ الْآنَ بِحَاجَتِي الْمَاسَةِ إِلَيْهِ . لَوْ كَانَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ،  
لَأَمَكَّنَهُ أَنْ يُرْشِدَنِي الْآنَ إِلَى الصَّوَابِ . وَلَكِنْ أُمِّي امْرَأَةٌ قَلِيلَةُ  
الخبرة ، وَهِيَ تُفْسِدُنِي بِتَدْلِيلِهَا وَلَا تُفِيدُنِي بِشَيْءٍ . آه ، أَشْعُرُ أَنَّي  
لَسْتُ شَابًّا رَفِيعَ الْخُلُقِ ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُنِي أَحْسُ بِالْتَّعَاسَةِ وَالْبُؤْسِ . »

قُلْتُ فِي دَهْشَةٍ بِالْغَةِ : « فِيمَ تَتَحَدَّثُ ؟ أَنَا لَا أَفْهَمُ مَا تَعْنِيهِ . »

أَجَابَ بِقَوْلِهِ : « لَيْسَ مُهِمًّا أَنْ تَفْهَمَ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ  
لَهَضَ ، وَأَضَافَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ : « عَلَى أَنَّي قَدْ شَعَرْتُ بِالْأَرْتِيَّاحِ  
بَعْدَ أَنْ أَفْضَيْتُ إِلَيْكَ بِمَا يَضِيقُ بِي صَدْرِي . وَالْآنَ ، هَيَّا نَخْرُجْ  
لِنَتَرَبِّضَ قَلِيلًا . »

وَأَرْدَفَ ، وَنَحْنُ نَسِيرُ عَلَى الشَّاطِئِ قَائِلًا : « لَقَدْ أَقْتَنَيْتُ هُنَا قَارِبًا  
بَدِيعًا . »

أَجَبْتُ فِي دَهْشَةٍ شَدِيدَةٍ : « هُنَا فِي يَارْمُوثَ ؟ وَلَكِنَّكَ لَا تَأْتِي  
إِلَى هَذِهِ الْبَلَدَةِ إِلَّا لِإِمَامًا ! »

« غَيْرَ أَنَّ هَامَ سَيَحْفَظُ بِي نِيَابَةً عَنِّي . »

« آه . قُلْ إِنَّكَ وَهَبْتَهُ لـ « هام » ! لِمَاذَا تُخْفِي هَذَا الْكَرَمَ  
الْعَظِيمَ ؟ »



أَسْرَعَ سْتِيرْفورث قائلاً : « أنا لمْ أَهَبِ القَارِبَ لـ » « هام » .  
إِنَّهُ يَعْنِي بِهِ نِيَابَةً عَنِّي فَحَسَبُ . لَقَدْ أُسْمِيَتْهُ « إِمِيلِي الصَّغِيرَةُ » .

وَكَفَّ سْتِيرْفورث عَنِ الْحَدِيثِ فِي أَمْرِ تَعَاسَتِهِ وَكَتْثَايِهِ . وَانْقَضَى  
الْوَقْتُ فِي يَارْمُوْتٍ سَرِيعاً كَمَا تَنْقُضِي كُلُّ الْأَوْقَاتِ السَّعِيدَةِ ، ثُمَّ  
حَلَّتْ لَيْلَتُنَا الْأَخِيرَةُ فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ السَّاحِرَةِ . كُنْتُ عَائِداً أَنَا  
وَسْتِيرْفورث إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ بَارَكز حِينَ اسْتَوْقَفْنَا هَامَ فِي الْخَارِجِ  
قَائِلًا : « يَحْسُنُ أَلَّا تَدْخُلَا الْآنَ ، فَإِنَّ إِمِيلِي تَتَحَدَّثُ حَدِيثًا خَاصًّا  
إِلَى فِتْنَةٍ فِي الدَّاحِلِ . ثَمَّةَ مَازِقٍ وَقَعَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ ، وَهِيَ تَطْلُبُ  
الْعَوْنَ مِنْ إِمِيلِي . »

وَفَتَحَتْ يِغُوتِي الْبَابَ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَأَذِنَتْ لَنَا بِالْدُخُولِ ، فَرَأَيْنَا  
« مَارْتَا إِنْدِيلَز » جَالِسَةً إِلَى جَانِبِ إِمِيلِي وَهِيَ تَبْكِي بُكَاءً حَارًّا .

قَالَتِ الْمَرْأَةُ بَيْنَ زَفَرَاتِهَا الْمُتَلَا حِقَةَ : « لَقَدْ كُنْتُ فِتْنَةٌ شَرِيرَةٌ ! أُمِّي  
وَأَبِي تَحْلِيَا عَنِّي ، كَمَا أَنَّ أَهَالِي يَارْمُوْتٍ يَكْرَهُونَنِي . يَجِبُ أَنْ  
أَغَادِرَ يَارْمُوْتٍ إِلَى لَنْدَنَ ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ مَكَانٍ لِي . »

سَأَلْتُهَا إِمِيلِي : « وَمَاذَا سَتَفْعَلِينَ فِي لَنْدَنَ ؟ »

أَجَابَتْ بِقَوْلِهَا : « سَوْفَ أَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ ، غَيْرَ أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ  
الْآنَ إِلَى بَعْضِ النُّقُودِ . »

وَسَارَعَتْ إِمِيلِي بِإِعْطَائِهَا مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ ، وَهِيَ تَقُولُ : « وَالْآنَ  
يُمْكِنُكَ الذَّهَابُ إِلَى لَنْدَنَ كَمَا تَشَائِينَ . »

وَشَكَرَتْهَا مَارْتَا بِحَرَارَةٍ ، وَقَالَتْ : « أَنْتِ جِدُّ عَطُوفٍ يَا أَنْسَةُ  
إِمِيلِي . لَنْ أَنْسَى لَكَ هَذَا الْجَمِيلَ مَا حَيَّيْتُ . »

وَمَا إِنَّ غَادَرْتُ مَارْتَا الْبَيْتَ حَتَّى شَرَعَتْ إِمِيلِي فِي الْبُكَاءِ ،  
وَأَخَذَتْ تُرَدِّدُ قَائِلَةً : « وَأَنَا شَرِيرَةٌ مِثْلُ مَارْتَا ! أَنَا شَرِيرَةٌ كَذَلِكَ ! »

وَسَارَعَ هَامَ إِلَى تَهْدِئَتِهَا ، وَهُوَ يَقُولُ فِي ذُهُولٍ : « أَنْتِ شَرِيرَةٌ ؟  
بَلْ أَنْتِ قِمَّةُ الرِّقَّةِ وَالطَّيِّبَةِ وَالْجَمَالِ ! »

وَصَاحَتِ الْفِتْنَةُ قَائِلَةً : « كَلَا يَا هَامَ ، لَسْتُ كَمَا تَزْعُمُ أَوْ  
لَظُنُّ ؛ وَلِذَا فَأَنَا جِدُّ نَعِيسَةٍ . أَرْجُو أَنْ تُسَاعِدَنِي كَيْ أَرْقَى إِلَى  
الْكَمَالِ الَّذِي تَنْشُدُهُ . »

وَأَحَاطَهَا هَامَ بِذِرَاعَيْهِ ، فَأَخَذَتْ فِي الْهُدُوءِ . أَمَّا أَنَا فَقَدْ اسْتَدْتُ  
بِالْحَيَرَةِ فِيمَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ . لَمْ أُسْتَطِعْ حِينَئِذٍ تَبَيِّنَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ  
الْمَشْهَدِ الْغَرِيبِ ، كَمَا لَمْ أُسْتَطِعِ الرِّبْطَ بَيْنَ مَا قَالَتْهُ إِمِيلِي وَمَا  
قَالَهُ سْتِيرْفورثُ عَنِ التَّعَاسَةِ وَالْحُزَنِ . غَيْرَ أَنَّنِي عَرَفْتُ كُلَّ شَيْءٍ  
فِيمَا بَعْدُ .



أَصْدِقَائِهِ ، فَأَعْطَيْتُ الْجَمِيعَ عُنْوَانِي ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْعِشَاءِ فِي  
الْيَوْمِ التَّالِي .

وَاجْتَمَعْنَا حَوْلَ الْعِشَاءِ ، فِي الْمَسَاءِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ . لَكِنْ الْحُمُقُ  
تَمَلَّكَنِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَاسْتَرْسَلْتُ فِي الشَّرَابِ . وَعِنْدَمَا تَمَلَّتْ ،  
صَبَرْتُ أَكْثَرَ حُمَقًا .

وَصَبَحْتُ فِي الْحَاضِرِينَ قَائِلًا : « هَيَّا بِنَا إِلَى الْمَسْرَحِ . إِنَّهُ خَيْرُ  
مَكَانٍ نَقْضِي فِيهِ اللَّيْلَةَ . »

هَتَفَ الرَّفَاقُ مُوَافِقِينَ . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى بَابِ الْمَسْرَحِ ،  
كَانَ صَدِيقًا سْتِيرْفُورْثَ يَسْتَدَانِي مِنَ الْجَانِبِينَ ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَرَنُحُ  
تَمَلًّا . وَبَعْدَ أَنْ جَلَسْتُ فِي مَقْعَدِي بِالْدَاخِلِ أَخَذْتُ أَفْهَقَهُ بِصَوْتِ  
مُزْعِجٍ . وَتَلَفَّتْ فَتَاةٌ كَانَتْ تَجْلِسُ إِلَى جِوَارِي ، غَيْرَ أَنَّ عِشَاوَةَ  
الشَّرَابِ حَالَتْ دُونَ أَنْ أَفْطِنَ إِلَيْهَا . وَرَنْتُ إِلَيَّ الْفَتَاةَ هَنِيهَةً ،  
ثُمَّ قَالَتْ : « أَنْتَ هُوَ دَاوِيدَ كُوِيرْفِيلْدَ ؟ أَكَادُ لَا أَصَدِّقُ عَيْنِي ! »

وَنَظَرْتُ مَلِيًّا إِلَى الْفَتَاةِ ، وَمَا إِنْ عَرَفْتُهَا حَتَّى قُلْتُ فِي تَلَعُّمٍ :  
« أَغْنِيسُ ؟ يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةٍ ! »

قَالَتْ تُعَاتِبُنِي ، وَفِي صَوْتِهَا رَنَّةٌ حُزْنٍ : « كَيْفَ تَوَرَّطْتَ فِي هَذَا  
الْحُمُقِ ، يَا دَاوِيدَ ؟ وَالْآنَ ، أَسْرِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ ، وَالزَّمْ فِرَاشَكَ . »

## الفصل الثامن

عُدْتُ إِلَى لَنْدَنَ بَعْدَ أَنْ قَدَّمْتُ لِي عَمَّتِي أُعْظَمَ الْعَوْنِ  
عَلَى تَحْقِيقِ حُلْمِ حَيَاتِي : وَهُوَ أَنْ أَصْبَحَ مُحَامِيًا ؛ إِذْ كَانَتْ قَدْ  
دَفَعَتْ أَلْفَ جِنِيهِ إِلَى كُلِّ مِنَ الْمُحَامِيِّينَ سِيْنَلُو وَجُورْكِنْزْ كَيَّ  
الَّتِي حَقَّ بِمَكْتَبِهِمَا ، وَكَيَّ يَقُومُ السَّيِّدُ سِيْنَلُو بِتَلْقِينِي مَوَادِّ الْقَانُونِ ،  
وَإِعْدَادِي لِمُمَارَسَةِ مِهْنَةِ الْمُحَامَاةِ . كَمَا اسْتَأْجَرْتُ لِي الْعَمَّةَ  
كَذَلِكَ جَنَاحًا بِمَنْزِلِ السَّيِّدَةِ كَرْبُ فِي الْمَدِينَةِ ، حَيْثُ كَانَتْ تِلْكَ  
السَّيِّدَةُ الْبَدِينَةُ الطَّيِّبَةُ تُعْنَى بِغُرْفِي وَتُعِدُّ لِي الطَّعَامَ .

كَانَتْ لَنْدَنَ مَدِينَةً مُتْرَامِيَةً مُوَحِّشَةً ، لَا سِيَّما بِالنِّسْبَةِ لِشَابٍ  
غَرِيبٍ عَنْهَا مِثْلِي . وَلَقَدْ شَعَرْتُ بِالْوَحْشَةِ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ ،  
بَعْدَ أَنْ كَفَّ سْتِيرْفُورْثَ عَنْ زِيَارَتِي ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ صَدِيقٍ فِيهَا  
سِوَاهُ . غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَلْبَثُ أَنْ قَابَلْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَسِيرُ مَعَ اثْنَيْنِ مِنْ



أَجَبْتُ فِي اسْتِحْيَاءٍ : « أَجَلٌ ، سَوْفَ أَفْعَلُ . » وَغَادَرْتُ الْمَسْرَحَ  
بَيْنَ سُخْرِيَّةِ بَعْضِ الْحَاضِرِينَ وَرِثَاءِ بَعْضِهِمُ الْآخِرِ . وَلَمْ يَلْبَثْ  
سْتِيرْفُورْثُ أَنْ وَضَعَنِي فِي الْفِرَاشِ .

وَاسْتَيْقَظْتُ فِي الصَّبَاحِ مِنْهُوْكَاً مُصَدَّعَ الرَّأْسِ . وَتَذَكَّرْتُ  
أَغْنِيسَ فَشَعَرْتُ بِخَجَلٍ شَدِيدٍ لِمَا بَدَرَ مِنِّي . غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَلْبَثْ  
أَنْ تَلَقَّيْتُ مِنْهَا خِطَاباً تَدْعُونِي فِيهِ إِلَى مُقَابَلَتِهَا فِي مَنْزِلِ السَّيِّدِ  
وَوَتَرَبُّوكِ .

هُنَاكَ قَابَلْتَنِي أَغْنِيسُ بِابْتِسَامَةٍ حَانِيَةٍ ، فَتَوَزَّعَتْ نَفْسِي بَيْنَ  
الدَّهْشَةِ وَالسُّرُورِ ، وَقُلْتُ فِي انْفِعَالٍ شَدِيدٍ : « آه يَا أَغْنِيسُ ! إِنَّنِي  
خَجَلٌ مِنْ نَفْسِي حَقًّا ! كُنْتُ أَحْمَقَ وَسَخِيفًا لَيْلَةَ الْمَسْرَحِ ؛ لِأَنَّنِي  
شَرِبْتُ حَتَّى ثَمَلْتُ . أَرْجُوكِ أَنْ تُسَامِحَنِي . »

أَجَابَتْ فِي رِقَّةٍ وَحَنَانٍ أَعَادَا إِلَيَّ هُدُوءَ نَفْسِي : « لَقَدْ سَامَحْتُكَ  
حَتَّى قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَ إِلَيَّ ذَلِكَ ، فَلَا تَشْغَلْ بِالْكَ بِالْأَمْرِ . لَكِنَّنِي  
أَنْصَحُكَ بِالِابْتِعَادِ عَنْ رَفِيقِ السَّوِّ . »

قُلْتُ فِي دَهْشَةٍ : « وَمَنْ يَكُونُ هَذَا الرَّفِيقُ السَّيِّئُ ؟ »

« سْتِيرْفُورْثُ . إِنَّهُ شَابٌّ خَبِيثٌ الطَّوِيَّةِ . »

صَحْتُ قَائِلًا : « سْتِيرْفُورْثُ ! وَلَكِنَّهُ أَعَزُّ أَصْدِقَائِي ! »

أَجَابَتْ أَغْنِيسُ ، وَهِيَ تُشْرِقُ بِابْتِسَامَتِهَا اللَّطِيفَةِ الْجَدَّابَةِ :  
« آسِفَةٌ ! وَلَكِنَّنِي لَا أَطْمَئِنُّ إِلَى هَذَا الشَّابِّ . وَالْآنَ ، أَرْجُو الْمَعْدِرَةَ  
إِذَا مَا كُنْتُ قَدْ أَسَأْتُ الْأَدَبَ بِقَوْلِي هَذَا . »

قُلْتُ فِي حِمَاسٍ : « لَمْ تَكُونِي قَطُّ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ تَكُونِي !  
وَالْآنَ ، دَعِينَا مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ سْتِيرْفُورْثِ . »

أَجَابَتْ مُسْرِعَةً : « لَا ، فَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ . »

وَصَمَمَتِ الْفَتَاةُ هَنِيئَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : « هَلْ رَأَيْتَ يُرِيَا مِنْذُ وَقْتِ  
قَرِيبٍ ؟ »

« يُرِيَا هَيْبٌ ؟ لَا ، لَمْ أَرَهُ . هَلْ هُوَ فِي لَنْدَنِ الْآنَ ؟ »

وَأَمْتَقَعَ وَجْهُهَا ، وَهِيَ تُجِيبُ قَائِلَةً : « أَجَلٌ ، وَهُوَ يَمْتَلِكُ الْآنَ  
نِصْفَ مَكْتَبِ وَالِدِي . هَلْ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ »

فَقَزْتُ مِنْ مَقْعَدِي ، وَأَنَا أَصِيحُ قَائِلًا : « يُرِيَا يَمْتَلِكُ نِصْفَ  
مَكْتَبِ السَّيِّدِ وَكَفَيْلِدُ ؟ هَذَا شَيْءٌ لَا يُمَكِّنُ تَصَدِيقَهُ ! »

أَجَابَتْ فِي حَزْنٍ : « وَلَكِنَّهُ حَقِيقَةٌ وَاقِعَةٌ ! » ثُمَّ ذَكَرْتُ ،



وَالدَّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهَا ، كَيْفَ أَنْ وَالِدَهَا عَجَزَ عَنْ إِنْجَازِ أَعْمَالِهِ  
بِمُفَرَّدِهِ بَعْدَ أَنْ أَدْمَنَ الشَّرَابَ ، فَزَادَ مِنْ اعْتِمَادِهِ فِي تَصْرِيفِ تِلْكَ  
الْأَعْمَالِ عَلَى يُرْيَا ، وَكَيْفَ اسْتَعْلَى هَذَا الْكَاتِبُ اللَّئِيمُ حَاجَةَ الرَّجُلِ  
الْمَاسَةِ إِلَيْهِ ، فَاضْطَرَّ إِلَى التَّنَازُلِ لَهُ عَنْ نِصْفِ مَكْتَبِهِ .

لَمْ أَتَمَالِكْ نَفْسِي ، وَصِحْتُ فِي أَنْفِعَالٍ شَدِيدٍ : « يُرْيَا ! هَذَا  
الْوَعْدُ الْحَقِيرُ ! إِنِّي لَمْ أَطْمَئِنَّ يَوْمًا إِلَيْهِ ! »

ثُمَّ انْحَنَيْتُ عَلَى أَغْنِيسَ قَائِلًا : « وَلَكِنْ لَا تَبْكِي يَا عَزِيزَتِي ،  
فَدُمُوعُكَ تَهْزُنِي مِنَ الْأَعْمَاقِ . » وَلَمْ تَلْبَثِ السَّيِّدَةُ وَوَتَرَبْرُوكَ أَنْ  
دَلَقَتْ إِلَى الْحَجَرَةِ وَصَافَحَتْنِي ، وَهِيَ تَقُولُ : « هَلْ سَتَتَنَاوَلُ الْعِشَاءَ  
مَعَنَا اللَّيْلَةَ ؟ »

أَجَبْتُهَا : « أَجَلٌ ، إِذَا سَمَحَتْ . »

كَانَتِ السَّيِّدَةُ قَدْ دَعَتْ كَثِيرِينَ إِلَى الْعِشَاءِ ، بَيَدَ أَنَّهُ كَانَ  
عِشَاءً مُحِزَّنًا كَثِيرًا . لَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ ، كَمَا لَمْ  
أَسْعُدْ بِالْجُلُوسِ إِلَى جَانِبِ أَغْنِيسَ . وَلَقَدْ زَادَنِي حُضُورُ يُرْيَا هَيْبَ  
ضَيْقًا وَكَابَةً ، رَغْمَ جُلُوسِهِ بَعِيدًا عَنِّي . وَفَجْأَةً سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ  
الْحَاضِرِينَ يَهْتَفُ بِاسْمِ « تَرَادِلِز » .

تَلَقَّيْتُ فَإِذَا بِهِ صَدِيقُ الْمَدْرَسَةِ الْقَدِيمِ ، فَهَرَعْتُ إِلَيْهِ ، وَأَخَذْنَا

نَسْتَرْجِعُ مَعًا ذِكْرِيَاتِنَا الطَّرِيفَةَ . كَانَتْ سَعَادَتِي لَا تُوصَفُ بِلُقْيَاهُ ،  
وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ قَدَّمْتُهُ إِلَى أَغْنِيسَ ، غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

ثُمَّ أَتَى يُرْيَا هَيْبَ ، وَدَعَانِي إِلَى مُرَافَقَتِهِ عَلَى طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى  
مَسْكَنَيْنَا . وَرَغْمَ تَبَرُّمِي بِهِ وَسُخْطِي عَلَيْهِ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَرْفُضَ لَهُ  
ذَلِكَ الْمَطْلَبَ ، فَخَرَجْنَا مَعًا إِلَى الشَّارِعِ .

قُلْتُ لَهُ أَثْنَاءَ السَّيْرِ : « كَيْفَ حَالُ السَّيِّدِ وَكَيْفَ الْآنَ ؟ »

أَجَابَ : « لَقَدْ أَلَمَ بِهِ الْمَرَضُ نَتِيجَةَ إِدْمَانِهِ لِلْخَمْرِ ، كَمَا تَعْلَمُ ،  
وَقَدْ جَزَأَ كَبِيرًا مِنْ ثَرَوَتِهِ . غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَتَوَانَ فِي مُسَاعَدَتِهِ قَدْرَ  
إِمْكَانِي ، فَأَنَا أَحِبُّ الرَّجُلَ ، كَمَا أَحِبُّ ابْنَتَهُ الْآنِسَةَ أَغْنِيسَ . إِنَّهَا  
فِي غَايَةِ الرَّفَّةِ وَالْجَمَالِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

وَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ خَبِيثَةٌ ، ثُمَّ أَرْدَفَ : « هَلْ تَعْرِفُ  
مَتَى سَتَتَزَوَّجُ الْآنِسَةُ أَغْنِيسَ ؟ وَبِمَنْ ؟ »

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَطْمَحُ إِلَى الزَّوْاجِ بِهَا ، فِي حِينِ أَنَّهَا تَبْغِضُهُ  
أَشَدَّ الْبُغْضِ . وَعَلَى الدَّمِ فِي عُرُوقِي ، وَلَكِنِّي تَمَالَكْتُ نَفْسِي وَلَمْ  
أَجِبْ بِشَيْءٍ ؛ خَشْيَةً أَنْ يُلْحِقَ الْأَذَى بِالْفَتَاةِ أَوْ بِوَالِدِهَا ، وَكَانَ  
ذَلِكَ حِينَتُهُ فِي مَقْدُورِهِ .



اِسْتَدَّ شُعُورِي بِالْوَحْشَةِ فِي لَنْدَنْ ، فَلَقَدْ ذَهَبَ سْتِيرْفُورْثُ إِلَى  
اَكْسْفُورْدَ ، كَمَا لَمْ اَعُدْ اَرَى تَرَادُلَ بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ . لَكِنِّي كُنْتُ  
اَذْهَبُ إِلَى الْمَكْتَبِ كُلَّ صَبَاحٍ ، وَأَقْضِي سَحَابَةَ النَّهَارِ فِي تَعْلُمِ  
الْقَانُونِ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ سَبِينْلُو .

وَذَاتَ يَوْمٍ دَعَانِي السَّيِّدُ سَبِينْلُو لِقَضَاءِ عُطْلَةٍ نِهَآيَةِ الْأُسْبُوعِ فِي  
مَنْزِلِهِ الْكَائِنِ بِأَحْدَى ضَوَاحِي لَنْدَنْ ، فَسَرَرْتُ كَثِيرًا بِذَلِكَ . وَلَمَّا  
حَلَّ يَوْمُ السَّبْتِ ، اصْطَحَبَنِي فِي عَرَبَتِهِ الْخَاصَةِ إِلَى هُنَاكَ .

كَانَ يَمْتَلِكُ مَنْزِلًا كَبِيرًا تُحِيطُ بِهِ حَدِيقَةٌ وَاسِعَةٌ غَنَاءٌ . وَمَا إِنِ  
دَلَفْنَا إِلَى الدَّاخِلِ حَتَّى قَدَمْنِي إِلَى ابْنَتِهِ دُورَا ، وَإِلَى سَيِّدَةٍ أُخْرَى  
كَانَتْ تَعْمَلُ مَرْبِيَّةً لَهَا وَمُدِيرَةً لِلْمَنْزِلِ . وَلَشَدَّ مَا كَانَتْ دَهْشَتِي  
حِينَ وَجَدْتُ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ الْآنِسَةُ مِرْدِسْتُونُ !

وَصَافَحْتُ الْآنِسَةَ مِرْدِسْتُونُ دُونَ اكْتِرَافٍ مُرَدِّدًا بِأَنِّي أَعْرِفُهَا مِنْ  
قَبْلُ . أَمَّا دُورَا ، فَقَدْ وَقَعْتُ أُسِيرَ جَمَالِهَا وَفَتْنَتِهَا مُنْذُ النُّظَرَةِ الْأُولَى ؛  
فَلَمْ اَعُدْ اَرَى فِي الْحُجْرَةِ أَحَدًا سِوَاهَا . كَانَتْ رَآئِعَةً الْبَهَاءِ مِثْلَ  
زَهْرَةِ نَادِرَةٍ بَدِيعَةٍ تَتَالَقُ فِي نَدَى الْفَجْرِ الْبَهِيحِ السَّاحِرِ .

وَتَوَجَّهْتُ إِلَى غُرْفَتِي لِاسْتِرِيحَ قَلِيلًا ، لَكِنَّ وَجْهَهَا الْجَمِيلَ ظَلَّ  
مُرْتَسِمًا فِي مُخَيَّلَتِي . ثُمَّ هَبَّطْتُ إِلَى قَاعَةِ الطَّعَامِ لِتَنَاوُلِ الْعِشَاءِ .

وَأَخَذَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ يَتَحَدَّثُ إِلَيَّ ، لَكِنِّي كُنْتُ فِي شُغْلٍ عَنْهُمْ  
بِالتَّطَلُّعِ إِلَيْهَا . وَبَعْدَ الْعِشَاءِ غَادَرْنَا الْمَائِدَةَ إِلَى الرَّدْهَةِ ، فَاتَّخَذْتُ  
الْآنِسَةَ مِرْدِسْتُونُ مَجْلِسَهَا إِلَى جَانِبِي ، ثُمَّ هَمَسَتْ فِي أُذُنِي قَائِلَةً :  
« سَيِّدُ كُويرْفِيلْدُ ، أَصْنَعُ جَيِّدًا إِلَى مَا سَأَقُولُ . »

أَجَبْتُهَا : « إِنِّي فِي تَمَامِ الْإِصْغَاءِ يَا آنِسَةُ مِرْدِسْتُونُ . »  
« أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّنِي لَا أَحِبُّكَ ، وَلَا أَحِبُّ عَمَّتَكَ ، وَأَنْكُمَا لَا  
تُحِبَّانِي كَذَلِكَ . »

« هَذَا مَا أَعْرِفُهُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . »

« غَيْرَ أَنَّهُ مِنَ الْأَجْدَى لِكَلِينَا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ أَنْ يُرَاعِيَ كُلُّ  
مِنَا الْأَدَبَ فِي مَسْلَكِهِ نِجَاحَ الْآخَرِ . »

قُلْتُ : « أَجَلُ ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّائِقِ أَنْ يَنْشَبَ بَيْنَنَا شِجَارٌ فِي هَذَا  
الْبَيْتِ . »

قَالَتْ : « لَا ، لَنْ يَنْشَبَ بَيْنَنَا شِجَارٌ ، فَأَنَا أَلْزَمُ جَانِبَ الْأَدَبِ فِي  
تَصَرُّفِي عَلَى الدَّوَامِ . »

وَتَرَكْتُهَا مُنْصَرَفًا إِلَى فِرَاشِي . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَلَمْتُ بِـ  
« دُورَا » حُلْمًا وَرَدِيًّا بَهِيجًا . وَاسْتَيْقَظْتُ مُبَكَّرًا فِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ ،





وَأَخَذْتُ أَتَجَوَّلُ فِي حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ ، فَالْتَقَيْتُ فَاثْنَتِي هُنَاكَ .

قَالَتْ لِي بِصَوْتِهَا الْعَذْبِ الْهَادِي : « طَابَ صَبَاحُكَ . »

وَرَدَدْتُ تَحِيَّتَهَا بِقَلْبٍ خَافِقٍ ، ثُمَّ أَرَدْتُ : « أَرَى أَنَّكَ عُدْتَ مِنْ  
فَرَنْسَا مِنْذُ وَقْتٍ قَصِيرٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَتْ : « أَجَلٌ . هَلْ ذَهَبْتَ إِلَى فَرَنْسَا مِنْ قَبْلُ ؟ »

« لَا ، كَمَا أَنَّنِي لَا أَرْغَبُ فِي مُغَادَرَةِ إِنْجِلْتَرَا . »

« لَا تَرْغَبُ فِي مُغَادَرَةِ إِنْجِلْتَرَا ؟ لِمَاذَا ؟ »

أَجَبْتُ فِي ابْتِسَامَةٍ رَقِيقَةٍ : « لِأَنَّكَ تَعِيشِينَ فِيهَا يَا أَنِسَةُ دُورَا .  
لِأَنَّكَ هُنَا فِي إِنْجِلْتَرَا . فَأَشْرَقَ وَجْهُهَا حَيَاءً ، وَلَكِنَّهَا ضَحِكَتْ  
قَائِلَةً لِكَلْبِهَا الصَّغِيرِ الْوَاقِفِ إِلَى جِوَارِهَا : « إِنَّ السَّيِّدَ كُوپِرْفِيلْدَ  
مُجَامِلٌ لَطِيفٌ يَا جِيپَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ دَعَنْتِي إِلَى مُرَافَقَتِهَا فِي السَّيْرِ لِمُشَاهَدَةِ زُهُورِ  
الْحَدِيقَةِ الْجَمِيلَةِ . وَأَخَذْتُ تَتَطَلَّعُ إِلَى أَزْهَارِهَا الرَّائِعَةِ فِي حِينِ  
كُنْتُ أَخْتَلِسُ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهَا الْخَلَّابِ السَّاحِرِ . كَانَتْ أَشَدَّ فِتْنَةً  
مِنْ كُلِّ الزُّهُورِ الْحُلْوَةِ الْيَانِعَةِ !



وَاسْتَطَرَدَّتْ ، وَتَحَنُّنٌ نَسِيرٌ فِي رُكْنٍ قَصِيٍّ مِنَ الْحَدِيقَةِ النَّصِيرَةِ  
الْعَاطِرَةِ : « هَلِ الْآنِسَةُ مُرْدِسْتُونَ صَدِيقَةٌ لَكَ ؟ »

أَجَبَتْهَا بِالنَّفْيِ ، فَأَرَدَفَتْ قَائِلَةً : « لَقَدْ أَتَلَجْتَ صَدْرِي بِهَذِهِ  
الْإِجَابَةِ ، فَأَنَا أَمَقَّتُهَا . إِنَّهَا تَتَبَعُنِي كَظِلِّي ، بَلْ وَتَتَلَصَّصُ عَلَيَّ  
أَحْيَانًا . »

ثُمَّ قَبِلَتْ كَلْبَهَا الصَّغِيرَ ، وَهِيَ تُخَاطِبُهُ فِي رَقَّةٍ وَعُدُوبَةٍ قَائِلَةً :  
« أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا جِيْب ؟ »

وَتَجَادَبْنَا مَعًا أَطْرَافَ الْحَدِيثِ . ثُمَّ حَضَرَتْ الْآنِسَةُ مُرْدِسْتُونَ ،  
وَطَلَبْتُ مِنَّا التَّوَجُّهَ إِلَى الْبَيْتِ لِتَنَاوُلِ طَعَامِ الْإِفْطَارِ .

غَيْرَ أَنَّنِي سَأَلْتُ دَائِمًا ذَلِكَ الْأَحَدَ الْبَهِيحَ الَّذِي قَضَيْتُهُ مَعَ دُورَا  
فِي غَمْرَةٍ مِنَ النَّشْوََةِ وَالسَّعَادَةِ . وَكَانَتْ الْآنِسَةُ مُرْدِسْتُونَ مَعَنَا فِي  
الْمَنْزِلِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَحْسُ بِبُجُودِهَا ، فَقَدْ صَارَتْ أَتْفَهَ مِنْ أَنْ تُثِيرَ  
فِي نَفْسِي شَيْئًا مِنَ الْأَلَمِ أَوْ التَّعَاسَةِ .

لَكِنِ الْكَاتِبَةُ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ عَاوَدَتْنِي عِنْدَمَا عُدْتُ إِلَى لَنْدُن . وَبَرَحَ  
بِي الشَّوْقُ لِلرُّؤْيَةِ دُورَا ، فَأَخَذْتُ أَذْرُعَ شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ جِيئَةً وَذَهَابًا  
أَمَلًا فِي لُقْيَاهَا . وَذَاتَ مَرَّةٍ رَأَيْتُهَا دَاخِلَ عَرَبَتِهَا الْخَاصَةِ ، وَلَوْحَتْ

لِي مِنَ الْعَرَبَةِ فِي أَثْنَاءِ سَيْرِهَا ؛ فَعَمَّرْتَنِي سَعَادَةً بِالْغَةِ لِذَلِكَ .

قَالَتْ لِي السَّيِّدَةُ كَرَبُ - صَاحِبَةُ الْمَسْكَنِ - ذَاتَ صَبَاحٍ :  
« مَاذَا يَكُ ، يَا سَيِّدُ كُوپِرْفِيلْد ؟ أَرَأَيْكَ وَاجِمًا ، شَاحِبَ الْوَجْهِ . »

أَجَبَتْهَا مُتَضَاحِكًا : « هَلْ تَغَيَّرْتُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ؟ »

« أَجَلٌ . هَلْ أَنْتَ عَلَى مَا يُرَامُ ؟ » فَرَدَدْتُ بِالْإِجَابِ .

وَتَطَلَّعَتِ السَّيِّدَةُ إِلَيَّ ثَانِيَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : « إِنَّنِي أَعْرِفُ سَبَبًا شَائِعًا  
لِهَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ الْفُجَائِيَّةِ الَّتِي تَعْتَرِي الشَّبَابَ مِنْ أَمْثَالِكَ . أَغْلَبُ  
الظَّنُّ أَنَّكَ التَّقِيْتُ فَتَاةً جَمِيلَةً جَذَابَةً ، وَأَنَّ سِيَّهَامَ كُيُوبِيدَ قَدْ أَصَابَتْ  
قَلْبَكَ الْغَضَّ ! »



« متى سَتْتَهِي مِنْ دِرَاسَتِكَ ، وَتَصْبِحُ مُحَامِيًا ؟ »

وَبَدَا الضَّيْقُ عَلَى مُحَيَّاهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَسْتُ أَدْرِي عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ ، وَلَكِنْ هَذَا الْيَوْمَ يَبْدُو بَعِيدًا ! »

غَيْرَ أَنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَهَلَّلَ بِالسَّعَادَةِ ، وَهُوَ يَسْتَطِرِدُّ قَائِلًا :  
« إِنِّي أَحِبُّ فَتَاةً لَطِيفَةً تُدْعَى « صُوفِي » ، وَهِيَ تُبَادِلُنِي الْحُبَّ .  
وَلَكِنْ يَتَحَتَّمُ أَنْ نَنْتَظِرَ بَعْضَ الْوَقْتِ حَتَّى نَتِمَكَّنَ مِنْ إِتِمَامِ الزَّوْاجِ . »  
وَأُطْرَقَ هَنِيئُهُ ، ثُمَّ أَرْدَفَ : « إِلَّا أَنَّا نَسْتَطِيعُ الْإِنْتِظَارَ ؛ فَنَحْنُ مُتَحَابَّانِ وَمُتَفَاهِمَانِ . »

قُلْتُ فِي جَدَلٍ : « لَقَدْ أَسْعَدَنِي سَمَاعُ هَذَا النَّبَأِ السَّارِّ . »

وَتَجَوَّلَ الْفَتَى بِبَصَرِهِ فِي أَتْحَاءِ الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : « حُجْرَتِي هَذِهِ لَيْسَتْ جَيِّدَةً ، كَمَا تَرَى ، وَلَكِنْ إِيجَارُهَا زَهِيدٌ ، كَمَا أَنَّ جَارِي رَجُلًا طَيِّبًا . »

عِنْدَئِذٍ سَمِعْتُ صَوْتًا يُنَادِي فِي الْخَارِجِ ، فَلَمَّا سَأَلْتُ تَرَادِلْزَ عَنْ صَاحِبِ الصَّوْتِ ، فَاجَأَنِي بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُ جَارِي الطَّيِّبِ السَّيِّدِ مِيكَائِيلِ . »

وَدَلَفَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ إِلَى الْحُجْرَةِ . وَمَا إِنِّ رَأَيْتُ حَتَّى صَاحَ

## الفصل التاسع

كُنْتُ لَا أَزَالُ أَشْعُرُ بِالْغُرْبَةِ ، وَهَكَذَا سَعَيْتُ إِلَى زِيَارَةِ تَرَادِلْزَ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُ بَيْتًا مُتَوَاضِعًا فِي أَحَدِ الْأَحْيَاءِ الْفَقِيرَةِ . وَمَا إِنِّ رَأَيْتُ حَتَّى صَاحَ قَائِلًا : « كُوْبِرْفِيلْد ! آه يَا صَدِيقِي الْعَزِيزَ ! إِنَّهُ لَجَمِيلٌ مِنْكَ أَنْ تَبْدَأَنِي بِالزِّيَارَةِ ، فَأَنْتَ الشَّخْصُ الْوَحِيدُ الَّذِي زَارَنِي مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ شَهْرٍ . »

كَانَ يُقِيمُ بِحُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ ضَيِّقَةٍ ، تَتَوَسَّطُهَا مَنُضْدَةٌ صَغِيرَةٌ ، عَلَيْهَا أَوْرَاقٌ وَبَضْعَةٌ أَقْلَامٍ .

سَأَلْتُهُ : « مَاذَا تَعْمَلُ الْآنَ يَا تَرَادِلْزَ ؟ »

أَجَابَ : « إِنِّي أَدْرُسُ الْقَانُونَ ؛ فَقَدْ اشْتَغَلْتُ بِجِدٍّ وَمُثَابَرَةٍ كَثِيرَةٍ أَحْضَلْتُ عَلَى نُقُودٍ ، ثُمَّ دَفَعْتُ بِالْمَبْلَغِ الَّذِي جَمَعْتُهُ إِلَى أَحَدِ الْمُحَامِينَ ، لِأَدْرُسَ الْقَانُونَ عَلَى يَدَيْهِ . »



قَائِلًا : « وَلَدِي الْعَزِيزَ كُوِيرْفِيلِد ! إِنَّهَا مُفَاجَأَةٌ مُدْهِشَةٌ ! سَوْفَ تُسَرُّ زَوْجَتِي كَثِيرًا بِلُقْيَاكَ . »

سَأَلَتْهُ : « كَيْفَ حَالُكَ ، يَا سَيِّدُ مِيكَאוِير ؟ »

أَجَابَ : « مَا زِلْنَا فَقْرَاءَ ، وَلَكِنْ لَنَا صَدِيقٌ مُخْلِصٌ هُنَا هُوَ السَّيِّدُ تَرَادُلَزْ ، كَمَا أَنَّنَا نَنْتَظِرُ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ سَوْفَ يَأْتِينَا قَرِيبًا . »  
ثُمَّ أَرَدَفَ ، وَهُوَ يَضْحَكُ فِي جَدَلٍ : « نَحْنُ نَتَعَلَّقُ دَائِمًا بِجِبَالِ الْأَمَلِ . »

وَلَقَدْ سُرَّتْ بِلِقَاءِ السَّيِّدِ مِيكَاوِيرَ وَزَوْجَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَدَعَوْتُهُمَا مَعَ تَرَادُلَزْ إِلَى عِشَاءٍ فِي مَنْزِلِي . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَزَجَ لَنَا السَّيِّدُ مِيكَاوِيرَ شَرَابًا فَرِيدًا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ ، وَشَرَعَ يُغْنِي فِي مَرَحٍ شَدِيدٍ .

كَانَ الشَّرَابُ رَائِعَ الْمَذَاقِ ، وَلَكِنَّ اللَّحْمَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ؛ فَقُلْتُ لِصُيُوفِي فِي خَجَلٍ : « مَعْدِرَةٌ إِذَا كَانَتِ السَّيِّدَةُ كَرَبٌ لَمْ تَنْضِجِ اللَّحْمَ جَيِّدًا عَلَى النَّارِ ! »

صَاحَ السَّيِّدُ مِيكَاوِيرُ قَائِلًا : « لَا عَلَيْكَ يَا سَيِّدُ كُوِيرْفِيلِد ، فَسَوْفَ أَعَالِجُ أَنَا الْأَمْرَ . »

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَطَعَ اللَّحْمَ إِلَى شَرَائِحَ صَغِيرَةٍ ، ثُمَّ أَعَادَ طَهِيئَهُ عَلَى النَّارِ ، فَأَكَلْنَاهُ بِشَهْوَةٍ بِالْغَةِ ، فِي حِينٍ كُنَّا نَسْمُرُ وَنَغْنِي فِي سَحَابَةٍ مِنَ السَّعَادَةِ .

وَسَأَلْتُ السَّيِّدَ مِيكَاوِيرَ عَنْ عَمَلِهِ ، فَأَجَابَنِي قَائِلًا : « لَيْسَ لِي عَمَلٌ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ ، غَيْرَ أَنَّنِي أَتَوَقَّعُ الْحُصُولَ عَلَى عَمَلٍ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ . »

أَرَدْتُ قَائِلًا : « أَلَيْسَ فِي إِمْكَانِكَ أَنْ تَقْتَرِضَ بَعْضَ الْمَالِ ؟ »

أَجَابَنِي : « لَقَدْ اقْتَرَضْتُ بِالْفِعْلِ ، غَيْرَ أَنَّنِي أَنْفَقْتُ مَا اقْتَرَضْتُ . »

وَارْتَسَمَ الْحُزْنُ لِحَظَةً عَلَى جَبِينِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ ابْتَسَمَ وَقَالَ :  
« أَرَى أَنَّكَ قَدْ كَبُرْتَ يَا كُوِيرْفِيلِد ، وَأَصْبَحْتَ شَابًا وَجِيهًا جَدًّا .  
أَلَمْ تَتَفَكَّرْ بَعْدُ فِي الزَّوْاجِ ؟ أَلَمْ تَعْتَرِ بَعْدُ عَلَى نِصْفِكَ الْحُلُو ؟ »

« أَجَلٌ ، لَقَدْ عَثَرْتُ . »

قَالَ ، وَالْفَرَحَةُ مُرْتَسِمَةً فِي عَيْنَيْهِ : « إِنَّنِي سَعِيدٌ بِذَلِكَ . هَلْ هِيَ قِتَاةٌ جَمِيلَةٌ ؟ »

« بَلْ رَائِعَةٌ الْحُسْنِ . »



وَجَنُّ اللَّيْلِ ، فَاسْتَأْذَنَ الضُّيُوفُ فِي الانْصِرَافِ . وَخَرَجَ تَرَادُلُزُ  
وَالسَّيِّدَةُ مِيكَائِيلُ إِلَى الشَّارِعِ ، وَلَكِنَّ السَّيِّدَ مِيكَائِيلَ تَلَكَّأَ بَعْضَ  
الشَّيْءِ . وَأَخْرَجَ الرَّجُلُ مِنْ جَيْبِهِ خِطَابًا ، وَقَدَّمَهُ لِي وَهُوَ يَقُولُ :  
« لَا تَقْرَأْ هَذَا الْخِطَابَ الْآنَ يَا كُوبِرْفِيلْد ، وَلَكِنْ تَسْتَطِيعُ قِرَاءَتَهُ بَعْدَ  
انْصِرَافِي . »

وَمَا إِنَّ خَرَجَ حَتَّى تَوَجَّهْتُ إِلَى حُجْرَتِي . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ سَمِعْتُ  
وَقَعَ أَقْدَامَ عَلَى السَّلَمِ ، ثُمَّ صَوْتًا يُنَادِينِي قَائِلًا : « دَافِيد ، هَلْ أَنْتَ  
بِالدَّخِيلِ ؟ » كَانَ هُوَ صَوْتُ صَدِيقِي سْتِيرْفُورْث .

وَدَلَفَ سْتِيرْفُورْثُ إِلَى الْحُجْرَةِ ، وَصَاحَ قَائِلًا وَهُوَ يَقَهْقَهُ : « لَقَدْ  
فَاجَأَتْكَ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

وَتَطَلَّعَ إِلَى بَقَايَا الطَّعَامِ ، وَقَالَ : « آه ، لَقَدْ كُنْتُ فِي وَلِيمَةٍ مَعَ  
أَصْدِقَائِكَ . إِنَّكَ مُغْرَمٌ بِالْأَكْلِ وَالْمَرْحِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « أَجَلٌ ، وَكَانَ عِنْدِي أَصْدِقَاءُ قَدَامَى . هَلْ تَذْكُرُ  
تَرَادُلُزُ ؟ »

« تَرَادُلُزُ ؟ لَا ، لَا أَذْكُرُهُ . »

« كَيْفَ لَا تَذْكُرُهُ ؟ لَقَدْ كَانَ زَمِيلًا وَصَدِيقًا لَنَا فِي الْمَدْرَسَةِ . »

وَشَرَّدَ سْتِيرْفُورْثُ بِفِكْرِهِ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قَالَ : « تَرَادُلُزُ ! آه ، لَقَدْ  
تَذَكَّرْتُهُ . إِنَّهُ ذَلِكَ الْفَتَى الْأَحْمَقُ ! »

وَأَخْبَرَنِي سْتِيرْفُورْثُ أَنَّهُ قَادِمٌ مِنْ يَارْمُوثَ ، وَأَنْ إِمِيلِي سَوْفَ تَتَزَوَّجُ  
بِهِمْ خِلَالَ أَيَّامٍ . ثُمَّ نَاوَلَنِي خِطَابًا مِنْ بِيغُوتِي قَائِلًا : « إِنَّ زَوْجَهَا  
السَّيِّدَ بَارَكزَ عَلَى شَفِيرِ الْمَوْتِ . »

وَقَرَأْتُ الْخِطَابَ ، ثُمَّ قُلْتُ : « سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَى يَارْمُوثَ ؛ فَإِنْ  
بِيغُوتِي فِي مِحْنَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَهِيَ تُرِيدُ أَنْ تَرَانِي . »

أَجَابَ سْتِيرْفُورْثُ : « لَا ، بَلْ سَتَذْهَبُ إِلَى هَائِغِيَتِ أَوَّلًا ؛ فَإِنْ  
أُمِّي وَرُوزَا تَرَعَّبَانِ فِي رُؤْيَتِكَ . »

« وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى يَارْمُوثَ فِي الْحَالِ . »

قَالَ سْتِيرْفُورْثُ فِي ضَيْقٍ : « يُمَكِّنُكَ الدَّهَابُ إِلَى يَارْمُوثَ بَعْدَ  
يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ . وَالْآنَ ، هَيَّا لِنَتَرِيضَ مَعًا فِي الْخَارِجِ . »

وَخَرَجْنَا مَعًا إِلَى الشَّارِعِ ، وَأَخَذْنَا نَتَجَادَبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ فِي  
أَثْنَاءِ سَيْرِنَا نَحْوَ مَنْزِلِهِ . كَانَ الْفَتَى يَبْدُو شَدِيدَ الْانْفِعَالِ ، وَرَبَّمَا  
كَانَ تَمِلًا بَعْضَ الشَّيْءِ . وَمَا إِنَّ شَارَفْنَا الْمَنْزِلَ حَتَّى وَدَّعْتُهُ ،  
وَقَفَلْتُ رَاجِعًا إِلَى مَسْكَنِي . عِنْدَئِذٍ شَرَعْتُ فِي قِرَاءَةِ خِطَابِ السَّيِّدِ



ميكاور ، وَكَانَ نَصُّهُ كَمَا يَلِي :

« عزيزي كوبرفيلد

لَقَدْ أَنْفَقْتُ كُلَّ نَقُودِي ، وَاقْتَرَضْتُ مِنْ تَرَادِلز ، غَيْرَ أَنِّي  
أَضَعْتُ نَقُودَ تَرَادِلزَ أَيْضًا ، وَأَصْبَحْتُ مُفْلِسًا تَمَامًا ! لَقَدْ آذَيْتُ  
تَرَادِلزَ كَمَا آذَيْتُ نَفْسِي ! وَأَشْعُرُ الْآنَ بِالْحَجَلِ وَالْعَارِ لِذَلِكَ ! لَنْ  
أَرَكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَنَا رَجُلٌ سَفِيهٌ ، وَغَيْرُ جَدِيرٍ بِالِاحْتِرَامِ .»

( وَلَكِنَّزَ مِيكَاورِ )

شَعَرْتُ بِالْأَسَى لِمَاسَةِ السَّيِّدِ مِيكَاورِ ، كَمَا حَزَنْتُ لِمَا أَصَابَ  
تَرَادِلزَ كَذَلِكَ .

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِي ، طَلَبْتُ إِلَى السَّيِّدِ سَيِّنَلو أَنْ يَمُنِّحَنِي إِجَازَةً .  
ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى مَنْزِلِ سْتِيرْفورث فِي هَايْغيت . وَاثْنَاءَ وُجُودِي فِي  
الْحَجَرَةِ مُتَفَرِّدًا ، دَخَلْتُ رُوزَا دَارْتِل وَجَلَسَتْ إِلَى جَانِبِي ، ثُمَّ  
قَالَتْ فِي عِبَارَاتٍ مُتَقَطِّعَةٍ : « أَنَا أَعْرِفُ سْتِيرْفورثَ جَيِّدًا ، وَأَحْسُ  
بِمَا يَعْتَمِلُ فِي دَاخِلِهِ حِينَ يَحْزَنُ أَوْ يَضْطَرُّ . لَقَدْ أَضْحَى قَلِقًا ،  
سَرِيعَ الانْفِعَالِ هَذِهِ الْأَيَّامَ . تَرَى مَاذَا يَفْعَلُ الْآنَ فِي يَارْموثَ ،  
أَوْ مَاذَا ارْتَكَبَ مِنْ خَطَا هُنَاكَ ؟ إِنَّنِي لَفِي عَجَبٍ شَدِيدٍ مِنْ أَمْرِهِ !»

وَصَمَّتْ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قَطَبَتْ مَا بَيْنَ حَاجِبَيْهَا ، وَأَرْدَقَتْ قَائِلَةً :  
« أَيُّ رِيحٍ شَرِيرَةٍ قَادِمَةٌ ؟ إِنَّنِي أَحْسُ بِخَطَرٍ وَشَيْكٍ .»

وَفِي الْمَسَاءِ ، التَّامَ شَمَلْنَا حَوْلَ مَائِدَةِ الْعِشَاءِ . وَاقْتَرَبَ سْتِيرْفورثُ  
مِنْ رُوزَا قَائِلًا : « لِمَاذَا أَنْتِ مُكْتَنِبَةٌ يَا رُوزَا ؟ لَا تَسْتَسْلِمِي لِلْهَوَاجِسِ  
وَالْأَفْكَارِ . هَيَّا شَفِي أَسْمَاعَنَا بِشَيْءٍ مِنَ الْغِنَاءِ ، فَإِنَّ لَكَ صَوْتًا  
جَمِيلًا .» وَنَهَضَتِ الْفَتَاةُ وَشَدَتْ بِأَغْنِيَةٍ غَرِيبَةٍ تَنْضَحُ بِالشَّجَنِ . وَمَا  
إِنْ فَرَعَتْ مِنَ الْغِنَاءِ حَتَّى لَحِقَ بِهَا سْتِيرْفورثُ وَأَخَذَ يُدَاعِبُ شَعْرَهَا  
بِيَدِهِ قَائِلًا : « يَا لَهَا مِنْ أَعْنِيَةٍ عَذْبَةٍ جَمِيلَةٍ !»

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَاةَ انْتَفَضَتْ وَاقِفَةً ، وَهِيَ تَرْدُّدٌ فِي عَضْبٍ : « لَا  
تَلْمِسْنِي ، أَرْجُوكَ !» ، ثُمَّ هَرَوَلَتْ إِلَى خَارِجِ الْحَجَرَةِ .

وَسَأَلَتْ صَاحِبِي عَنْ سَبَبِ هَذَا السُّلُوكِ مِنْ جَانِبِهَا ، فَأَجَابَنِي  
بِقَوْلِهِ : « لَا تَهْتَمُّ بِالْأَمْرِ ، فَإِنَّ رُوزَا فَتَاةٌ غَرِيبَةٌ الْأَطْوَارِ .»

قُلْتُ لِسْتِيرْفورثَ ، بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الصَّمْتِ : « قَدْ لَا أَرَكَ ثَانِيَةً فِي  
الْغَدِ ، فَسَوْفَ أُرْحَلُ إِلَى يَارْموثَ فِي الصَّبَاحِ الْمُبَكِّرِ .»

وَشَدَّ الْفَتَى عَلَى يَدِي مُودِّعًا ، وَقَالَ وَقَدْ ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ  
ابْتِسَامَةٌ حَزِينَةٌ : « طَابَتْ لَيْلَتُكَ يَا دَافِيدَ . أَرْجُو أَنْ تَتَذَكَّرَنِي بَيْنَ



الْحَيْنَ وَالْآخِرَ ، فَلَسْتُ شَرِيرًا بِالْفِطْرَةِ كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ .»

عَجِبْتُ لِهَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَلَكِنِّي أَسْرَعْتُ بِالْقَوْلِ : « سَوْفَ  
أَتَذَكَّرُكَ دَائِمًا يَا سَتِيرْفُورْث ، فَأَنْتَ أَعَزُّ أَصْدِقَائِي .»

## الفصل العاشر

وَصَلْتُ إِلَى يَارْمُوثَ قُرْبَ ظَهْرِ الْيَوْمِ التَّالِي ، وَلَكِنْ مَا إِنَّ  
وَصَلْتُ حَتَّى ، كَانَ بَارَكزُ قَدْ وَدَّعَ الْحَيَاةَ .

سِرْتُ فِي جِنَازَةِ السَّيِّدِ بَارَكز . وَكَانَ يَوْمًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ ، وَسَارَ  
فِي وَدَاعِهِ أَفْرَادٌ قَلِيلُونَ . ثُمَّ عُدْتُ بَعْدَ الْجِنَازَةِ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ  
بِغُوتِي ، وَأَخَذْتُ أَفَكَّرُ فِي زَوْجِ شَقِيقَتِهِ الرَّاحِلِ . كَانَ قَدْ ادَّخَرَ  
مَبْلَغًا يَرَبُو عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْجَنِيَهَاتِ ، أَوْصَى بِثُلَاثِيهِ لِزَوْجَتِهِ ،  
وَبِالثُّلُثِ الْآخِرِ لِصِهرِهِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي .

كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا فِي الْخَارِجِ ، وَلَكِنْ مَنْزِلُ السَّيِّدِ بِيغُوتِي كَانَ  
دَافِئًا وَمُرِيحًا . غَيْرَ أَنَّ السَّيِّدَةَ غَمِيدُجَ كَانَتْ لَا تَزَالُ عَلَى حَالِهَا مِنَ  
السُّخْطِ وَالتَّدْمُرِ .

وَفُتِحَ الْبَابُ وَدَخَلَ رَجُلٌ تَحْجُبُ قُبْعَتُهُ الضَّخْمَةُ نِصْفَ وَجْهِهِ .  
كَانَ الرَّجُلُ هُوَ هَامُ ، وَمَا إِنَّ رَأَيْ حَتَّى قَالَ : « نَعَالَ مَعِيَ إِلَى  
الْخَارِجِ ، يَا سَيِّدَ دَافِيدَ ، لَوْ سَمَحْتَ .»



وَخَرَجْتُ أَنَا وَهُوَ مِنَ الْمَنْزِلِ . وَمَا إِنَّ وَطِئْتُ أَقْدَامُنَا أَرْضَ الشَّارِعِ  
حَتَّى بَادَرْتَهُ بِالسُّؤَالِ : « مَا خَطْبُكَ ، يَا هَام ؟ »

أَجَابَ فِي أَنْفِعَالٍ : « إِنَّهَا إِمِيلِي ! »

صَحَّتْ فِي لَهْفَةٍ وَقَلَقٍ : « إِمِيلِي ؟ أَهِيَ مَرِيضَةٌ ؟ »

قَالَ فِي بُطْءٍ : « لَا ، لَيْسَتْ مَرِيضَةً . لَقَدْ اخْتَفَتْ ! »

صَحَّتْ فِي دَهْشَةٍ بِالْغَةِ : « اخْتَفَتْ ! وَلَكِنْ أَيْنَ ؟ »

وَأَدَارَ عَنْ نَاضِرِي وَجْهَهُ الْمَفْعَمَ بِالْحُزْنِ وَالْأَلَمِ ، وَهُوَ يَقُولُ :  
« لَقَدْ هَرَبْتُ ! كَيْفَ اسْتَطِيعُ أَنْ أَوَاجِهَ السَّيِّدَ يِغُوتِي ؟ مَاذَا يُمَكِّنُ  
أَنْ أَقُولَ لَهُ ؟ »

غَيَّرَ أَنَّ السَّيِّدَ يِغُوتِي لَمْ يَلْبَثْ أَنْ لَحِقَ بِنَا . وَمَا إِنَّ رَأَى وَجْهَيْنَا  
الْمُتَّقِعَيْنِ حَتَّى صَاحَ قَائِلًا : « أَيْنَ إِمِيلِي ، يَا هَام ؟ » ، ثُمَّ مَالَ إِلَى  
الْجِدَارِ ، وَكَادَ أَنْ يَتَهَاوَى إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَمْسَكْنَاهُ بِهِ ، وَأَدْخَلْنَاهُ إِلَى  
الْبَيْتِ .

وَأَخْرَجَ هَامَ خِطَابًا مِنْ جَيْبِهِ ، وَقَالَ : « اقْرَأْ هَذَا ، يَا سَيِّدُ دَاوِيدَ ،  
فَأَنَا لَا اسْتَطِيعُ قِرَاءَتَهُ ثَانِيَةً . »

كَانَ الْخِطَابُ مُقْتَضِبًا ، وَكَانَتْ سَطُورُهُ كَمَا يَلِي :

« سَوْفَ أَغَادِرُ يَارْمُوثَ إِلَى مَكَانٍ قَصِيٍّ . أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا خَطَأً  
كَبِيرٌ ، وَلَكِنِّي لَا أَمْلِكُ نَفْسِي ! لَنْ أَعُودَ ثَانِيَةً ، وَلَكِنْ أَرْجُو أَنْ  
تَغْفِرُوا لِي وَلَا تَنْسُونِي . لَنْ اسْتَطِيعَ الزَّوْاجَ بِهِامَ ، وَلَكِنِّي مَا زِلْتُ  
أُحِبُّكُمْ جَمِيعًا . أَنَا جِدُّ آسِفَةٍ لِمَا سَوْفَ يَحْدُثُ . »

( إِمِيلِي )

وَتَهَالَكَ السَّيِّدُ يِغُوتِي عَلَى أَقْرَبِ مَقْعَدٍ ، وَقَدْ تَصَاعَدَ الدَّمُ  
غَزِيرًا إِلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ صَاحَ فِي تَشْنُّجٍ قَائِلًا : « مَنْ هُوَ الرَّجُلُ  
الَّذِي تَسَبَّبَ فِي هَذِهِ الْفَاجِعَةِ ؟ مَنْ هُوَ ذَلِكَ الْوَعْدُ ؟ أَخْبِرُونِي  
بِاسْمِهِ . »

أَجَابَ هَامَ فِي هُدُوءٍ : « إِنَّهُ سَتِيرْفُورْثَ . لَقَدْ هَرَبْتُ مَعَ  
سَتِيرْفُورْثَ . »

وَصَحَّتْ فِي دَهْشَةٍ وَحَنَقٍ بِالْغَيْنِ : « سَتِيرْفُورْثَ ؟ صَدِيقِي الَّذِي  
قَدَّمْتَهُ إِلَيْكُمْ وَعَرَفْتُهُ بِكُمْ ؟ »

وَسَرَّعَانَ مَا ارْتَدَى السَّيِّدُ يِغُوتِي مِعْطَفَهُ وَهَمَّ بِالْخُرُوجِ ،  
فَاسْتَوْقَفَتْهُ السَّيِّدَةُ عَمِيدَجَ قَائِلَةً : « إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ ؟ »

أَجَابَ فِي أَنْفِعَالٍ شَدِيدٍ : « سَوْفَ أَذْهَبُ لِاحْطَمَ قَارِبَ سَتِيرْفُورْثَ



قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَجُوبَ جَمِيعَ طُرُقَاتِ الْعَالَمِ بَحْثًا عَنِ الْفَتَاةِ ،  
حَتَّى أَعِيدَهَا إِلَى الْبَيْتِ .

سَأَلْتُ هَامَ : « مَتَى غَادِرًا يَارُمُوث ؟ »

أَجَابَ : « هَذَا الْمَسَاءَ . لَقَدْ رَحَلَا هَذَا الْمَسَاءَ ، فِي عَرَبِيَّةِ  
سْتِيرْفُورْثِ الْخَاصَّةِ . »

وَتَقَدَّمَتِ السَّيِّدَةُ عَمِيدُجَ ، وَأَمْسَكَتْ بِيَدِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي ، قَائِلَةً :  
« لَنْ تَخْرُجَ الْآنَ يَا دَانِيل ! لَا ، لَنْ أَدْعَكَ تَخْرُجَ وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ  
الْحَالِ مِنَ الْغَضَبِ وَالْإِنْفِعَالِ . أَعْرِفُ أَنَّي كُنْتُ أَمْرَأَةً مُتَشَائِمَةً  
وَعَدِيمَةً الْجَدْوَى فِيمَا مَضَى ، وَلَكِنِّي أَعِدُّكَ بِالْكَفِّ عَنْ ذَلِكَ ،  
وَبِأَنْ أَكُونَ عَوْنًا حَقِيقِيًّا لَكَ مِنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ . ابْقِ اللَّيْلَةَ مَعَنَا  
إِكْرَامًا لِخَاطِرِي ، وَلْتَفَكَّرْ مَعًا فِيمَا يُمَكِّنُ أَنْ نَفْعَلَهُ فِي الْغَدِ . »

وَعَادَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي مَحْزُونًا إِلَى مَقْعَدِهِ ، ثُمَّ اعْتَمَدَ رَأْسَهُ بَيْنَ  
كَفَيْهِ وَانْفَجَرَ فِي الْبُكَاءِ . وَلَمْ أَسْتَطِعْ تَحْمِلَ رُؤْيَا هَذَا الْمَشْهُدِ  
الْحَزِينِ ، فَانْصَرَفْتُ عَائِدًا إِلَى الْفُنْدُقِ . غَيْرَ أَنَّ شَخْصًا وَاحِدًا لَمْ  
يُبَارِحْ ذَهْنِي طِيلَةَ الْوَقْتِ ؛ هُوَ سْتِيرْفُورْثُ !

وَلَقَدْ تَغَيَّرَتِ السَّيِّدَةُ عَمِيدُجَ مِنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَغْيِيرًا عَظِيمًا ؛ فَقَدْ

كَفَّتْ عَنِ التَّدْمُرِ وَالشُّكْوَى ، وَانْهَمَكَتْ فِي قَضَائِ حَاجَاتِ السَّيِّدِ  
بِيغُوتِي وَتَجْهِيْزِ مَلَاسِهِ لِلرَّحْلَةِ الْمُرْتَقِبَةِ . وَفِي مَسَاءِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ،  
قَالَ لَنَا الرَّجُلُ : « سَوْفَ أَرْحَلُ إِلَى لَنْدُنِ فِي الْغَدِ لِأَبْدَأَ رَحْلَتِي مِنْ  
هُنَاكَ . لَنْ أَعُودَ إِلَّا بِصُحْبَةِ إِمِيلِي ! »

وَفِي الصَّبَاحِ ، رَكِبْتُ الْعَرَبِيَّةَ الْمُسَافِرَةَ إِلَى لَنْدُنِ مَعَ السَّيِّدِ  
بِيغُوتِي وَشَقِيقَتِهِ ، وَكَانَ فِي وَدَاعِنَا هَامَ وَالسَّيِّدَةُ عَمِيدُجَ . وَقَبْلَ أَنْ  
تَحْرُكَ الْعَرَبِيَّةُ ، هَمَسَ هَامُ فِي أُذُنِي قَائِلًا : « إِذَا احْتَاجَ السَّيِّدُ  
بِيغُوتِي إِلَى نَقُودٍ ، قُلْ لَهُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنِّي وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ سِوَايَ . »

أَجَبْتُهُ : « سَوْفَ أَفْعَلُ ، عَلَى أَنَّ السَّيِّدَ بِيغُوتِي لَمْ يَعُدْ فَقِيرًا ؛  
فَقَدْ وَرَثَ مَبْلَغًا طَيِّبًا مِنَ السَّيِّدِ بَارَكُزَ ، إِلَّا أَنَّنِي سَأَنْقُلُ إِلَيْهِ رَعْبَتَكَ  
النَّبِيلَةَ هَذِهِ . »

وَبَدَأَتِ الْعَرَبِيَّةُ فِي السَّيْرِ . وَجَرَّتِ السَّيِّدَةُ عَمِيدُجَ إِلَى جَانِبِهَا  
بِضَعَةٍ أَمْتَارَ ، وَهِيَ تَصِيحُ قَائِلَةً لِلْسَّيِّدِ بِيغُوتِي : « لَا تَقْلُقْ  
يَا دَانِيلَ ، أَوْ تَبْتَئِسْ ، فَسَوْفَ تَعُثِّرُ عَلَى إِمِيلِي حَتْمًا . سَوْفَ أَعْتَنِي  
بِالْمَنْزِلِ فِي غِيَابِكَ ، وَعِنْدَ عَوْدَتِكَ بِالسَّلَامَةِ ، سَتَجِدُنِي هُنَا بِالتَّكْيِيدِ .  
وَدَاعَا ، وَإِلَى اللَّقَاءِ . »

وَمَا إِنَّ وَصَلْنَا لَنْدُنَ حَتَّى اسْتَأْجَرْتُ حَجْرَةَ لِمَبِيتِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي



وَمَقِيقَتِهِ ، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى هَائِغِتْ لِرِيزَارَةِ السَّيِّدَةِ سْتِيرْفُورْثَ . كَانَتْ  
السَّيِّدَةُ قَدْ عَلِمَتْ بِقِصَّةِ ابْنِهَا مَعَ إِمِيلِي ، فَلَمَّا أَخْبَرَتْهَا بِوُجُودِ  
السَّيِّدِ بِيغُوتِي فِي الْمَدِينَةِ ، قَالَتْ فِي غَضَبٍ وَانْفِعَالٍ : « مَاذَا يُرِيدُ  
السَّيِّدُ بِيغُوتِي مِنِّي ؟ أَنَا لَا أَرُغِبُ فِي مُقَابَلَتِهِ . »

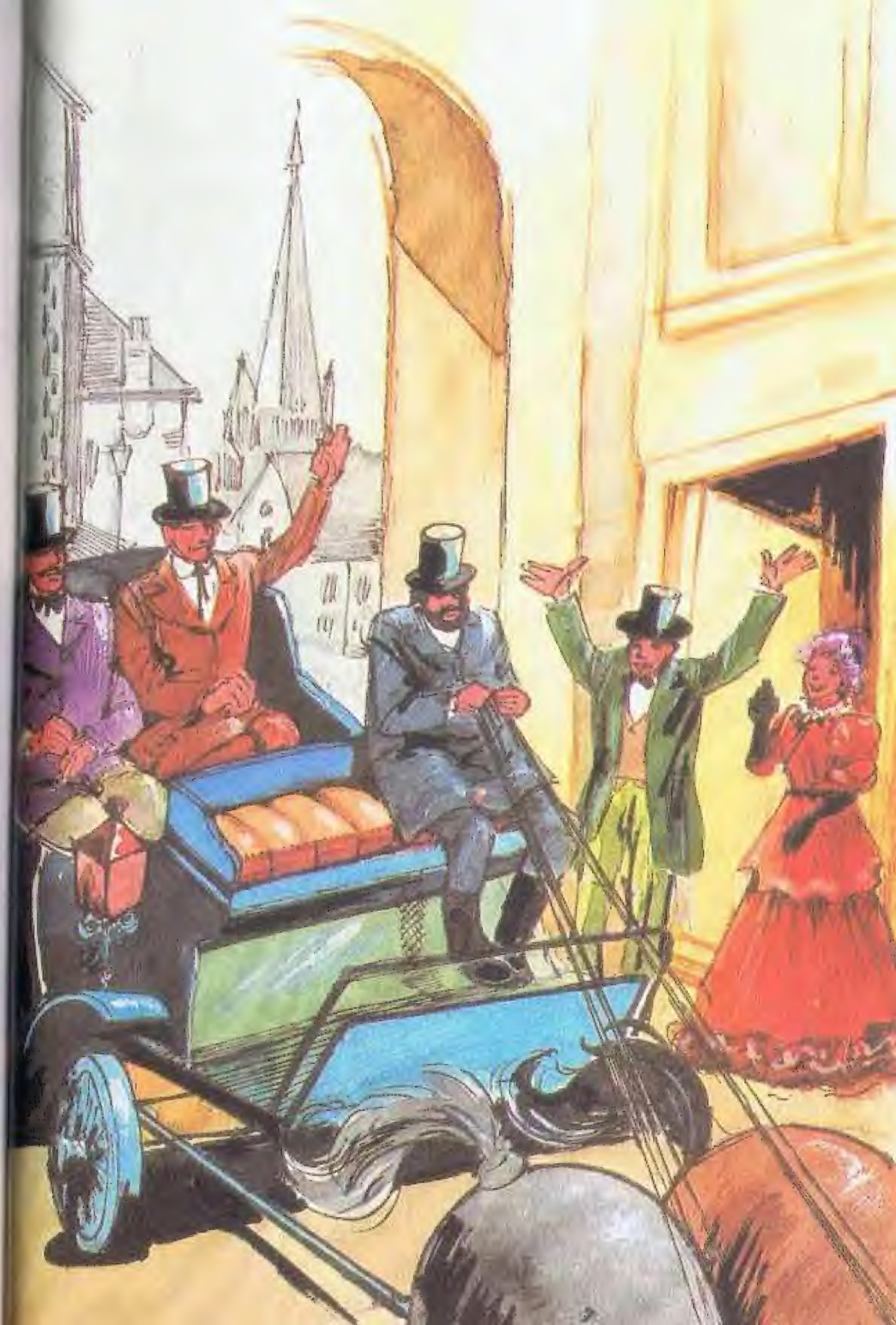
غَيْرَ أَنَّهُ اسْتَدْرَكَتْ ، فَقَالَتْ : « لَكِنْ مَهْلًا يَا سَيِّدَ كُويرْفِيلْدَ .  
يُمْكِنُكَ أَنْ تُحْضِرَهُ فِي الْغَدِ ، فَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَنْسَبِ أَنْ أَرَاهُ . »

وَاصْطَلَحَتْ السَّيِّدُ بِيغُوتِي إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ سْتِيرْفُورْثَ فِي الْيَوْمِ  
التَّالِي . وَكَانَتْ تَجْلِسُ فِي صَالُونِ الْبَيْتِ ، وَإِلَى جَانِبِهَا رُوزَا دَارْتَلُ .  
سَأَلَتِ السَّيِّدَةَ صَاحِبِي فِي أَنْفَةِ وَتَشَامُخٍ : « أَنْتَ خَالَ إِمِيلِي ،  
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« أَجَلْ ، أَنَا خَالَ الْفَتَاةِ . »

قَالَتِ الْمَرْأَةُ فِي حِدَّةٍ : « ابْنِي لَنْ يَتَزَوَّجَ بِإِمِيلِي ، فَهِيَ لَا تَنْتَمِي  
إِلَى عَائِلَةٍ رَاقِيَةٍ ! »

أَجَابَ الرَّجُلُ فِي أَدَبٍ وَهَدْوٍ : « لَيْسَ هَذَا بِعَائِقٍ يَحُولُ دُونَ  
زَوَاجِهِمَا إِذَا كَانَا مُتَحَابِّينَ ؛ فَإِنَّ إِمِيلِي فَتَاةٌ مَاهِرَةٌ ذَكِيَّةٌ ، وَهِيَ  
تَسْتَطِيعُ أَنْ تُشَاكِلَ الْمُجْتَمَعَ الرَّاقِيَّ وَتُسَايِرُهُ فِي زَمَنِ وَجِيْزٍ . »





صاحَتِ السَّيِّدَةُ فِي غَضَبٍ : « قُلْتُ إِنَّهُ لَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِحَالٍ . وَأَنَا  
أَدْرِي النَّاسَ بِأَبْنِي . »

رَدَّ السَّيِّدُ بِيغُوتِي قَائِلًا بِنَفْسِ هَدَوْنِهِ السَّابِقِ : « عِنْدَمَا جَاءَ ابْنُكَ  
إِلَى بَيْتِنَا ، أَكْرَمْنَا وَفَادَتَهُ ظَنًّا مَنَا أَنَّهُ ذُو خُلُقٍ رَفِيعٍ ، وَلَكِنَّهُ فَاجَأَنَا  
بِهَذَا الْعَمَلِ الْخَسِيسِ . لَقَدْ خَدَعْنَا جَمِيعًا أَبْلَغَ خِدَاعٍ . »

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ سَتِيرْفُورْثَ فِي وَقَاحَةٍ ، وَكَانَهَا تَتَعَمَّدُ إِهَاتَتَهُ :  
« ابْنِي لَا يَخْدَعُ أَحَدًا ، لِأَنَّهُ سَيِّدٌ مُثَقَّفٌ كَرِيمٌ الْمُحْتَدِ ، أَمَا أَنْتُمْ  
فَجُهْلَاءُ وَفُقَرَاءُ وَلَا تَرْقُونَ إِلَى مَنْزِلَتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ . عَلَى أَنَّهُ يُمَكِّنُ  
أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ ، تَعْوِضًا لَكُمْ عَمَّا حَدَثَ . »

وَأَنْتَفَضَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي ، وَصَاحَ فِي غَضَبٍ قَائِلًا : « احْتَفِظِي  
بِنُفُودِكَ لِنَفْسِكَ ، فَلَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا . أَنَا حَزِينٌ مِنْ أَجْلِكَ  
يَا سَيِّدَتِي ؛ فَإِنَّ ابْنَكَ قَدْ خَدَعَكَ مِثْلَمَا خَدَعَنَا تَمَامًا ؛ غَيْرَ أَنَّكُمْ قَوْمٌ  
تَعْتَرُونَ بِالْإِثْمِ ، وَتُدَافِعُونَ عَنِ الضَّلَالِ فِي كِبَرِيَاءٍ . لَقَدْ أَدْرَكْتُ  
الآنَ خَطَأِي مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ ، وَلَيْسَ أَمَامِي سِوَى الْإِنْصِرَافِ . »

وَهَبَّ وَاقِفًا ، فَتَبِعَتْهُ إِلَى الْخَارِجِ . وَلَكِنْ رُوزَا اسْتَوْقَفَتْهُ عَلَى  
السُّلَمِ ، وَصَاحَتْ فِي وَجْهِهِ قَائِلَةً : « لَقَدْ كُنْتُ أَنْتَ السَّبَبُ فِي  
كُلِّ مَا حَدَثَ ! أَنْتَ الَّذِي عَرَفْتَهُ بِهِؤُلَاءِ الرُّعَاعِ الْوَقَاحِ ، وَأَنْتَ

الَّذِي أَدْخَلْتَهُ بَيْتَهُمْ ! »

أَجَبَتْهَا قَائِلًا فِي حَزْمٍ وَصَرَامَةٍ : « وَلَكِنْ إِمِيلِي لَيْسَتْ وَفَّحَةً ،  
وَلَيْسَتْ مِنَ الرُّعَاعِ . كَمَا أَنَّ خَالَهَا السَّيِّدَ بِيغُوتِي رَجُلٌ طَيِّبٌ  
وَمُهَذَّبٌ . لَقَدْ أَلْحَقَ بِهِمَا سَتِيرْفُورْثُ أَذَى مُحَقَّقًا بِتَغْرِيرِهِ بِالْفَتَاةِ . »

صَاحَتْ رُوزَا قَائِلَةً : « وَلَكِنِّي أَمَقْتُ هَذِهِ الْفَتَاةَ ! أَمَقْتُهَا مِنْ  
كُلِّ قَلْبِي ! لَقَدْ خَدَعْنَا جَمِيعًا ! »

وَبَعْدَ أَنْ غَادَرَتْ الْبَيْتَ بِقَلِيلٍ ، تَطَلَّعَتْ إِلَى الْوَرَاءِ . كَانَتْ رُوزَا  
لَا تَزَالُ وَاقِفَةً عِنْدَ الْبَابِ ، وَكَانَ وَجْهُهَا مُمْتَقِعًا مِنَ الْغَضَبِ  
الشَّدِيدِ ؛ عِنْدَئِذٍ اسْتَطَعَتْ أَنْ أَرَى النَّدْبَةَ الْقَبِيحَةَ بِوُضُوحٍ مُسْتَقَرَّةٍ  
قُرْبَ الْفَمِ !

هَكَذَا بَدَأَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي رِحْلَتَهُ بَحْثًا عَنْ إِمِيلِي . وَكُنْتُ كُلَّمَا  
فَكَّرْتُ فِي أَمْرِهِ ، تَمَلَّكَنِي حُزْنٌ شَدِيدٌ .

غَيْرَ أَنَّ دُورَا عَادَتْ تَشْغُلُ فِكْرِي مَرَّةً أُخْرَى . وَذَاتَ يَوْمٍ ، قَالَ  
لِي السَّيِّدُ سَيِّنْلُو : « أَنْتَ تَذَكَّرُ ابْنَتِي ، يَا سَيِّدُ كُوبِرْفِيلْد ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ؟ »

لَمْ أَكُنْ قَدْ نَسِيتُهَا قَطُّ حَتَّى أَتَذَكَّرَهَا ، إِلَّا أَنَّنِي أَجَبْتُ مُتَصَنِّعًا



عَدَمَ الْاهْتِمَامِ : « الْآنِسَةُ دُورَا ؟ أَجَلْ ، أَتَذَكِّرُهَا بِالطَّبْعِ . وَلَكِنْ لَمْ تَسْأَلْنِي الْآنَ عَنْهَا ، يَا سَيِّدِي ؟ »

« لِأَنَّهَا تَعْتَرِمْ أَنْ تُقِيمَ حَفْلَةً لِبَعْضِ أَصْدِقَائِهَا وَجِيرَانِهَا . هَلْ ثَمَّةُ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ حُضُورِ هَذِهِ الْحَفْلَةِ ؟ »

كَذَتْ أَطِيرُ فَرَحًا ، وَلَكِنِّي أَخْفَيْتُ مَشَاعِرِي ، وَأَجِبْتُ قَائِلًا :  
« لَا مَانِعَ لَدَيَّ عَلَى الْإِطْلَاقِ . أَشْكُرُكَ ، يَا سَيِّدُ سَيِّنَلُو . »

وَأَرْدَفَ الرَّجُلُ عَلَى الْفُورِ : « سَتَكُونُ الْحَفْلَةُ فِي نِهَآيَةِ الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ ، وَسَتُخْطِرُكَ دُورَا بِالْيَوْمِ الْمَحْدَدِ فِي حِينِهِ . »

وَلَمْ تَلْبَثِ الدَّعْوَةُ أَنْ جَاءَتْني مِنْ دُورَا فِي خِطَابٍ قَصِيرٍ ؛ فَرَقَصَ قَلْبِي طَرَبًا ، وَأَخَذْتُ أَعِدُّ الْعِدَّةَ لِلْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . وَمَضَى الْأُسْبُوعُ بَطَيِّئًا مُتَشَاقِلًا ، وَأَخِيرًا جَاءَ الْيَوْمُ الْمُرْتَقَبُ ، فَهَرَعْتُ إِلَى مَنْزِلِ فَاثْنَتِي أَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيَّ بَاقَةَ جَمِيلَةٍ مِنَ الْوَرْدِ .

كَانَتْ دُورَا تَجْلِسُ فِي حَدِيقَةِ الدَّارِ مَعَ صَدِيقَةٍ حَمِيمَةٍ لَهَا تُدْعَى « جُولِيَا مِلَز » ، وَإِلَى جَوَارِهَا كَلَبُهَا الْمُدْلُلُ . وَكَانَتْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَقَارِبِهَا وَأَصْدِقَائِهَا وَجِيرَانِهَا ، غَيْرَ أَنَّ الْآنِسَةَ مَرَدَسْتُونِ لَمْ تَكُنْ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ .

وَأَبَدَتْ دُورَا إِعْجَابَهَا بِالْوَرْدِ ، وَقَرَّبَتْهَا مِنْ أَنْفِ كَلْبِهَا ، قَائِلَةً :  
« تَشَمُّمُ هَذَا الْوَرْدِ الْجَمِيلِ يَا جَيْبُ . أَلَيْسَ أَرِيحُهُ عَطْرًا سَاحِرًا ؟ »

وَيَبْدُو أَنَّ الْوَرْدَ لَمْ يَرُقْ جَيْبُ ، فَقَدْ أَخَذَ يَقْضُمُهُ وَيَذَرِي أَوْرَاقَهُ . وَهَنَا صَاحَتْ دُورَا فِي وَجْهِهِ ، قَائِلَةً : « كُفْ عَنْ هَذَا السُّخْفِ يَا جَيْبُ ، وَلَا تَعْبَثْ بِهِذِهِ الْأَزْهَارِ السَّاحِرَةِ الَّتِي أَهْدَانِيهَا السَّيِّدُ كُوبِرْفِيلْد ! »

سِرْتُ كَثِيرًا لِإِعْجَابِهَا بِالْوَرْدِ ، وَتَمَنَيْتُ لَوْ أَنَّهَا تُعْجَبُ بِي قَدَرِ إِعْجَابِهَا بِهِدْيَتِي الْمُتَوَاضِعَةِ ، غَيْرَ أَنَّني خَجَلْتُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنْ أَقْضِيَ إِلَيْهَا بِمَشَاعِرِي وَأَفْكَارِي .

كَانَ مُقَرَّرًا أَنْ تُقَامَ الْحَفْلَةُ فِي الْخَلَاءِ . وَسَرَّعَانَ مَا خَرَجَتْ الْجَمَاعَةُ مُنْطَلِقَةً إِلَى الرَّيفِ الْبَدِيعِ السَّاحِرِ . وَرَكِبَتْ دُورَا مَعَ وَالِدِهَا وَصَدِيقَتِهَا جُولِيَا إِحْدَى الْعَرَبَاتِ ، عَلَى حِينِ امْتِطَيْتُ جَوَادًا وَسِرْتُ بِهِ إِلَى جَانِبِ الْعَرَبَةِ . وَتَرَجَّلْنَا عِنْدَ غَابَةِ صَغِيرَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ ، ثُمَّ جَلَسْنَا مُنْتَشِرِينَ عَلَى حَافَةِ حَقْلٍ فَسِيحٍ يَتَرَامَى نَحْوَ تِلَالِ بَعِيدَةٍ دَاكِئَةِ اللَّوْنِ . وَأَخَذْنَا نَتَنَاوَلُ مَا فِي جَعْبَتِنَا مِنْ طَعَامٍ عَلَى حِينِ كُنَّا نَتَطَلَّعُ فِي انْبِهَارٍ إِلَى تِلْكَ التِّلَالِ الشَّامِخَةِ الْمُهَيَّيَةِ ، وَنَسْتَرُوحُ فِي تَلَذُّذٍ وَاسْتِرْخَاءٍ غَيْرِ الْحَقْلِ الرَّحْبِ الْمُمتَدِّ أَمَامَنَا ، وَالَّذِي كَانَ يَغْصُ



بالزهور والرياحين .

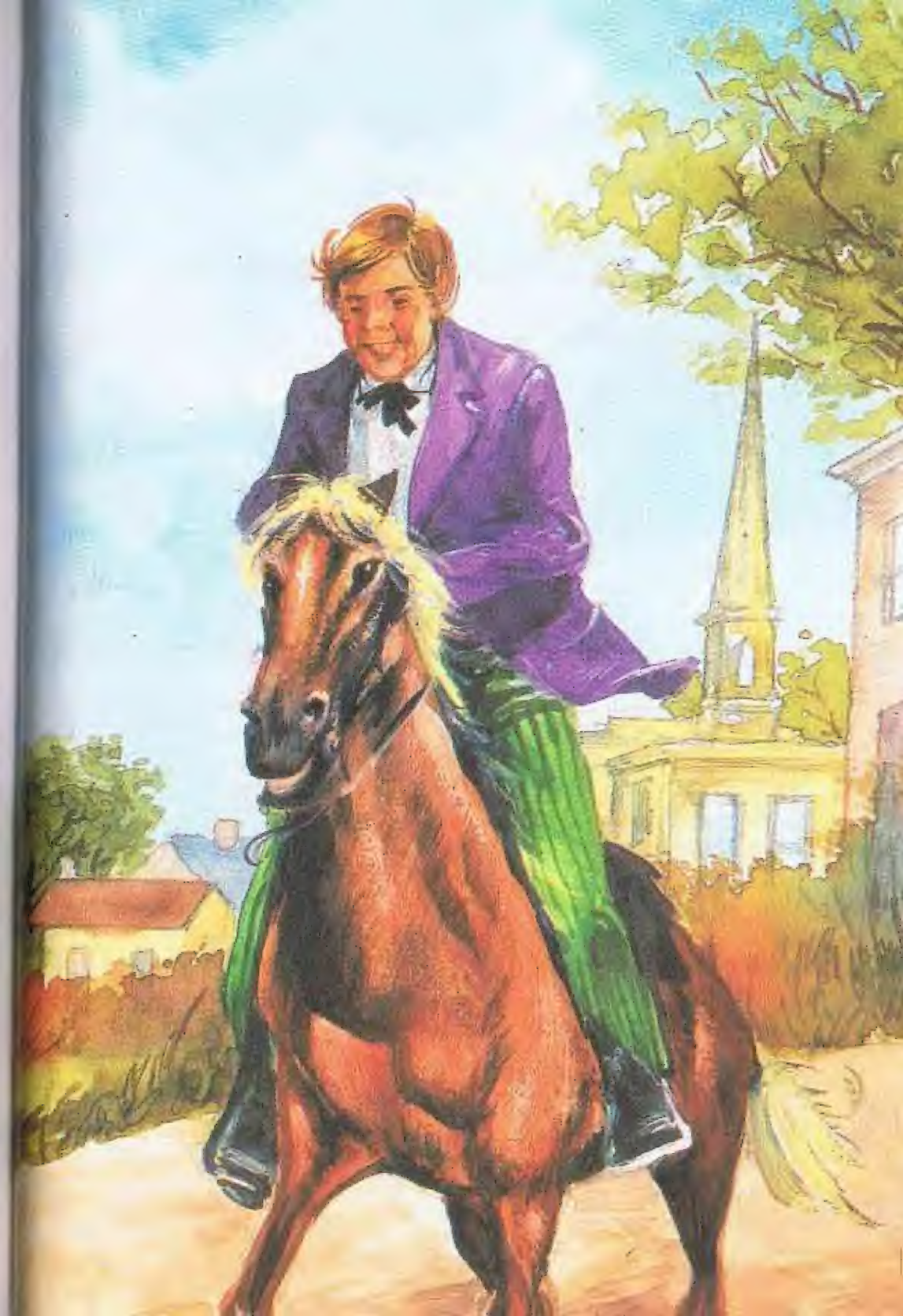
كَانَ يَوْمًا رَائِعًا أَمْضَيْنَاهُ فِي كَنْفِ الطَّبِيعَةِ الرَّائِعَةِ الْخَلَابَةِ ، لَكِنَّهُ  
لَمْ يَخُلْ مِنْ بَعْضِ الْكَدَرِ ؛ فَقَدْ جَلَسَ شَابٌّ إِلَى جَانِبِ دُورَا ،  
وَاسْتَأْثَرَ بِالْحَدِيثِ مَعَهَا مُعْظَمَ الْوَقْتِ . وَأَخَذَتْ دُورَا تَتَبَاسَطُ مَعَ هَذَا  
الشَّابِّ ، فَشَعَرَتْ بِغَيْرَةِ شَدِيدَةٍ ، وَشَرَعَتْ بِدَوْرِي أَتَحَدَّثُ إِلَى فِتَاةٍ  
جَمِيلَةٍ كَانَتْ تَجْلِسُ إِلَى جِوَارِي . وَمَا إِنَّ وَقَعَ نَظْرُ دُورَا عَلَيْنَا حَتَّى  
كَفَّتْ عَنِ الضَّحِكِ وَأَنْصَرَفَتْ عَنْ جَارِهَا الشَّابِّ ، فَاسْتَعَدَّتْ  
بِهَجْتِي وَجُورِي . وَبَعْدَ أَنْ قَرَعْنَا مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ، اصْطَحَبَتْ دُورَا  
صَدِيقَتَهَا جُولِيَا ، وَيَمَمْنَا نَحْوِي .

قَالَتْ لِي جُولِيَا : « إِنَّ دُورَا غَاضِبَةٌ مِنْكَ . »

أَجَبْتُهَا سَائِلًا : « لِمَاذَا ؟ »

أَبْرَتْ دُورَا قَائِلَةً : « لِأَنَّكَ كُنْتَ تَتَحَدَّثُ طَوِيلَةَ الْوَقْتِ إِلَى الْآنِسَةِ  
كَتْ ، مُتَجَاهِلًا وَجُودِي ! »

« وَأَنْتِ كُنْتَ مِنْهُمْ كَةً فِي الْحَدِيثِ إِلَى ذَلِكَ الشَّابِّ ، وَلَمْ  
تُلْقِي بِالْأُيِّ . يَدُو أَنَّهُ أَكْثَرُ وَسَامَةً مِنِّي وَأَكْثَرُ جَازِبِيَّةً فِي نَظْرِكَ ؛  
فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ تَطْرِبِينَ لِحَدِيثِهِ ، وَتَضْحَكِينَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ . »





عِنْدَيْهِ أَسْرَعَتْ دُورًا بِالْقَوْلِ : « مَعْدِرَةٌ لِمَا حَدَّثَ ! وَالْآنَ ، هَيَّا  
اجْلِسْ إِلَى جَانِبِي ، وَتَحَدَّثْ إِلَيَّ . »

وَقَضَيْنَا بَقِيَّةَ الْوَقْتِ فِي سَمَرٍ عَذْبٍ وَغِنَاءٍ جَمِيلٍ . ثُمَّ حَانَ  
مَوْعِدُ الْأُوبَةِ ، فَرَكِبْتُ جَوَادِي وَسِرْتُ بِهِ إِلَى جَانِبِ عَرَبَتِهَا  
الْخَاصَةِ . وَغَلَبَ النُّعَاسُ السَّيِّدَ سَبِينُلُو ، فَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا  
بِحُرِّيَّةٍ تَامَةٍ فِي أَثْنَاءِ السَّيْرِ . وَهَكَذَا نَعِمْتُ بِرِحْلَةٍ سَعِيدَةٍ لِلْغَايَةِ .

وَلَكِنْ مَا إِنْ وَصَلْنَا إِلَى مَنْزِلِهَا حَتَّى اعْتَرَانِي الْحُزْنُ مَرَّةً أُخْرَى ؛  
فَقُلْتُ لَهَا فِي اكْتِثَابٍ : « يَجِبُ أَنْ أَعُودَ الْآنَ أَدْرَاجِي إِلَى الْبَيْتِ .  
مَتَى سَتَقَابِلُ ثَانِيَةً يَا دُورَا ؟ »

أَجَابَتْ فِي رَنَّةٍ أَسَى : « لَسْتُ أَدْرِي ! »

وَلَكِنْ الْأَنْسَةُ جُولِيَا انْتَبَرَتْ قَائِلَةً فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ : « أَصْغِرْ  
جِدًّا إِلَى مَا سَأَقُولُ ، يَا سَيِّدُ كُوبِرْفِيلْد . سَتَأْتِي دُورَا إِلَى مَنْزِلِي  
يَوْمَ الْأَحَدِ الْقَادِمِ ، وَتَسْتَطِيعُ عِنْدَيْكَ أَنْ تَرَاهَا هُنَاكَ . لَنْ تَكُونَ  
الْأَنْسَةُ مُرْدَسْتُونَ بِرَفَقَتِهَا فِي هَذَا الْيَوْمِ . تَذَكَّرْ يَوْمَ الْأَحَدِ الْقَادِمِ فِي  
مَنْزِلِي . »

شَكَرْتُ الْأَنْسَةَ مِلْزَ بِحَرَارَةٍ ، وَقَفَلْتُ عَائِدًا إِلَى بَيْتِي عَلَى صَهْوَةٍ

الْجَوَادِ ، وَأَنَا أَضْحَكُ وَأُعْنِي فِي سَحَابَةٍ مِنَ السَّعَادَةِ .

وَفِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ ، قَصِدْتُ مَنْزِلَ الْأَنْسَةِ جُولِيَا ، فَفَتَحَتْ لِي  
الْخَادِمُ الْبَابَ .

سَأَلْتُهَا : « هَلِ السَّيِّدُ مِلْزَ فِي الدَّخْلِ ؟ »

« لَا ، وَلَكِنْ الْأَنْسَةُ مِلْزَ مَوْجُودَةٍ . تَفَضَّلْ بِالْدُّخُولِ . »

وَتَبِعْتُ الْخَادِمَ عَبْرَ السُّلَّمِ الدَّاخِلِيِّ إِلَى الطَّابَقِ الثَّانِي . كُنْتُ  
أَحْمِلُ فِي جَيْبِي خَاتَمًا ثَمِينًا اشْتَرَيْتُهُ لِدُورَا ، وَكَانَتْ تَتَوَسَّطُ الْخَاتَمَ  
فُصُوصَ مِنَ الْمَاسِ الْأَزْرَقِ الْبَرَّاقِ ، وَلَكِنْ عَيْنِي حَبِيبَتِي كَانَتْ أَشَدَّ  
زُرْقَةً وَصَفَاءً مِنْ تِلْكَ الْفُصُوصِ الرَّائِعَةِ الْبَرَّاقَةِ .

كَانَتْ جُولِيَا تَجْلِسُ مَعَ ضَيْفَتِهَا فِي إِحْدَى الْحُجُرَاتِ ، وَلَكِنْ مَا  
إِنْ دَخَلْتُ الْحُجْرَةَ حَتَّى غَادَرَتْهَا ، وَتَرَكَتْنِي مَعَ دُورَا مُتَفَرِّدَيْنِ .

غَشِيَنِي وَجَلٌّ وَارْتِبَاكٌ ، فَجَلَسْتُ عَلَى مَبْعَدَةٍ مِنْهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ ،  
وَأَخَذْتُ أَفَكِّرُ كَيْفَ أَصَارِحُهَا بِحُبِّي ، وَأَطْلُبُ يَدَهَا لِلزَّوْاجِ .

وَلَحِظْتُ هِيَ ذَلِكَ ، فَشَجَعَتْنِي بِابْتِسَامَةٍ عَذْبَةٍ ، ثُمَّ نَظَرَتْ لِي  
بِطَرَفِهَا السَّاحِرِ نَظْرَةً ذَاتَ مَغْزَى . وَكَانَتْ نَظَرْتُهَا حُلُوةً رَفِيقَةً ،  
جَيَّاشَةً بِالْحُبِّ وَالْعَاطِفَةِ ، فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مِنَ الْانْدِفَاعِ نَحْوَهَا ،



وَتَنَاوَلَتْ يَدَهَا قَائِلًا : « دُورَا ، إِنِّي أَحِبُّكَ . هَلْ تَقْبَلِينَ الزَّوْاجَ  
بِي ؟ »

أَجَابَتْ فِي رَقَّةٍ وَعُدُوبَةٍ : « وَأَنَا أَحِبُّكَ كَذَلِكَ يَا دَافِيد ! أَجَلٌ ،  
سَوْفَ أَقْبَلُ الزَّوْاجَ بِكَ . »

اسْتَطَرَدَتْ قَائِلًا : « لَقَدْ اشْتَرَيْتُ لَكَ خَاتَمًا بَدِيعًا . دَعِينِي أَضَعَهُ  
فِي إِصْبَعِكَ الْجَمِيلَةِ ، لِيَكُونَ رَمْزًا لِمَا يَرْبِطُ بَيْنَنَا مِنْ حُبٍّ وَوَفَاءٍ  
أَبَدِيٍّ . »

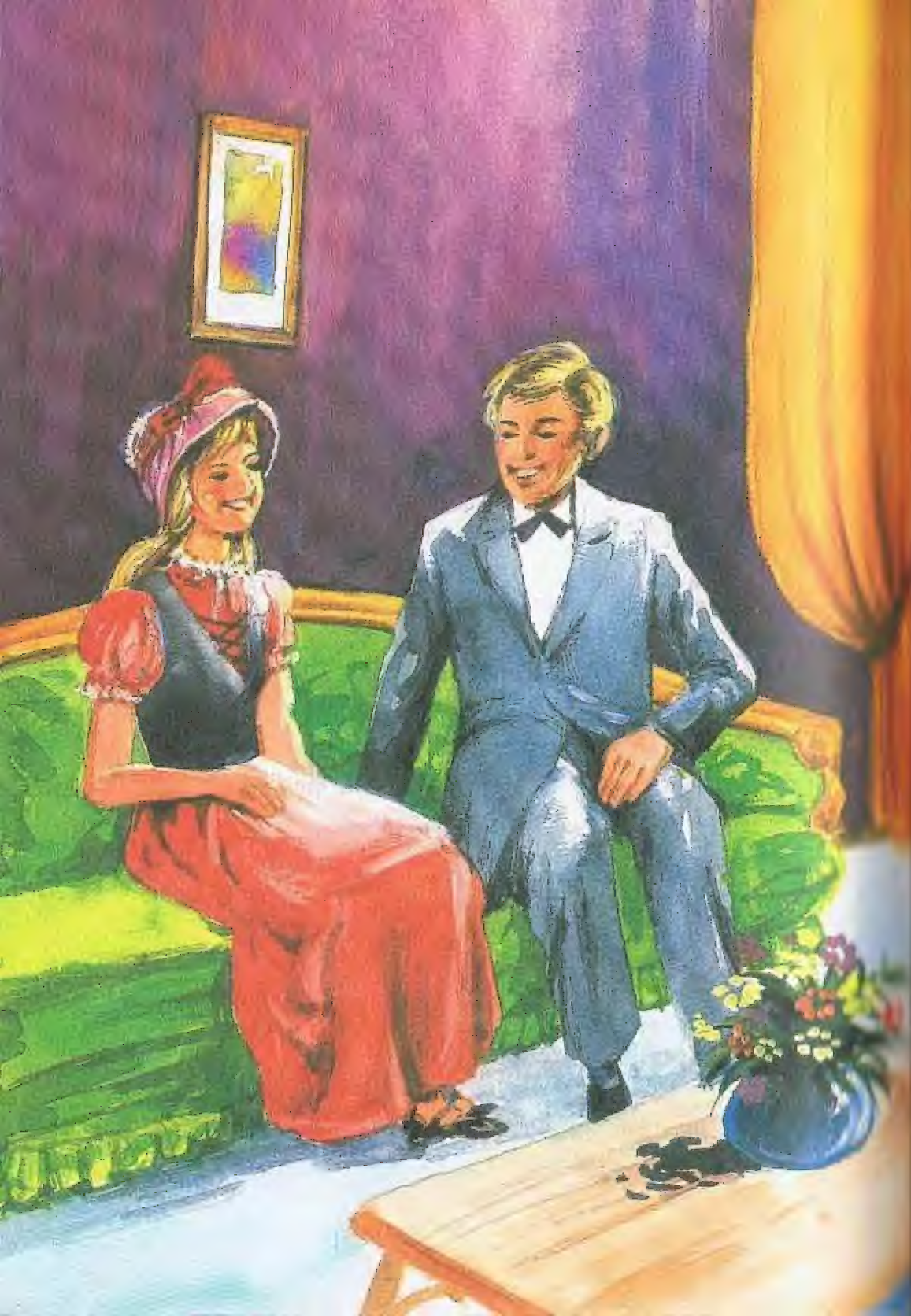
وَأَلْبَسَتْهَا الْخَاتَمَ قَائِلًا : « وَالْآنَ ، وَأَنْتِ تَضَعِينَ خَاتَمِي فِي  
إِصْبَعِكَ ، تَدْكُرِينَ دَائِمًا أَنَّكَ سَتَكُونِينَ زَوْجَتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ . »

قَالَتْ : « وَلَكِنَّ لَا بُدَّ مِنْ إِخْفَاءِ الْأَمْرِ عَنْ أَبِي فِي الْوَقْتِ  
الْحَاضِرِ . »

سَأَلَتْ فِي دَهْشَةٍ : « لِمَاذَا ؟ »

أَجَابَتْ فِي رَقَّةٍ وَدَلَالٍ : « لِأَنَّهُ سَوْفَ يَغْضَبُ إِذَا عَلِمَ بِأَنْتِي  
وَعَدَّتْكَ بِالزَّوْاجِ ، دُونَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ . »

قُلْتُ فِي اسْتِسْلَامٍ : « حَسَنٌ ، لِيَكُنْ مَا تُرِيدِينَ . »





لَمْ أَرْ دَوْرًا كَثِيرًا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، غَيْرَ أَنَّنَا تَبَادَلْنَا عِدَّةَ خِطَابَاتٍ .  
وَلَقَدْ عِشْتُ حِينِيذَ فِتْرَةٍ مِنْ أَسْعَدِ فِتْرَاتِ حَيَاتِي ، بَلْ كُنْتُ إِخَالَنِي ،  
فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، أَسْعَدَ رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ !

## الفصل الحادي عشر

وَقَعْتُ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ أَحْدَاثَ غَرِيبَةٍ أَثَارَتْ قَلْقِي واضْطِرَابِي ؛  
فَقَدْ ظَهَرَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ مَرَّةً أُخْرَى فِي لَنْدُنْ . وَعِنْدَمَا ذَهَبْتُ لِزِيَارَتِهِ  
ذَاتَ مَسَاءٍ ، أَلْفَيْتُهُ فِي قِمَّةِ الْجَدَلِ وَالْإِنْشِرَاحِ ، وَقَالَتْ لِي السَّيِّدَةُ  
زَوْجَتُهُ ، وَهِيَ تَضْحَكُ فِي فَرَحٍ عَارِمٍ : « سَوْفَ نَذْهَبُ إِلَى كَانْتَرِبْرِي  
فِي الْغَدِ . لَقَدْ وَاتَانَا الْحَظُّ آخِرَ الْأَمْرِ ! »

سَأَلْتُ السَّيِّدَ مِيكَائِيلَ : « بِمَاذَا سَتَشْتَغِلُ فِي كَانْتَرِبْرِي ؟ »

أَجَابَ فِي زَهْوٍ وَفَخَارٍ : « لَقَدْ اسْتَدْعَانِي السَّيِّدُ هِيْپَ لِأَعْمَلْ مَعَهُ  
هُنَاكَ . »

صَحْتُ فِي دَهْشَةٍ وَاسْتِغْرَابٍ : « هِيْپَ ؟ يُرِيَا هِيْپَ ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ ، وَقَدْ ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ سَعِيدَةٌ : « أَجَلْ . »



إِنَّهُ عَمَلٌ طَيِّبٌ لِلْغَايَةِ ، وَقَدْ يَنْتَهِي بِي إِلَى أَنْ أَصْبَحَ مُحَامِيًا  
يَوْمًا مَا .

وَعُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي حَائِرًا مُنْقَبِضَ الصَّدْرِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَنِي إِحْسَاسٌ  
كَثِيبٌ بِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ وَقَعَ فِي حَبَائِلِ يُرِيَا الْمَاكِرِ اللَّثِيمِ ، وَأنَّهُ  
سَيَكُونُ مَطِيئَةً لِتَحْقِيقِ أَهْوَائِهِ الْغَادِرَةِ وَمَنَازِلِهِ الدَّنِيئَةِ .

وَلَمْ تَلَيْتُ أَنْ أَذْهَلْتَنِي مُفَاجَأَةً أُخْرَى فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ؛ فَلَقَدْ  
عُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي فِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَجِدَ عَمَّتِي بِتُسِي تَرَوْتُوود  
جَالِسَةً فِي انْتِظَارِي . وَعَانَقْتُهَا فِي شَوْقٍ بِالْغِ ، وَقُلْتُ لَهَا فِي سُورٍ  
طَاغٍ : « أَيُّ رِيحٍ طَيِّبَةٍ حَمَلْتِكِ إِلَى هُنَا يَا عَمَّتَاهُ ! لَقَدْ فَاجَأَتْنِي  
بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ ، فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تَكْرَهِينَ ضَوْضَاءَ لَنْدُنَ وَلَا تُحِبِّينَ  
الْأَرْتَحَالَ إِلَيْهَا ! »

تَطَلَّعْتُ إِلَيْ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ ، فَصَبَحْتُ قَائِلًا : « مَاذَا حَدَّثَ  
يَا عَمَّتِي ؟ بِرَبِّكَ خَبِّرْنِي ! »

أَجَابَتْ ، وَالْأَسَى يُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهَا : « إِنَّنِي عَجُوزٌ حَمَقَاءُ يَا دَافِيدُ !  
عَجُوزٌ حَمَقَاءُ ! »

« مَاذَا ؟ »

« لَقَدْ خَسِرْتُ كُلَّ نُقُودِي وَأَصْبَحْتُ مُفْلِسَةً تَمَامًا . هَلْ يُمَكِّنُ  
أَنْ أَعِيشَ مَعَكَ فِي هَذَا الْمَسْكَنِ ؟ »

أَجَبْتُ فِي ذُهُولٍ : « بِالطَّبَعِ يَا عَمَّتِي الْعَزِيزَةِ . أَرْجُوكِ أَنْ تَفْعَلِي  
ذَلِكَ . »

وَتَنَاوَلْنَا مَعًا طَعَامَ الْعِشَاءِ ، ثُمَّ ذَهَبَتِ الْعَمَّةُ لِنَتَامَ ، وَذَهَبْتُ إِلَى  
فِرَاشِي بَعْدَ قَلِيلٍ ، غَيْرَ أَنَّ الْكَرَى لَمْ يَرَاوِدْ جَفَنِي . لَقَدْ أَصْبَحْتُ  
الْآنَ فَقِيرًا بَعْدَ أَنْ أَفْلَسْتُ عَمَّتِي . هَلْ يُمَكِّنُ لِشَابٍّ فَقِيرٍ مِثْلِي أَنْ  
يَتَزَوَّجَ بِدُورَا ؟ إِنَّ أَبَاهَا سَوْفَ يَرْفُضُ بِالتَّأَكِيدِ . وَلَكِنْ هَلْ تَقْبَلُ دُورَا  
أَنْ تَتَزَوَّجَنِي وَأَنَا شَابٌّ فَقِيرٌ ؟ قَدْ تَقْبَلُ إِذَا كَانَتْ تُحِبُّنِي ، فَهِيَ فَتَاةٌ  
رَقِيقَةٌ حَالِمَةٌ ، كَمَا أَنَّنِي سَأَعْمَلُ وَأُكَافِخُ لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ  
الْأَلَزَمِ . وَلَكِنِّي لَنْ أَصْبَحَ مُحَامِيًا يَوْمًا مَا .

هَكَذَا تَقَادَفْتَنِي الْأَفْكَارُ حَتَّى انْبَلَجَ الصُّبْحُ . وَفِي الصُّبَاحِ  
تَوَجَّهْتُ إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ سَيِينَلُو ، وَصَارَحْتُهُ بِكُلِّ مَا حَدَّثَ  
قَائِلًا : « لَقَدْ خَسِرْتُ عَمَّتِي بِتُسِي كُلَّ نُقُودِهَا ، فَأَصْبَحْتُ بِالتَّالِيِ  
شَابًّا فَقِيرًا . سَوْفَ أَعْجِزُ ، لِلْأَسَفِ ، عَنْ الْاسْتِمْرَارِ فِي الدِّرَاسَةِ  
وَالْتَّاهُلِ لِمِهْنَةِ الْمُحَامَاةِ ، فَهَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُعِيدَ لِعَمَّتِي مَا دَفَعْتَهُ مِنْ  
نُقُودٍ لِهَذَا الْغَرَضِ ؟ »



شَرَدَ الرَّجُلُ بِفِكْرِهِ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قَالَ : « يَا لَهُ مِنْ خَيْرِ مُزْعَجٍ !  
يُمْكِنُ أَنْ أُعِيدَ لِعَمَّتِكَ الْأَلْفَ جَنْيَه ، عَلَى سَبِيلِ التَّجَاوُزِ وَالْإِسْتِنَاءِ ،  
غَيْرَ أَنْ لِي شَرِيكًا فِي هَذَا الْمَكْتَبِ ، كَمَا تَعْلَمُ ، هُوَ السَّيِّدُ  
جوركنز ، وَهُوَ رَجُلٌ صَعْبُ الْمِرَاسِ ، وَلَنْ يُوَافِقَ عَلَى رَدِّ النُّقُودِ  
إِلَى عَمَّتِكَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ! »

كُنْتُ أَعْرِفُ يَقِينًا أَنَّ السَّيِّدَ جوركنز رَجُلٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ ، وَأَنَّ  
السَّيِّدَ سَيِّئًا يَكْذِبُ فِي زَعْمِهِ لِرَعِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ فِي اسْتِيقَائِي وَعَدَمِ  
رَدِّ النُّقُودِ ، غَيْرَ أَنَّني أَنْصَرَفْتُ دُونَ مُجَادَلَتِهِ فِي الْأَمْرِ .

وَخَرَجْتُ إِلَى الشَّارِعِ مَغِظًا مُحْنَقًا ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا نِسَائِيًّا  
يُنَادِينِي ؛ وَتَلَفْتُ ، وَإِذَا بِأَغْنِيسَ تُطِلُّ مِنْ دَاخِلِ إِحْدَى الْعَرَبَاتِ .

قَالَتْ أَغْنِيسُ : « لَقَدْ وَقَفْتُ بِالْعَرَبَةِ هُنَا وَقْتًا طَوِيلًا فِي انْتِظَارِ  
خُرُوجِكَ مِنَ الْمَكْتَبِ . يُؤَسِّفُنِي مَا سَمِعْتُهُ عَنْ إِفْلَاسِ عَمَّتِكَ .  
وَلَكِنِّي أُرِيدُ مَعْرِفَةَ شَيْءٍ هَامٍّ : هَلْ أَبِي هُوَ الَّذِي أَضَاعَ نُقُودَ  
الْعَمَّةِ ؟ »

أَجَبْتُهَا : « لَسْتُ أَدْرِي عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ ، وَلَكِنْ يُمْكِنُنَا  
الذَّهَابُ إِلَيْهَا لِاسْتِجْلَاءِ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ . »

وَأَنْطَلَقْنَا بِالْعَرَبَةِ إِلَى مَنْزِلِي . وَقَالَتْ لِي أَغْنِيسُ فِي أَثْنَاءِ السَّيْرِ :

« لَقَدْ انْتَقَلَتِ السَّيِّدَةُ هَيْبٌ وَرَبًّا إِلَى مَنْزِلِنَا ، وَهُمَا يَعِيشَانِ الْآنَ مَعَنَا  
تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ . غَيْرَ أَنَّ مَا يَحْزِنُنِي وَيُثِيرُ حَقْصِي هُوَ أَنَّ وَالِدِي  
أَصْحَى تَابِعًا ذَلِيلًا لِرَبِّيَا ، لَا يَمْلِكُ أَنْ يُعَارِضَ لَهُ رَأْيًا أَوْ يَعْصِي  
أَمْرًا . وَمَعَ غَيْظِي وَكَمَدِي الْبَالِغَيْنِ لِذَلِكَ ، فَأَنْتِي لَمْ أَكْشِفْ  
وَالِدِي فِي شَيْءٍ حَتَّى الْآنَ . »

وَمَا إِنْ رَأَتْ الْعَمَّةُ أَغْنِيسَ حَتَّى حَيْثُهَا فِي وَدٍّ ، ثُمَّ قَالَتْ :  
« وَلَكِنْ لِمَاذَا حَضَرْتَ إِلَى لَنْدُنْ ، يَا صَغِيرَتِي ؟ »

قَالَتْ أَغْنِيسُ : « حَضَرْتُ لِأَنَّني فِي قَلْقٍ بِشَأْنِ وَالِدِي . هَلْ  
يُمْكِنُنِي أَنْ أَسْأَلَكَ سُؤَالَ ؟ »

« يُمْكِنُكَ ، بِالتَّأَكِيدِ . »

« هَلْ أَبِي هُوَ الَّذِي أَضَاعَ نُقُودَكَ ، أَمْ سِوَاهُ ؟ »

أَجَابَتِ الْعَمَّةُ عَلَى الْقَوْرِ : « لَا ، لَا ، أَنَا الَّتِي أَضَعْتُ نُقُودِي  
بِنَفْسِي . لَقَدْ حَاوَلْتُ هَوَّ الإِبْقَاءِ عَلَيْهَا ، وَلَكِنِّي أَضَعْتُهَا بِحُمَقِي  
وَجَهَالَتِي حَتَّى آخِرِ يَنْس . »

وَتَنَفَّسَتِ الْفَتَاةُ الصُّعْدَاءَ ، وَقَالَتْ : « أَشْكُرُكَ ؛ فَقَدْ أَزَحْتُ  
كَابُوسًا ثَقِيلًا كَانَ يَجْثُمُ عَلَى صَدْرِي . إِنَّني أَعْرَبُ عَنْ أَسْفِي



العميق لخسارتك ، وعن استعدادي لتقديم كل ما أملك من عون .

والتفت أغنيس إلي ، وقالت باهتمام شديد : « أعرف رجلاً لديه عمل مناسب لك يا دافيد . هل أنت على استعداد لذلك ؟ »

أجبتها في سرور بالغ : « إنني على استعداد لبذل أقصى جهدي في أي عمل شريف ، فأنا الآن في حاجة ماسة إلى النقود . »

نظرت الفتاة إلي في حنان ، وقالت : « أعرف ذلك . » ثم أخرجت ورقة من جيب معطفها ، وقدمتها إلي قائلة : « هاك عنوان الرجل ، وسوف أخبره اليوم بأنك ستبدأ العمل معه من الغد . »

وشكرتها بحرارة ، ثم تركتها مع عمتي لأزور دورا في منزل الأنسة جوليا ملز .

اقتربت من دورا ، وهمست في أذنها قائلاً : « أنت تبدين رائعة الحسَن والبهاء . »

وجلست إلي جانبها ، وبدأت الحديث قائلاً : « أصغي إلي جيداً يا دورا ، فسأفصي إليك خبر هام . »

« أهو خبر سار ؟ »

« ليس تماماً . »

قالت في دلال : « إذا فلا أرغب في سماعه . أريد أخباراً سارة مبهجة . » ثم ضحكت ضحكة طويلة ناعمة ، وأخذت تداعب كلبها الصغير .

واستجمعت أطراف شجاعتي ، وقلت : « لكن لا مناص من أن أفضي إليك الآن بالحقيقة ، وإن كانت مؤلمة . دورا ، لقد أصبحت مفلساً . لقد أصبحت شحاذاً . »

أجابت ، وهي تسترسل في الضحك : « كف عن هذا المزاح الثقيل يا دافيد . لست بشحاذ على الإطلاق . إنني أعرف الشحاذين بأجسادهم النحيلة ، ووجوههم المعفرة القذرة . »

قلت : « لست أعني أنني متسول أشحذ من المارة في الطرقات ، ولكن أعني أنني قد أصبحت فقيراً بعد أن فقدت عمتي يتسي كل ثروتها ، فهي التي كانت تمدني بالمال . »

صاحت دورا قائلة في سداجة بلهاء : « فقير ! لا تقل ذلك يا دافيد ! آه ، إنك تخيفني ! »

أخذت أهدئ من روعها قائلاً : « لا تخشي شيئاً يا دورا . لن



نَعِيشَ فِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، وَلَكِنَّا لَنْ نَحْيَا حَيَاةَ الْأَثْرِيَاءِ .»

قَطَبْتُ مَا بَيْنَ حَاجِيَيْهَا ، وَقَالَتْ : « آه ! لَا تَتَحَدَّثْ هَكَذَا ،  
يَا دَاوِيدُ ! أَنْتَ تُزْعِجُنِي بِهَذَا الْكَلَامِ !»

غَيْرَ أَنَّنِي اسْتَطَرَدْتُ قَائِلًا : « لَا تَزْعِجِي ، يَا حَبِيبَتِي . دَعِينِي  
أُشْرَحَ لَكَ الْأَمْرَ .»

قَالَتْ وَقَدْ نَفِدَ صَبْرُهَا : « مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ؟»

قُلْتُ ، مُحَاوِلًا أَنْ أَلْخَصَ مَا يَدُورُ فِي ذَهْنِي : « أَغْنِي أَنَّهُ لَنْ  
يَكُونَ لَدَيْنَا خَدَمٌ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ . هَلْ تُجِيدِينَ الطَّهْيَ ، يَا دُورَا ؟»

« الطَّهْيَ ؟ لَا ، لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْهُ !»

« وَلَكِنَّكَ تَسْتَطِيعِينَ تَعْلُمُهُ بِالطَّبْعِ ، كَمَا تَسْتَطِيعِينَ تَعْلُمُ  
الْاِقْتِصَادِ الْمَنْزِلِيِّ أَيْضًا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

صَاحَتْ بِغَضَبٍ : « لَا ، لَا أَسْتَطِيعُ تَعْلُمُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا  
لَا أَرَعُبُ فِي تَعْلُمِهِ . آه يَا دَاوِيدُ ، لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّكَ قَاسِيُ الْقَلْبِ  
هَكَذَا !»

وَانْفَجَرَتْ فِي الْبُكَاءِ ، وَصَاحَتْ مُنَادِيَةً صَدِيقَتَهَا جُولِيَا لِتَشْكُوَنِي

إِلَيْهَا . وَاسْتَمَعَتْ جُولِيَا إِلَى شَكْوَاهَا الْغَرِيبَةِ ، ثُمَّ احْتَضَنْتَهَا وَهَمَسَتْ  
فِي أُذُنِهَا بَعْضَ الْكَلِمَاتِ ، فَهَدَأَتْ ثَائِرَتَهَا فِي الْحَالِ . وَرَغْمَ أَنَّنِي  
لَمْ أَفْعَلْ مَا يَسْتَوْجِبُ غَضَبَهَا ، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مِنْ  
الْاِنْدِفَاعِ نَحْوَهَا وَأَخْذِهَا بَيْنَ ذِرَاعَيَّ . وَقُلْتُ لَهَا فِي تَأَثُّرٍ شَدِيدٍ :  
« مَعْدِرَةٌ يَا صَغِيرَتِي الْجَمِيلَةَ الْمُدَلَّةَ . لَنْ أَكُونَ سَبَبًا فِي حُزْنِكَ بَعْدَ  
الْآنَ ، فَأَنَا أَحِبُّكَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي .»

أَجَابَتْ دُورَا ، وَهِيَ تُجَفِّفُ دُمُوعَهَا : « وَأَنَا أَحِبُّكَ كَذَلِكَ  
يَا دَاوِيدُ . وَلَكِنْ لَا تَتَحَدَّثْ ثَانِيَةً عَنْ حَاجَتِكَ إِلَى النُّقُودِ .»

وَعَادَرْتُ مَنْزِلَ جُولِيَا مِلْزٌ فِي اضْطِرَابٍ شَدِيدٍ . وَوَطَّدْتُ الْعَزَمَ  
عَلَى الْعَمَلِ بِأَقْصَى مَا أَمْلِكُ مِنْ جَهْدٍ ، كَيْ أَكْسِبَ أَكْبَرَ قَدْرِ  
مُتَاحٍ مِنَ الْمَالِ .

وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَنْزِلِ صَدِيقِي تِرَادِلْزُ لَاسْتِشَارَتِهِ فِي الْأَمْرِ ، فَأَشَارَ  
عَلَيَّ بِتَعْلُمِ فَنِّ الْاِخْتِرَالِ ؛ زَاعِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَيْسَرِ الطَّرِيقِ لِلْحُصُولِ عَلَى  
الْكَسْبِ . وَلَقَدْ سَاعَدَنِي تِرَادِلْزُ كَثِيرًا فِي تَعْلُمِ هَذَا الْفَنِّ .

وَهَكَذَا كُنْتُ أَقْضِي طِيلَةَ النَّهَارِ وَشَطْرًا مِنَ اللَّيْلِ فِي الْعَمَلِ  
الدَّءُوبِ الْمُتَّصِلِ . فَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ كُنْتُ أَذْهَبُ إِلَى عَمَلِي  
الْجَدِيدِ الَّذِي هَيَّأَتْهُ لِي أَعْنِيسُ ، ثُمَّ مِنْهُ إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ سَيِّنْلُو



حَيْثُ كُنْتُ أَعْمَلُ بَقِيَّةَ النَّهَارِ . وَفِي الْمَسَاءِ كُنْتُ أَعْلَمُ الْاِخْتِرَالَ  
عَلَى يَدَيَّ تَرَادُلُ .

وَذَاتِ يَوْمٍ ، أَرْسَلَ السَّيِّدُ سَيِّنْلُو فِي طَلْبِي . كَانَ جَالِسًا فِي  
غُرْفَةِ مَكْتَبِهِ ، وَإِلَى جِوَارِهِ الْآنِسَةُ مَرْدِسْتُون ، وَكَانَ الشَّرُّ يَتَطَايَرُ  
مِنْ عَيْنَيْهِ .

وَبَادَرَنِي قَائِلًا فِي غَضَبٍ وَانْفِعَالٍ : « كُوِيرْفِيلْد ، لَقَدْ خَدَعْتَنِي !  
وَالْخِدَاعُ لَيْسَ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ . »

كَانَتْ مُفَاجَأَةً مُقْلِقَةً فَاضْطَرَبَ تَفْكِيرِي ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ تَبْيِينَ الْأَمْرِ  
فِي الْحَالِ . وَصِحْتُ بَعْدَ لَأَيٍ : « أَنَا خَدَعْتُكَ ؟ »

وَأَنْبَرَتِ الْآنِسَةُ مَرْدِسْتُون قَائِلَةً ، وَهِيَ تُلَوِّحُ بِحُزْمَةٍ مِنَ الْخِطَابَاتِ :  
« أَجَلٌ ، لَقَدْ خَدَعْتَهُ . انْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْأُورَاقِ . أَنْتَ شَابٌ شَرِيرٌ . »

ثُمَّ اسْتَطَرَدَّتْ قَائِلَةً فِي صِيَاحٍ : « لَقَدْ كُنْتُ وَلَدًا شَرِيرًا فِي  
الْمَاضِي ، وَالْآنَ هَا أَنْتَ ذَا لَا تَزَالُ عَلَى نَفْسِ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ . »

قَالَ السَّيِّدُ سَيِّنْلُو بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : « أَصَمَمْتِي يَا آنِسَةُ مَرْدِسْتُون ،  
وَدَعَيْتَنِي أَتَكَلَّمُ . » وَأَشَارَ إِلَى الْخِطَابَاتِ قَائِلًا : « هَلْ أَنْتَ الَّذِي  
كُتِبَتْ هَذِهِ الْخِطَابَاتُ ، يَا كُوِيرْفِيلْد ؟ »

« أَجَلٌ ، إِنَّهَا خِطَابَاتِي . »

وَنَاولَنِي الْخِطَابَاتِ قَائِلًا : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْرَأَ لِي مَا جَاءَ  
فِيهَا ؟ »

أَجَبْتُهُ ، وَقَدْ اسْتَعَدْتُ شَيْئًا مِنَ الثَّبَاتِ وَرِبَاطَةِ الْجَاشِ : « لَسْتُ  
فِي حَاجَةٍ لِذَلِكَ ، يَا سَيِّدِي ، فَأَنَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَقُولَ دُونَمَا خَجَلُ  
أَوْ حَيَاءٍ إِنَّنِي أَحِبُّ دُورَا . »

صَاحَتِ الْآنِسَةُ مَرْدِسْتُون قَائِلَةً : « أَنْتَ تُحِبُّ دُورَا ؟ إِنَّكَ تُحِبُّ  
مَالَهَا فَحَسَبُ . »

وَنَهَرَهَا السَّيِّدُ سَيِّنْلُو قَائِلًا : « الزَّمِي الصُّمُتْ يَا آنِسَةُ مَرْدِسْتُون !  
وَالْتَفَتَ نَحْوِي قَائِلًا : « أَنَا مُسْتَاءٌ مِمَّا حَدَثَ ، يَا كُوِيرْفِيلْد ! لَقَدْ  
بَدَوْتُ لِي شَابًا مُهْدَبًا رَفِيعَ الْخُلُقِ ، فَسَمَحْتُ لَكَ بِدُخُولِ مَنْزِلِي  
وَالْتَعَرُّفِ عَلَى أَسْرَتِي . وَلَكِنْ هَا أَنَا ذَا أُكْتَشِفُ - وَيَا لِلْأَسَفِ -  
أَنَّكَ غَيْرُ جَدِيرٍ بِهَذِهِ الثُّقَةِ ؛ فَلَقَدْ اسْتَبَحْتُ لِنَفْسِكَ أَنْ تَبْتَثَ ابْنَتِي  
الْهُوَى وَالْغَرَامَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي . كُوِيرْفِيلْد ، إِنَّنِي أَمْرُكَ بِأَلَا تُحَاوِلَ  
رُؤْيَا ابْنَتِي بَعْدَ الْآنَ . »

أَجَبْتُهُ عَلَى الْفَوْرِ : « هَذَا مَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِدَ بِهِ يَا سَيِّدِي ؛ فَأَنَا  
وَابْنَتُكَ مُتَحَابَّانِ ، وَلَسَوْفَ يُسَبِّبُ الْاِفْتِرَاقُ لِكِلَيْنَا نَعَاسَةً بِالْغَةِ . »



أَطْرَقَ الرَّجُلُ بِرَأْسِهِ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قَالَ : « أَنْتُمَا شَابَانِ صَغِيرَا السِّنِّ ، وَلَمْ تَتَمَرَّسَا بَعْدُ بِالْحَيَاةِ . سَوْفَ أَرْسِلُ دُورًا إِلَى فَرَنْسَا مَرَّةً أُخْرَى لِأَتِيحَ لَكُمَا فُرْصَةً التَّخْلُصِ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ الَّذِي يُعَشِّشُ فِي رَأْسَيْكُمَا الْفَارِغَيْنِ ! »

وَأَنْدَفَعَتْ قَائِلًا : « لَا أَسْتَطِيعُ مِنْ جَانِبِي أَنْ أَنْسَاهَا ؛ فَأَنَا أَحِبُّهَا حُبًّا عَمِيقًا . »

صَاحَ الرَّجُلُ : « هَذِهِ حِمَاقَةٌ ، وَيَجِبُ أَنْ تَنْسَاهَا . أَصْغِرْ جَيِّدًا إِلَى مَا سَأَقُولُ : لَقَدْ فَقَدْتَ عَمَّتِكَ كُلَّ أَمْوَالِهَا ، فَأَصْبَحْتَ أَنْتَ بِذَلِكَ شَابًا فَقِيرًا مُعْدِمًا ، أَمَّا أَنَا فَرَجُلٌ غَنِيٌّ عَرِضُ الثَّرَاءِ . لَقَدْ أَوْصَيْتُ بِكُلِّ ثَرَوَتِي لِدُورَا ، غَيْرَ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُغَيِّرَ وَصِيَّتِي فِي أَيِّ وَقْتٍ أَشَاءُ . هَلْ فَهَمْتَ مَا أَعْنِي بِهِذَا الْقَوْلُ ، يَا كُوپِرْفِيلْد ؟ »

« أَجَلْ ، فَهَمْتُ . تَعْنِي أَنَّهُ يَتَحَتَّمُ أَنْ نَفْتَرِقَ ، وَإِلَّا حَرَمْتَهَا مِنَ الْمِيرَاثِ . »

أَجَابَ السَّيِّدُ سَبِينَلُو : « هَذَا مَا عَنَيْتَهُ بِالضَّبْطِ . فَكَّرْ فِي الْأَمْرِ ، وَتَشَاوَرْ فِيهِ مَعَ عَمَّتِكَ ، فَهِيَ تَعْرِفُ الْحَيَاةَ خَيْرًا مِنْكَ ، وَتَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّنِي لَنْ أَسْمَحَ بِزَوَاجِ ابْنَتِي بِرَجُلٍ فَقِيرٍ . »

قُلْتُ فِي غَمٍّ شَدِيدٍ : « سَوْفَ أَفَكَّرُ فِي الْأَمْرِ ، وَلَكِنْ بِرَبِّكَ





يا سيدي لا تغضب دورا ، ولا تسب لها أي حزن أو كمد .

أجابني في اقتضاب : « لا تقلق بهذا الشأن . والآن ، يمكنك الانصراف . »

ذهبت إلى منزلي مكروبا محزون القلب ، وتحدثت إلى عمتي في الأمر ، لكنني لم أجد لديها العون المنشود . ثم قابلت جوليا ملز ورويت لها ما حدث ، فأبدت أسفها لذلك ، غير أنها لم تستطع أن تقدم لي مساعدة فعالة .

وفي الصباح التالي ، ذهبت إلى مكتب السيد سبينلو كالمعتاد ، فوجدت جميع الكتب في حالة اضطراب شديد .

سألت في قلق : « ما الخطب ؟ »

أجابوا : « إنه السيد سبينلو ! »

« ماذا ؟ هل هو مريض ؟ »

« لقد مات ! »

صحت في رعب وذهول : « مات ؟ ولكن كيف ؟ »

أجاب أحدهم : « لقد جمع جواد عربته فانقلبت به ، حينما

كان عائدا إلى بيته في الليلة الماضية . »

عندئذ دلف السيد جوركنز - شريك المتوفى - إلى الحجرة ، وقال في انفعال : « هذه أخبار سيئة للغاية ، يا كويرفيلد . نحن نبحث الآن عن وصية السيد سبينلو ، ولكن يبدو أنه لم يكن قد كتبها بعد . »

أجبت على الفور : « بل لقد كتبها بالفعل ، يا سيد جوركنز . لقد تحدثت إلي أمس في شأنها . »

قال أحد الكتبة : « ولكننا لم نجد لها في أي مكان . »

كان يوما كئيبا . ولقد تألمت كثيرا لما لحق بدورا ، ولكنني لم أستطع أن أراها ؛ إذ كانت قد رحلت إلى عمّتها في مدينة بيشي ، كما كانت في حالة من الحزن لا تملك معه أن تفكر في شيء عدا مصابها الفادح .

ولم يعثر موظفو المكتب على وصية السيد سبينلو ، غير أن الغموض لم يلبث أن تكشف بعد وقت قصير : لم يكن الرجل ثريا بحال ؛ فبعد تسديد جميع ديونه ، لم يتبق لدورا سوى النزر اليسير من المال .



وَلَقَدْ ذَهَبْتُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ إِلَى بَنِّي عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَذَرَعْتُ  
شَوَارِعَهَا جِيئَةً وَذَهَابًا دُونَ أَنْ تَكْتَحِلَ عَيْنَايَ بِمَرَأَى دُورَا . وَلَمَّا لَمْ  
أَسْتَطِعْ رُؤْيَتَهَا ، حِينَئِذٍ ، وَقَعْتُ فَرِيَسَةَ الْقَلْقِ وَالْهَوَاجِسِ .

## الفصل الثاني عشر

أَرْهَقَنِي الْقَلْقُ ، وَشَعَرْتُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الرَّاحَةِ . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ  
قُمْتُ بِإِجَازَةٍ مِنَ الْعَمَلِ ، وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ وَكَفَيْلِدِ فِي  
كَانْتَرِبَرِي .

قُلْتُ لِأُغْنِيسَ ، بَعْدَ أَنْ رَوَيْتُ لَهَا قِصَّتِي مَعَ دُورَا : « مَاذَا يُمَكِّنُ  
أَنْ أَفْعَلَ الْآنَ ، يَا أُغْنِيسُ ؟ »

صَمَتَتِ الْفَتَاةُ هَنِيئَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : « أَكْتُبُ خِطَابًا إِلَى عَمَّتَيْهَا  
فِي بَنِّي ، قُلْ لَهُمَا فِيهِ إِنَّكَ تَرْغَبُ فِي زِيَارَتِهَا . »

وَأَعْرَبْتُ عَنْ سُرُورِي بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ الصَّائِبَةِ : ثُمَّ طَلَبْتُ مِنْ  
أُغْنِيسَ أَنْ أَحْكِيَ لَهَا الْمَزِيدَ عَنْ دُورَا ، فَقُلْتُ : « إِنَّهَا رَائِعَةٌ  
الْجَمَالِ ، وَأَنَا أَحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، غَيْرَ أَنَّهَا شَدِيدَةُ الْإِسْرَافِ ، كَمَا أَنَّهَا  
لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الطَّهْيِ ، وَعَنْ تَدْبِيرِ شُئُونِ الْمَنْزِلِ . »



ضَحِكْتُ أَغْنِيسَ ، ثُمَّ قَالَتْ : « لَا تَقْلُقْ بِهَذَا الْخُصُوصِ ، فَإِنَّ  
دَوْرًا مَا زَالَتْ صَغِيرَةَ السِّنِّ ، وَلَسَوْفَ تَتَعَلَّمُ قَرِيبًا كُلَّ مَا تَجْهَلُ مِنْ  
هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . »

شَكَرْتُ صَدِيقَتِي الطَّيِّبَةَ عَلَى نَصِيحَتِهَا الْمُخْلِصَةِ ، ثُمَّ اسْتَطَرَدْتُ  
قَائِلًا : « إِنَّكَ تُسَاعِدِينِي كَثِيرًا ، يَا أَغْنِيسَ . أَنْتِ أَخْلَصُ وَأَعَزُّ  
أَصْدِقَائِي قَاطِبَةً . »

وَرَمَقَتْنِي الْفَتَاةُ بِنَظَرَةٍ رَقِيقَةٍ حَانِيَةٍ ، ثُمَّ ابْتَسَمَتْ قَائِلَةً : « وَلَسَوْفَ  
أُظِلُّ صَدِيقَتَكَ الْوَفِيَّةَ ، وَأَقْدِمُ لَكَ الْعَوْنَ طَوَالَ حَيَاتِي . »

وَفِي الْمَسَاءِ ، صَعِدْتُ إِلَى غُرْفَةِ أَغْنِيسَ ، وَأَخَذْنَا نَتَحَدَّثُ مَعًا .  
وَلَكِنَّ السَّيِّدَةَ هَيْبَ لَا زَمْتَنَا طَوَالَ الْوَقْتِ ؛ فَلَمْ تُتَحَّ لَنَا فُرْصَةُ الْكَلَامِ  
عَلَى انْفِرَادٍ . وَشَعَرْتُ بِالْغَضَبِ لِذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّنِي كَتَمْتُ هَذَا  
الشُّعُورَ لِعِلْمِي بِأَنَّ أَغْنِيسَ وَأَبَاهَا يَتَجَنَّبَانِ الْإِصْطِدَامَ بِيْرِيَا وَأُمِّهِ .  
وَلَكِنْ مَا إِنَّ جَاءَتِ السَّيِّدَةُ هَيْبَ وَجَلَسَتْ مَعَنَا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ  
كَذَلِكَ ، حَتَّى اسْتَأْذَنْتُ فِي الْخُرُوجِ ، وَغَادَرْتُ الْمَنْزَلَ فِي غَضَبٍ .

وَلَمْ يَلَيْتُ يَرِيَا أَنْ لَحِقَ بِي قَائِلًا : « إِلَى أَيِّنَ أَنْتِ ذَاهِبٌ يَا سَيِّدُ  
دَاوِيدُ ؟ » أَجَبْتُهُ فِي امْتِعَاضٍ : « أَنَا خَارِجٌ لِلتَّرِيضِ ؛ فَإِنَّ أُمَّكَ  
تُلَاحِظُنِي ، وَلَا تُتِيحُ لِي فُرْصَةَ الْحَدِيثِ مَعَ أَغْنِيسَ مُفْرَدَيْنِ ! »

« أَعْرِفُ ذَلِكَ . »

« لِمَاذَا تُرَاقِبُنَا السَّيِّدَةُ هَيْبَ ؟ »

أَغْمَضَ الْفَتَى عَيْنَيْهِ الْحُمْرَاوَيْنِ ، وَالتَّوَى التَّوَاءَتَهُ الْمُقَيَّتَةَ الْمُعْهُودَةَ ،  
ثُمَّ قَالَ : « آه يَا سَيِّدُ دَاوِيدُ ! الْكُلُّ يَعْلَمُ أَنَّكَ شَابٌّ وَسِيمٌ جَدَّابٌ . »

« وَلَكِنْ لِمَاذَا تُرَاقِبُنَا أُمَّكَ ؟ »

أَجَابَ الْفَتَى فِي بُرُودٍ : « لِأَنَّ أَغْنِيسَ قَدْ تَقَعَّ فِي حُبِّكَ . لِأَنَّكَ  
قَدْ تَتَطَلَّعُ إِلَى الزَّوْاجِ بِأَغْنِيسَ . »

صَحَّتْ : « أَتَزَوِّجُ بِأَغْنِيسَ ؟ وَلَكِنْ كَيْفَ وَأَنَا أَحِبُّ دَوْرًا ،  
وَأَعْتَرِمُ الزَّوْاجَ بِهَا ؟ »

سَأَلَ الْفَتَى فِي لَهْفَةٍ : « دَوْرًا ؟ وَمَنْ تَكُونُ دَوْرًا هَذِهِ ؟ »

وَحَكَيْتُ لَهُ قِصَّةَ حُبِّي فِي اقْتِضَابٍ .

وَتَنَفَّسَ الْفَتَى الصُّعْدَاءَ ، ثُمَّ قَالَ فِي سُرُورٍ وَاضِحٍ : « هَذِهِ أَنْبَاءُ  
سَارَةٍ لِلْغَايَةِ ، يَا سَيِّدُ دَاوِيدُ . سَوْفَ أَذْهَبُ لِأَخْبِرَ أُمِّي فِي الْحَالِ . »

صَحَّتْ قَائِلًا عَلَى الْفُورِ : « وَلَكِنْ أَغْنِيسَ لَنْ تَتَزَوَّجَكَ أَنْتَ . »

وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ الْحُمْرَاوَيْنِ وَفَتَحَهُمَا ، ثُمَّ عَقَدَ يَدَيْهِ مَعًا ، وَقَالَ فِي



هُدوءٍ شَدِيدٍ : « أَتَظُنُّ أَنَّهَا تَرْفُضُ الزَّوْاجَ بِي ، يَا سَيِّدَ دَاقِيدَ ؟ »

أَجَبْتُ فِي حَسَمٍ : « بِالتَّأَكِيدِ ! »

وَفِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، تَنَاوَلْتُ طَعَامَ الْعِشَاءِ مَعَ السَّيِّدِ وَكَفِيلِدَ وَيْرِيَا ، وَأَخَذَ الْفَتَى يُغْرِى السَّيِّدَ وَكَفِيلِدَ بِالشَّرَابِ ، وَيَمْلَأُ كَأْسَهُ بِالشَّرَابِ مَرَّةً تَلُو الْأُخْرَى ، حَتَّى ثَمِلَ الرَّجُلُ تَمَامًا ، فِي حِينٍ لَمْ يَتَنَاوَلْ هُوَ إِلَّا قَدْرًا ضَخِيلاً مِنَ الشَّرَابِ .

وَقَالَ الْفَتَى لِلْسَّيِّدِ وَكَفِيلِدَ : « إِنَّ أُغْنِيسَ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ وَلَطِيفَةٌ .

فَتَحَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ ، وَكَفَّ عَنِ الشَّرَابِ . وَاسْتَطَرَدَ الْفَتَى قَائِلًا : « سَوْفَ يَكُونُ زَوْجُهَا رَجُلًا سَعِيدَ الْحَظِّ . »

رَدَّدَ السَّيِّدُ وَكَفِيلِدَ فِي عَجَبٍ : « زَوْجُهَا ؟ تَقُولُ زَوْجُهَا ؟ »

أَجَابَ يْرِيَا : « أَجَلْ ، قُلْتُ ذَلِكَ ... أ لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هَذَا الزَّوْجَ السَّعِيدَ ؟ »

عِنْدَئِذٍ امْتَقَعَ وَجْهَ السَّيِّدِ وَكَفِيلِدَ ، وَنَهَضَ مُتَرَنِّحًا وَهُوَ يَصِيحُ فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ : « أَنْتَ ؟ أَنْتَ زَوْجُهَا ؟ أَنْتَ ، أَيُّهَا الْكَلْبُ الْحَقِيرُ ! »

اسْتَشَاطَ الْفَتَى غَضَبًا ، وَصَاحَ فِي وَجْهِهِ قَائِلًا : « كَفْ عَنْ هَذَا الْحُمُقِ يَا وَكَفِيلِدَ ! وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ الْآنَ فِي قَبْضَةِ يَدَيَّ ! إِنَّنِي

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَزَوَّجَ بِابْنَتِكَ رَغْمَ أَنْفِكَ ! »

أَشَارَ السَّيِّدُ وَكَفِيلِدَ بِإصْبَعِهِ إِلَى الْفَتَى ، وَصَرَخَ قَائِلًا فِي غَضَبٍ عَارِمٍ : « أَنْتَ ؟ أَنْتَ ؟ »

وَهَرَعَتْ أُغْنِيسُ إِلَى الْحُجْرَةِ قَائِلَةً : « هَدَيْتُ مِنْ رَوْعِكَ يَا أَبِي . هَيَّا مَعِيَ إِلَى فِرَاشِكَ . » ثُمَّ اصْطَحَبَتْ أَبَاهَا إِلَى خَارِجِ الْحُجْرَةِ .

وَالْتَفَتَ يْرِيَا إِلَيَّ ، وَقَالَ : « إِنَّهُ ثَمِلٌ بِالشَّرَابِ . سَوْفَ يَنْدَمُ فِي الْعَدِ عَلَى مَا تَفَوَّهَ بِهِ . وَالْآنَ ، أَرْجُوكَ أَنْ تَنْسِيَ الْأَمْرَ بِرُمْتِهِ يَا سَيِّدَ دَاقِيدَ . »

وَلَكِنِّي أَعْرَبْتُ لِيْرِيَا عَنْ غَضَبِي لِتَهَوُّرِهِ عَلَى السَّيِّدِ وَكَفِيلِدَ ، ثُمَّ تَرَكْتُهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى عُرْفَتِي .

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِي ، غَادَرْتُ كَانْتَرِبْرِي عَائِدًا إِلَى لَنْدَنَ . وَقُلْتُ لِأُغْنِيسَ ، وَأَنَا أَصَافِحُهَا لِحَظَّةِ الرَّحِيلِ : « وَدَاعًا يَا أُغْنِيسَ ، وَأَرْجُو أَنْ تَتَزَوَّجَ بِرَجُلٍ شَهْمٍ كَرِيمٍ جَدِيرٍ بِحُسْنِكَ وَخُلُقِكَ الرَّفِيعِ . »

أَجَابَتْ بِقَوْلِهَا : « أَشْكُرُكَ . لَا تَقْلُقْ بِخُصُوصِي ، يَا دَاقِيدَ . »

وَلَكِنَّ الْحُزْنَ كَانَ يُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَتَيْنِ .

وَمَا إِنَّ وَصَلْتُ إِلَى لَنْدَنَ حَتَّى قَصَصْتُ عَلَى عَمَّتِي بِئْسَى مَا دَارَ



بَيْنَ يَرِيَا وَالسَّيِّدِ وَكَفَيْلِد ، فَصَاحَتْ غَاضِبَةً : « يَجِبُ أَلَا تَتَزَوَّجَ  
أَعْنِيسَ يَرِيَا . إِنَّهُ رَجُلٌ خَبِيثٌ شَرِيرٌ . »

وَذَاتَ يَوْمٍ ، كُنْتُ أُسِيرُ عَائِدًا إِلَى بَيْتِي بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْعَمَلِ ،  
عِنْدَمَا لَمَحْتُ رَجُلًا واقفًا أمامَ أَحَدِ المتاجِرِ . وَكَانَ الرَّجُلُ هُوَ السَّيِّدُ  
يِغُونِي .

وَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ، وَعَانَقْتُهُ قَائِلًا : « يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةٍ ! كَيْفَ  
حَالُكَ ، يَا سَيِّدُ يِغُونِي ؟ »

أَجَابَ : « بِخَيْرٍ ، يَا سَيِّدُ دَاوِيدَ . أَشْكُرُكَ . »

« وَإِمِيلِي ؟ »

هَزَّ رَأْسَهُ فِي أَسَى ، وَقَالَ : « لَا تَوْجَدُ لَدَيَّ أَيَّةَ أَخْبَارٍ عَنْهَا . »

سَأَلْتُهُ : « وَإَيْنَ كُنْتَ خِلَالَ الْفَتْرَةِ الْمَاضِيَةِ ؟ »

« كُنْتُ فِي قَرْنَسَا رَعِمَ جَهْلِي بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَلَكِنْ  
الْفَرَنْسِيِّينَ غَايَةً فِي الرِّقَّةِ وَاللُّطْفِ . وَلَقَدْ جِئْتُ كَثِيرًا مِنَ الْمَدِينِ  
هُنَاكَ بَحْثًا عَنِ الْفَتَاةِ . فَلَمَّا لَمْ أَجِدْهَا ، عُدْتُ أَجْرَجِرُ أَذْيَالَ الْخَبِيَّةِ  
إِلَى إِنْجِلْتِرَا . وَلَكِنْ عِنْدَ عَوْدَتِي إِلَى يَارْموثَ ، وَجَدْتُ رِسَالَةً أَرْجَحُ  
أَنَّهَا مِنْ إِمِيلِي ، وَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ تَوْقِيعًا مَا . كَانَتْ الرِّسَالَةُ مِنْ »

كَلِمَتَيْنِ فَقَطْ « أَعْفُ عَنِّي ! » وَكَانَتْ بِدَاخِلِهَا وَرَقَةٌ مَالِيَّةٌ قِيمَتُهَا  
خَمْسُونَ جُنِيهَا .

وَقَفْتُ امْرَأَةً عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنَّا ، وَكَأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَسْمَعَ حَدِيثَنَا ،  
وَرَمَقْتُهَا بِنَظَرَةٍ امْتِعَاضٍ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَبْتَعِدْ . وَمَا إِنْ نَظَرْتُ إِلَى الْمَرْأَةِ  
مَلِيًّا حَتَّى تَذَكَّرْتُ مَنْ تَكُونُ . كَانَتْ هِيَ مَارْتَا إِنْدَلَرْ .

قُلْتُ لِيِجُونِي : « وَكَيْفَ حَالُ هَام ؟ »

« بِخَيْرٍ ، يَا سَيِّدُ دَاوِيدَ . إِنَّهُ يَعْمَلُ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ، وَلَكِنَّهُ حَزِينٌ  
عَلَى الدَّوَامِ . »

« مَاذَا سَتَفْعَلُ الْآنَ ، يَا سَيِّدُ يِجُونِي ؟ »

أَجَابَ : « سَوْفَ أَوَاصِلُ الْبَحْثَ عَنْ إِمِيلِي . وَالْآنَ ، وَدَاعًا ،  
يَا سَيِّدُ دَاوِيدَ . »

عَانَقْتُهُ بِحَرَارَةٍ ، وَوَقَفْتُ أَرْقُبُهُ فِي حُزْنٍ وَهُوَ يَسِيرُ مُبْتَعِدًا دُونَ أَنْ  
يَتَطَّلَعَ إِلَى الْوَرَاءِ . ثُمَّ تَلَفَّتُ حَوْلِي لِكَيْ أَرَى مَارْتَا إِنْدَلَرْ ثَانِيَةً ،  
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ قَدْ اخْتَفَتْ تَمَامًا .

وَتَلَقَّيْتُ الرَّدَّ عَلَى خِطَابِي الَّذِي أُرْسَلْتُهُ إِلَى عَمَّتِي دُورَا ،  
وَإِذَا بِهِمَا تَدْعَوَانِي إِلَى زِيَارَتِهِمَا ، عَلَى أَنْ يَكُونَ بِرُفْقَتِي أَحَدٌ



وَسَرَّعَانَ مَا اتَّفَقْتُ مَعَ تَرَادِلْزَ عَلَى أَنْ نَذْهَبَ مَعًا إِلَى مَنْزِلِ  
الْعَمَّتَيْنِ . وَحَدَّثَنِي الصَّدِيقُ فِي أَثْنَاءِ سَيْرِنَا عَنْ مَحَبَّتِهِ الَّتِي يَعْتَزِمُ  
الزَّوْاجَ بِهَا ، فَقَالَ : « صُوفِي فَتَاةٌ أَثِيرَةٌ لَدَيَّ ، وَأَنَا أَحِبُّهَا كَثِيرًا ،  
وَأُرِيدُ الزَّوْاجَ بِهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ . غَيْرَ أَنَّهَا تَرْعَى عِدَّةَ أَخَوَاتٍ لَهَا ،  
وَهَؤُلَاءِ الْأَخَوَاتُ يَتَمَسَّكْنَ بِبَقَائِهَا مَعَهُنَّ ، وَيُعَارِضْنَ فِي زَوَاجِهَا  
بِأَيِّ رَجُلٍ فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ . »

« وَلَكِنَّهَا سَوْفَ تَتَزَوَّجُكَ يَوْمًا مَا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ تَرَادِلْزَ ، وَالْحَزَنُ يُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ : « لَسْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ  
الْأَمْرِ ؛ إِذْ كُلَّمَا سَأَلْتُهَا عَنْ مَوْعِدِ عَقْدِ الْقِرَانِ ، أَجَابَتْ بِأَنَّهَا لَا  
تَسْتَطِيعُ بَعْدُ أَنْ تُحَدِّدَهُ . »

وَوَأَسَيْتُ صَدِيقِي قَائِلًا : « لَا تَبْتَئِسْ يَا تَرَادِلْزَ ، فَلَسَوْفَ تَتَزَوَّجُ  
بِمَحَبَّتِكَ حَتْمًا . عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ بَعْضَ الْوَقْتِ . »

عَقَّبَ تَرَادِلْزَ بِقَوْلِهِ : « أَجَلٌ ، أَنَا وَصُوفِي صَغِيرَا السِّنِّ وَيُمْكِنُنَا  
الْإِنْتِظَارُ . »

كَانَتْ عَمَّتَا دُورًا مُتَقَدِّمَتَيْنِ فِي السِّنِّ ، وَلَكِنَّهُمَا كَانَتَا عَانِسَيْنِ ،





وَكَاثَتْ إِحْدَاهُمَا تُدْعَى الْآيِسَةَ لَافِينِيَا ، وَالْأُخْرَى الْآيِسَةَ كَلَارِيْسًا .  
وَتَحَدَّثَتْ إِلَيْنَا الْعَمَّتَانِ فِي أَدَبِ جَمٍّ ، وَقَالَتْ إِنَّهُ يُمَكِّنُنِي الْمَجِيءُ  
يَوْمِي السَّبْتِ وَالْأَحَدِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ .

وَهَكَذَا أَخَذْتُ أَزُورُ دُورَا فِي هَذَا الْمَوْعِدِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ ،  
وَكَاثَتْ عَمَّتِي بِتَسِي تَصْحَبْنِي فِي تِلْكَ الزِّيَارَاتِ . وَلَقَدْ أَغْرَمْتُ  
عَمَّتِي بِدُورَا وَعَمَّتَيْهَا ، وَأَصْبَحْنَا جَمِيعًا أُسْرَةً وَاحِدَةً . وَتَنَاقَسَتِ  
الْعَمَّاتُ الثَّلَاثُ فِي إِرْضَاءِ دُورَا وَتَدْلِيلِهَا ؛ فَلَمْ أَطْمَئِنَّ أَنَا كَثِيرًا  
لِذَلِكَ .

قُلْتُ لِدُورَا ، وَنَحْنُ نَتَجَادَبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ مَعًا ذَاتَ يَوْمٍ :  
« لَقَدْ اشْتَرَيْتُ لَكَ كِتَابًا ثَمِينًا ، يَا عَزِيزَتِي . »

« حَقًّا ؟ أَشْكُرُكَ ، يَا دَاوِيدُ ! »

« إِنَّهُ كِتَابٌ فِي فَنِّ الطُّهْيِ . »

صَاحَتْ : « آه ! كِتَابٌ فِي الطُّهْيِ ؟ »

أَجَبْتُ فِي هُدُوءٍ : « أَجَلٌ . اقْرَأِيهِ يَا دُورَا ، وَلَسَوْفَ تُتَقَنِّينِ  
الطُّهْيَ فِي أَمَدٍ وَجِيزٍ . »

أَجَابَتْ ، وَفِي صَوْتِهَا رَنَّةٌ حَزْنٍ : « حَسَنٌ ، سَوْفَ أَحَاوِلُ . »

وَلَقَدْ حَاوَلْتُ بِالْفِعْلِ . وَلَكِنْ سَرَعَانَ مَا تَوَقَّفْتُ ذَاتَ يَوْمٍ ،  
وَقَالَتْ فِي تَبَرُّمٍ وَنَفَادٍ صَبْرٍ : « لَا أُسْتَطِيعُ الْاسْتِمْرَارَ فِي هَذَا الْعَمَلِ  
الصَّعْبِ . إِنَّهُ يُسَبِّبُ لِي ضَيْقًا وَاكْتِثَابًا . »

وَعِنْدَمَا قَدِمْتُ أَغْنِيْسَ إِلَى لَنْدُنَ بَعْدَ ذَلِكَ ، اسْتَأْذَنْتُ فِي زِيَارَةِ  
دُورَا . وَقَالَتْ لِي دُورَا بَعْدَ انْتِهَاءِ الزِّيَارَةِ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ رَائِعَةٌ الْجَمَالِ ،  
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَبْتُهَا : « أَجَلٌ ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ وَرَقِيقَةٌ لِلْغَايَةِ . »

« مِنْذُ مَتَى وَأَنْتِ تَعْرِفُهَا ؟ »

« مِنْذُ أَمَدٍ طَوِيلٍ . مِنْذُ أَنْ كُنَّا طِفْلَيْنِ مَعًا . »

سَأَلْتُ دُورَا فِي نَبْرَةٍ غَاضِبَةٍ : « إِذَا لِمَاذَا أَحْبَبْتَنِي أَنَا ؟ »

أَجَبْتُ فِي وَجْدٍ وَهَيْامٍ : « لِأَنَّ أَغْنِيْسَ بِمِثَابَةِ أُخْتٍ لِي . أَمَّا أَنْتِ  
فَقَاتَبْتَنِي الَّتِي أَذُوبُ فِيهَا حُبًّا . »



مِنَ الْمَالِ ، وَكُنْتُ أَفْضَلُ أَنْ أَشْتَرِيَ كُلَّ الْأَثَاثِ الْإِلَازِمِ لِمَنْزِلِنَا عَلَى أَنْ أَشْتَرِيَ بَيْتًا لِلْكَلْبِ . وَلَكِنْ حُبِّي لِدَوْرَا حَالَ دُونَ أَنْ أَبْذِي لَهَا اعْتِرَاضًا أَوْ امْتِعَاضًا .

ثُمَّ حَانَ يَوْمُ الزَّفَافِ . وَلَا اسْتَطِيعُ تَذَكُّرُ مَا حَدَّثَ عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ ، فَلَقَدْ كُنْتُ أُحَلِّقُ فِي سَمَاءِ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ ، وَأُسَبِّحُ فِي حُلْمٍ رَائِعٍ لَا أُرْعَبُ فِي الاسْتِيقَاضِ مِنْهُ .

وَحَمَلْتَنِي وَدَوْرَا عَرَبَةً خَاصَّةً إِلَى بَيْتِنَا الْجَدِيدِ . وَمَا إِنْ أَصْبَحْنَا مُنْفَرِدَيْنِ ، حَتَّى بَادَرْتَنِي بِقَوْلِهَا : « هَلْ أَنْتَ سَعِيدٌ ، يَا دَاوِيدُ ؟ »

طَوَّقْتُهَا بِذِرَاعِي ، وَتَفَرَّسْتُ فِي عَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوَيْنِ السَّاحِرَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلْتُ : « كُلُّ السَّعَادَةِ ، يَا حَيَاتِي ! »

أَسْبَلْتُ عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَتَيْنِ ، وَقَالَتْ : « الْآنَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ زَوْجَتَكَ بِالْفِعْلِ ، هَلْ أَنْتَ مُسْرورٌ بِذَلِكَ حَقًّا ؟ »

« أَجَلٌ ، بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . »

كُنْتُ سَعِيدًا وَقَتْنَدُ بِالْفِعْلِ ؛ إِذْ كُنْتُ أَهِيْمُ بِزَوْجَتِي هَيَامًا شَدِيدًا . وَلَكِنْ مَا هِيَ إِلَّا أَسَابِيْعُ قَلَائِلُ ، حَتَّى أَخَذْتُ أُسْتَشْعِرُ الْقَلْقَ وَعَدَمَ الْإِرْتِيَاحِ ؛ لِأَنَّ زَوْجَتِي كَانَتْ عَاجِزَةً تَمَامًا عَنْ إِدَارَةِ شُئُونِ الْبَيْتِ !

## الفصل الثالث عشر

انْغَمَسْتُ فِي الْعَمَلِ بِكُلِّ اجْتِهَادٍ وَمُثَابَرَةٍ ، وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَحْصِلَ عَلَى دَخْلٍ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ الْاِسْتِغَالِ بِالِاخْتِزَالِ . ثُمَّ كَتَبْتُ قِصَّةً وَنَجَحْتُ فِي بَيْعِهَا لِأَحَدِ النَّاشِرِينَ ، فَشَجَّعَنِي ذَلِكَ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ فِي الْكِتَابَةِ . وَمَرَّتْ بِضَعَةُ شُهُورٍ ، وَبَلَغْتُ الْوَاحِدَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِي ، فَشَرَعْتُ فِي عَمَلِ التَّرْتِيبَاتِ الْإِلَازِمَةِ لِزَوْاجِي بِدَوْرَا .

وَمَا إِنْ عَثَرْتُ عَلَى مَنْزِلٍ صَغِيرٍ أَنْيَقٍ حَتَّى قُلْتُ لَهَا : « يَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ فِي تَأْثِيثِ هَذَا الْمَنْزِلِ لِيَكُونَ عُشْنَا السَّعِيدَ . نَحْنُ فِي حَاجَةٍ لِمَنَاظِيدَ وَمَقَاعِدَ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَةً . »

وَتَرَدَّدْنَا مَعًا عَلَى مُخْتَلِفِ الْمَتَاجِرِ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَشْتَرِ سِوَى الْقَلِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ ؛ ذَلِكَ أَنَّ دَوْرَا أَصْرَتْ عَلَى شِرَاءِ بَيْتِ حَدِيدِي ذِي أَجْرَاسٍ لِكَلْبِهَا جِيْبٍ . وَقَدْ كَلَّفَنِي بَيْتُ الْكَلْبِ هَذَا مَبْلَغًا كَبِيرًا



كَانَتْ مَارِي أَنْ أَوَّلَ خَادِمَةٍ تَعْمَلُ فِي مَنْزِلِنَا ، وَكَانَتْ سَيِّدَةً  
حَمَقَاءَ شَدِيدَةً الْوَلَعِ بِالشَّرَابِ . وَذَاتَ مَسَاءٍ ، تَأَخَّرَ إِعْدَادُ الْعِشَاءِ  
طَوِيلًا ، فَقُلْتُ لِدُورَا :

« لَقَدْ دَابَّتْ مَارِي أَنْ عَلَى التَّأَخُّرِ فِي إِعْدَادِ الطَّعَامِ ، كَمَا أَنَّهَا  
تُقَدِّمُ طَعَامًا رَدِيءَ الطَّهْيِ وَالْمَذَاقِ . يَجِبُ أَنْ تَنْهَرَهَا بِشِدَّةٍ عَلَى  
ذَلِكَ ! يَجِبُ أَنْ تَقُومِي بِمَهَامِ رَبَّةِ الْبَيْتِ ! »

أَجَابَتْ فِي سَخَطٍ وَتَبَرُّمٍ : « لَا يَا دَافِيدُ ! لَا أَسْتَطِيعُ ! أَنَا لَمْ  
أُمَارِسْ هَذِهِ الْمَهَامَ مِنْ قَبْلُ ، كَمَا أَنَّي أَخْشَى الْإِحْتِكَاءَ بِالْخَدَمِ .  
لَقَدْ أَصْبَحْتُ ، يَا دَافِيدُ إِنْسَانًا قَطًّا ، غَلِيظَ الْقَلْبِ . »

وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ انْخَرَطْتُ فِي الْبُكَاءِ ، فَصِخْتُ قَائِلًا فِي عَيْظِ  
مَكْتُومٍ : « لَا تَبْكِي يَا عَزِيزَتِي ، أَرْجُوكِ ! سَوْفَ أَتَصَرَّفُ أَنَا فِي  
الْأَمْرِ . »

وَأَعْفَيْتُ مَارِي أَنْ مِنَ الْعَمَلِ فِي التَّوَّ ، وَأَحْلَلْتُ مَكَانَهَا امْرَأَةً  
مُتَقَدِّمَةً فِي السَّنِّ . غَيْرَ أَنَّ الْخَادِمَةَ الْجَدِيدَةَ لَمْ تَسْتَطِعِ النَّهْوضَ  
بِأَعْبَاءِ الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِ مَرَضٍ ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الْاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا  
آخِرَ الْأَمْرِ .

وَبِالإِضَافَةِ إِلَى رَدَاءَةِ الطَّعَامِ وَاضْطِرَابِ أَحْوَالِ الْبَيْتِ ، كَانَتْ

دُورَا شَدِيدَةَ التَّبَذِيرِ . وَلَقَدْ شَكَّوْتُ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ،  
فَصَاحَتْ قَائِلَةً : « أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّي رَبَّةٌ بَيْتٍ فَاشِلَةٌ ، فَأَنَا لَا أَجِدُ  
الطَّهْيَ ، وَلَا خِبْرَةَ لِي بِإِدَارَةِ شُؤْنِ الْمَنْزِلِ ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّي  
مَوْلَعَةٌ بِالْإِنْفَاقِ ، وَلَمْ أَعْتَدْ أَنْ أَعْمَلَ لِلْمَالِ حِسَابًا . وَرَغِمَ كُلُّ  
ذَلِكَ فَقَدْ أَحْبَبْتَنِي ، وَكُنْتُ مُتْلَهِّفًا عَلَى الزَّوْاجِ بِي . لَكِنْ يَدُو أَنَّكَ  
تَشْعُرُ الْآنَ بِالنَّدَمِ عَلَى ذَلِكَ . أَنَا حَزِينَةٌ لِذَلِكَ يَا دَافِيدُ ، فَأَنَا مَا  
زِلْتُ أُحِبُّكَ . »

وَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهَا فِي أَسَى وَعِثَابٍ . وَاعْرُورِقْتُ عَيْنَاهَا الْجَمِيلَتَانِ  
بِالدُّمُوعِ ، فَاسْرَعْتُ قَائِلًا فِي حَنَانٍ بِالْغُرِّ : « لَا تَبْكِي يَا حَبِيبَتِي ،  
أَرْجُوكِ ! وَجَفَّفِي دُمُوعَكَ عَلَى الْفُورِ ، فَأَنَا مَا زِلْتُ أُحِبُّكَ كُلَّ  
الْحُبِّ ، وَلَمْ أُنْدَمْ قَطُّ عَلَى زَوَاجِي بِكَ . »

وَانْفَرَجَتْ أَسَارِيرُهَا فِي الْحَالِ ، وَعَادَتْ إِلَى طَبِيعَتِهَا اللَّاهِيَةِ  
الْمُرَحَّةِ .

لَمْ أَعُدْ إِلَى لَوْمِ دُورَا لِإِسْرَافِهَا ، أَوْ عَجْزِهَا عَنْ أَدَاءِ وَاجِبَاتِهَا  
الْمَنْزِلِيَّةِ . وَعِنْدَمَا تَحَدَّثْتُ إِلَى عَمَّتِي بِشَيْءٍ فِي الْأَمْرِ ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا  
إِسْدَاءَ النَّصْحِ إِلَى زَوْجَتِي ، سَارَعَتْ بِالْقَوْلِ : « كَلَّا يَا دَافِيدُ ، لَنْ  
أَقَعَ فِي هَذَا الْخَطَأِ مَرَّةً أُخْرَى . لَقَدْ كَانَتْ أُمُّكَ عَلَى شَاكِلَةِ دُورَا ،



وَعِنْدَمَا لَمَتْهَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعُنْفِ ، كَرِهْتَنِي وَأَصْبَحْتَ  
تَتَحَاشَانِي . أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَقِفَ مِنْ زَوْجَتِكَ مَوْقِفَ الْمُعْلَمِ ؛ خَشِيَّةٌ  
أَنْ تَتَجَنَّبَنِي أَوْ تَكْرَهَنِي . إِنَّ دُورًا تُحِبُّكَ بِشِدَّةٍ يَا دَافِيدَ - تَذَكَّرُ  
ذَلِكَ . إِنَّهَا لَيْسَتْ مَاهِرَةً فِي الشُّعُونَ الْمَنْزِلِيَّةِ ، وَلَكِنَّهَا جَمِيلَةٌ وَرَقِيقَةٌ  
لِلْغَايَةِ ، كَمَا أَنَّهَا تُحِبُّكَ حُبًّا جَمًّا ، وَهَذَا يَكْفِيكَ . لَا تَكُنْ غَلِيظًا  
مَعَهَا ، وَلَا تُكْثِرْ مِنْ أَمْرِكَ وَنَوَاهِيكَ ، حَتَّى لَا تَنْفِرَ مِنْكَ ، أَوْ  
تَسْتَشْعِرَ التَّعَاسَةَ فِي حَيَاتِهَا مَعَكَ .

وَلَقَدْ اتَّبَعْتُ نَصِيحَةَ عَمَّتِي مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ . وَذَاتَ يَوْمٍ حَضَرَ  
صَدِيقِي تِرَادِلْزَ لِلْعِشَاءِ ، وَكَانَ الطَّعَامُ رَدِيئًا لِلْغَايَةِ . وَأَسْقَطَتْ  
الْخَادِمُ بَعْضَ الْأَطْبَاقِ عَلَى الْأَرْضِ ، كَمَا قَفَزَ كُلُّنَا الْمُدْلُلُ إِلَى مَا  
فَوْقَ الْمَائِدَةِ . وَتَمَلَّكَنِي الْغَضَبُ لِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ صَدِيقِي قَدْ  
اسْتَمَرَ فِي رِوَايَةِ النُّكَاتِ وَالْقِصَصِ الْمُسْلِيَّةِ ؛ مُتَعَمِّدًا عَدَمَ إِشْعَارِي  
بِشَيْءٍ غَيْرٍ عَادِيٍّ .

وَبَعْدَ انْصِرَافِ الضَّيِّفِ ، جَاءَتْ دُورًا وَجَلَسَتْ إِلَى جَانِبِي فِي  
خَجَلٍ شَدِيدٍ ، ثُمَّ قَالَتْ ، وَقَدْ كَسَتْ وَجْهَهَا مِسْحَةً مِنَ الْحُزَنِ :  
« لَقَدْ كَانَ عِشَاءُ رَدِيئًا يَا دَافِيدَ . أَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَأَشْعُرُ بِالْخَجَلِ مِنْ  
أَجْلِهِ . »

أَجَبْتُهَا قَائِلًا : « لَا تَقْلَقِي ، يَا عَزِيزَتِي ، بِهَذَا الْخُصُوصِ . »





« وَلَكِنِّي قَلِقَةٌ وَحَزِينَةٌ فِي الْوَاقِعِ ، فَأَنَا أَجَاهِدُ لِكَيْ أَكُونَ زَوْجَةً صَالِحَةً ، دُونَ أَنْ أَحَقِّقَ نَجَاحًا يُذَكِّرُ . إِنِّي أَشْعُرُ بِالتَّعَاسَةِ وَالْإِحْبَاطِ ، لِأَنِّي لَمْ أَخْلُقْ لَأَكُونَ رَبَّةً بَيْتٍ مَاهِرَةً . مَا زِلْتُ مِثْلَ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ مُدَلَّلَةٍ ، وَمَا زَالَ الْمَنْزِلُ غَيْرَ مُرِيحٍ بِالنِّسْبَةِ لَكَ . لَكِنْ لَا تَغْضَبْ مِنِّي يَا حَبِيبِي ، وَقُلْ لِنَفْسِكَ إِذَا مَا سَاوَرَكَ الْحَقُّ : إِنَّ دَوْرًا لَا تَزَالُ طِفْلَةً صَغِيرَةً ، وَهِيَ تُحِبُّكَ أَشَدَّ الْحُبِّ . حِينَئِذٍ سَوْفَ يَزُولُ عَنْكَ غَضَبُكَ . »

عَلَى أَنِّي لَمْ أَغْضَبْ مِنْهَا أَلْبَتَّةَ ، وَلَمْ أَكُنْ أَمْلِكُ أَنْ أَفْعَلَ ؛ فَقَدْ كَانَتْ مِثْلَ زَهْرَةٍ حُلْوَةٍ نَاضِرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ كُمِّهَا فِي مَطْلَعِ الرَّبِيعِ ، كَمَا كَانَتْ آيَةٌ فِي الرِّقَّةِ وَالْعُدُوبَةِ . وَلَقَدْ اكْتَفَيْتُ مِنْهَا بِالْجُلُوسِ إِلَى جَانِبِي فِي أَثْنَاءِ كِتَابَةِ قِصَصِي فِي اللَّيْلِ . وَكُنْتُ أَجِدُ مَنَافِعَ فِي ذَلِكَ ، رَغْمَ جَهْلِهَا التَّامِّ بِمَا أَفْعَلُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، أُرْسَلَتْ رُوزَا دَارْتِل فِي طَلْبِي ؛ فَهَرَعْتُ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ سْتِيرْفُورْثَ لِمُقَابَلَتِهَا . وَهُنَاكَ فَاجَأَتْنِي بِنَبَأٍ مُدْهِلٍ : لَقَدْ انْفَصَلَتْ إِمِيلِي عَنْ سْتِيرْفُورْثَ !

وَأَسْرَعْتُ إِلَى حُجْرَةِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي فِي لَنْدُنَ . وَمَا إِنَّ أَخْبَرْتَهُ بِالنَّبَأِ حَتَّى هَبَّ مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَصَاحَ قَائِلًا : « أَحَقًّا مَا تَقُولُ ؟ »

يَا لَفَتَاتِي الصَّغِيرَةِ الْمُسْكِينَةِ ! أَيْنَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْآنَ ؟ »

« رُوزَا لَا تَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ . كُلُّ مَا تَعْرِفُهُ أَنَّ إِمِيلِي قَدْ انْفَصَلَتْ عَنْ سْتِيرْفُورْثَ ، وَأَنَّهَا مَا زَالَتْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ . »

صَاحَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي فِي فَرَحٍ : « مَا زَالَتْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ! شُكْرًا لِلَّهِ ! وَالْآنَ ، لَقَدْ تَجَدَّدَ لَدَيَّ الْأَمَلُ فِي الْعُثُورِ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ ؟ »

قُلْتُ : « لَقَدْ قَصَدْتُ أَوْ سَوْفَ تَقْصِدُ لَنْدُنَ عَلَى الْأَعْلَبِ ؛ إِذْ يُمَكِّنُ لَهَا التَّخْفِي فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ ، لَكِنَّهَا لَنْ تَذْهَبَ بِالْقَطْعِ إِلَى يَارْمُوثَ ؛ خَجَلًا مِنْ مُوَاجَهَةِ النَّاسِ هُنَاكَ ! »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « هَذَا رَأْيِي صَائِبٌ . وَلَكِنِّي بَحَثْتُ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ شَهْرًا طَوِيلًا دُونَ جَدْوَى . »

وَفِي الْحَالِ ، لَاحَتْ فِي ذَهْنِي صُورَةُ مَارْتَا إِنْدَلزَ ، فَقُلْتُ لِلْسَّيِّدِ بِيغُوتِي : « هَلْ تَذَكَّرُ مَارْتَا إِنْدَلزَ ؟ »

« أَجَلٌ ، أَذْكُرُهَا . لَقَدْ سَاعَدَتْهَا إِمِيلِي ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَمَا كَانَتْ تَمُرُّ بِمِحْنَةٍ . »

« إِنَّهَا تَعِيشُ فِي لَنْدُنَ الْآنَ ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَرُدَّ لِإِمِيلِي »



كَانَتْ مَارْتَا تَهِيْمُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِيْنَةِ ، فَكَانَ مِنَ السَّهْلِ الْعُثُوْرُ عَلَيْهَا فِي زَمَنٍ وَجِيزٍ . وَتَبِعَتْهَا مَعَ بِيغُوتِي عَنْ بَعْدِ ذَاتِ لَيْلَةٍ ، وَهِيَ تَسِيرُ عَبْرَ شَوَارِعِ ضَيْقَةٍ قَدِرَةٍ فِي اتِّجَاهِ نَهْرِ التَّيْمَزِ . كَانَتْ تَرْتَدِي مَلَابِسَ رَثَّةٍ مُهْلَهْلَةٍ ، وَكَانَ يُغْلَفُ وَجْهَهَا حُزْنٌ صَامِتٌ عَمِيقٌ . وَمَا إِنَّ شَارِفَتِ النَّهْرَ حَتَّى تَوَقَّفَتْ قَلِيلاً ، ثُمَّ سَارَتْ عَلَى ضِفَّتِهِ بِضَعِ خُطُوَاتٍ . وَعَلَى حِينِ غِرَّةٍ هَمَّتْ بِإِلْقَاءِ نَفْسِهَا فِي الْمَاءِ .

فَفَزَتْ نَحْوَهَا عَلَى الْفَوْرِ ، وَجَدَبَتْهَا بِشِدَّةٍ مِنْ يَدِهَا ؛ فَصَرَخَتْ قَائِلَةً : « دَعْنِي أُمَّتْ ! دَعْنِي ! إِنَّ النَّهْرَ يَفْتَحُ لِي ذِرَاعِيهِ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُغِيبَ فِي أَعْمَاقِهِ . »

صَبَحَتْ قَائِلًا : « مَارْتَا ! مَاذَا دَهَاكِ ؟ »

حَاوَلَتْ التَّمَلُّصَ مِنْ قَبْضَتِي ، وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ : « دَعْنِي أَهْلِيكَ ، فَالْمَوْتُ أَرْحَمُ بِشَقِيَّةٍ شَرِيرَةٍ مِثْلِي . لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُعْدِمَةً لَا أَمْلِكُ قُوَّةَ يَوْمِي . »

وَعَاوَنَنِي بِيغُوتِي فِي حَمْلِ الْمَرْأَةِ بَعِيدًا عَنِ النَّهْرِ ، فِي حِينِ كَانَتْ تَصْرُخُ وَتَبْكِي بِصَوْتٍ عَالٍ .

وَلَمَّا هَدَأَتْ بَعْضَ الشَّيْءِ ، أَسْرَعْتُ بِالْقَوْلِ : « مَارْتَا ، سَوْفَ نَقِيلُكَ مِنْ عَشْرَتِكَ ، وَنُسَاعِدُكَ عَلَى تَجَاوُزِ مُحِنتِكَ . هَلْ تَرْغِبِينَ فِي مُسَاعَدَتِنَا بِدَوْرِكَ فِي أَمْرٍ مَا ؟ »

نَظَلَعْتُ إِلَى وَجْهِنَا فِي حُزْنٍ ، وَقَالَتْ : « مَنْ أَنْتُمَا ؟ وَمَاذَا تُرِيدَانِ مِنِّي ؟ »

قَدَّمْتُ إِلَيْهَا السَّيِّدَ بِيغُوتِي ، وَذَكَرْتُهَا بِإِلْقَائِهَا السَّابِقِ مَعَ إِمِيلِي ذَاتَ يَوْمٍ فِي يَارْمُوثَ . ثُمَّ رَوَيْتُ لَهَا قِصَّةَ إِمِيلِي مَعَ سَتِيرْفُورْثَ ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا أَنْ تُسَاعِدَنَا فِي الْبَحْثِ عَنِ الْفَتَاةِ .

وَبَعْدَ أَنْ قَرَعْتُ مِنَ الْحَدِيثِ جَفَفْتُ دُمُوعَهَا ، ثُمَّ نَهَضْتُ قَائِلَةً : « لَقَدْ أَسَدْتُ إِمِيلِي إِلَى ذَاتِ يَوْمٍ جَمِيلاً لَنْ أَنْسَاهُ . وَهَا أَنْتَ ذَا قَدْ أَتَيْتَ اللَّيْلَةَ لِتُنْقِذَ حَيَاتِي ، وَتُسَجِّعَنِي عَلَى مُوَاصَلَةِ الْعَيْشِ . سَوْفَ أَجُوبُ شَوَارِعَ الْمَدِيْنَةِ وَاحِدًا تَلَوَ الْآخِرَ ، وَأَسْأَلُ كُلَّ مَنْ أَقَابِلُ مِنَ النَّاسِ ، إِلَى أَنْ أَعُثَرَ عَلَى صَدِيقَتِي الطَّيِّبَةِ ؛ عِنْدَيْدِ سَوْفَ أُسَبِّقُهَا فِي حُجْرَتِي ، رِثْمًا أَخْبِرُكَ بِالْأَمْرِ . » فَأَعْطَيْتُهَا عُنْوَانِي ، ثُمَّ شَكَرْتُهَا ، وَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ ، غَيْرَ أَنَّهَا رَفَضَتْ أَخْذَهُ ، قَائِلَةً : « لَا لَنْ أُوْدِّيَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ لِقَاءِ ثَمَنٍ ، وَلَكِنْ رَدًّا لِصَنِيعِكُمَا الْحَمِيدِ . »

وَأَنْصَرَفْتُ مَعَ السَّيِّدِ بِيغُوتِي ، وَقَدْ أَفْعَمَ قَلْبَانَا بِأَمَلٍ جَدِيدٍ .



## الفصل الرابع عشر

أَنْهَيْتُ تَأْلِيفَ كِتَابِي الْأَوَّلِ ، وَصَادَفَ تَجَاحًا بَاهِرًا ، فَكَسَبْتُ مِنْ وَرَائِهِ مَبْلَغًا طَائِلًا مِنَ الْمَالِ . غَيْرَ أَنَّ أَحْوَالي الْمُنْزِلِيَّةَ كَانَتْ لَا تَزَالُ مُضْطَرَّبَةً بِسَبَبِ جَهْلِ دَوْرَا بِتَدْبِيرِ شُئُونِ الْبَيْتِ .

كَانَ لَدَيْنَا خَدَمٌ كَثِيرُونَ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ غُلَامٌ حَكِيمٌ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ بَعْدَ أَنْ سَرَقْنَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ . وَقُلْتُ لِزَوْجَتِي عَشِيَّةَ دُخُولِهِ السَّجْنِ : « يَا عَزِيزَتِي دَوْرَا ، أَرَى أَنَّ أُمُورَنَا لَا تَسِيرُ كَمَا يَجِبُ . »

سَأَلْتُ فِي دَهْشَةٍ : « مَاذَا تَعْنِي ؟ »

« أَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نُحْدِثَ تَغْيِيرًا مَا . لَدَيْنَا عِدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَدَمِ ، وَلَكِنَّ الْمَنْزِلَ مَا زَالَ غَيْرَ مُرِيحٍ . أَرَى أَنَّ الدَّنْبَ فِي ذَلِكَ يَقَعُ عَلَى كَاهِلَيْنَا كِلَيْنَا ؛ إِذْ يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كُلُّ مَنَا كَيْفَ يُشْرِفَ عَلَى أَعْمَالِ الْخَدَمِ . »

أَعْرُورَقْتُ عَيْنَا دَوْرَا بِالدُّمُوعِ ، وَهِيَ تَقُولُ : « لَا يَا دَاوِيدَ . إِنَّ الدَّنْبَ فِي ذَلِكَ يَقَعُ عَلَى كَاهِلِي أَنَا وَحْدِي ، فَأَنَا الْمَسْئُولَةُ بِمُفْرَدِي عَنِ الْإِشْرَافِ عَلَى أَعْمَالِ الْخَدَمِ . إِنِّي أَعْتَرِفُ بِتَقْصِيرِي ، بَلْ عَجَزِي . لَا تَكُنْ قَاسِيًا عَلَيَّ ، يَا دَاوِيدَ ، أَرْجُوكَ ! »

أَجَبْتُهَا : « لَا تَقْلَقِي بِهَذَا الْخُصُوصِ ؛ فَسَوْفَ أَشْرِفُ بِنَفْسِي عَلَى أَعْمَالِ الْخَدَمِ . »

وَاضْطَلَعْتُ بِالْمِهْمَةِ بِالْفِعْلِ ، غَيْرَ أَنَّ الْحَيَاةَ أَصْبَحَتْ شَاقَّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ ، إِذْ تَوَزَّعَتْ جُهُودِي بَيْنَ شُئُونِ الْبَيْتِ وَأَعْمَالِي الْأُخْرَى الْخَاصَّةِ . وَأَخِيرًا قُلْتُ لِنَفْسِي : « وَلَكِنْ دَوْرَا يَجِبُ أَنْ تَتَغَيَّرَ كَذَلِكَ . يَجِبُ أَنْ أَعْلَمَهَا كَيْفَ تُدِيرُ شُئُونَ الْبَيْتِ . إِنَّهَا لَا تُشَارِكُنِي الْمَسْئُولِيَّةَ فِي شَيْءٍ ، وَلَا تَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَقُومَ بِهِ زَوْجَةً وَشَرِيكَةً لِحَيَاتِي . إِنَّهَا تَعِيشُ كَطِفْلَةٍ نَاعِمَةٍ لَاهِيَةٍ . » عِنْدَئِذٍ سَرَعْتُ فِي تَثْقِيفِهَا بِقِرَاءَةِ مُخْتَلِفِ الْكُتُبِ الْإِلَازِمَةِ لَهَا ، لَكِنَّهَا كَانَتْ غَيْرَ رَاجِعَةٍ فِي التَّعَلُّمِ . كَانَتْ تُرِيدُ فِي أَعْمَاقِهَا أَنْ تَظُلَّ طِفْلَةً نَاعِمَةً لَاهِيَةً .

وَلَمْ تَلَبِّثْ أَنْ حَمَلَتْ بِطِفْلٍ ، فَابْتَهَجْتُ كَثِيرًا لِذَلِكَ ، وَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّ الطِّفْلَ سَوْفَ يَسْتَأْثِرُ بِعِنَايَتِي وَاهْتِمَامِي ، وَأَنْ مَشَاعِرَ



الأمومة كَفِيلَةً بِأَنْ تُحِيلَهَا إِلَى زَوْجَةٍ قَادِرَةٍ مَاهِرَةٍ . غَيْرَ أَنَّ الطِّفْلَ  
لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ بَعْدَ زَمَنٍ وَجِيزٍ مِنْ وَلَادَتِهِ .

وَحَزِنْتُ كَثِيرًا لِمَوْتِ الطِّفْلِ ، كَمَا مَرَضْتُ دُورًا وَلَا زَمَتِ  
الْفِرَاشَ ، غَيْرَ أَنَّهَا سَرَّعَانَ مَا أَبْلَتْ مِنْ مَرَضِهَا ، فَعَاوَدَتْهَا طَبِيعَتُهَا  
الْمَرِحَّةُ الطُّرُوبُ ، وَأَخَذَتْ تَقْضِي مُعْظَمَ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي أَحَادِيثَ  
صَاحِكَةٍ مَعَ عَمَّتِي .

قَالَتْ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : « أَنْتَ لَسْتَ تَعِيسًا ، يَا دَاوِيدَ ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ؟ »

أَجَبْتُهَا : « تَعِيسًا ؟ لَا يَا حَبِيبَتِي . »

أَرَدَقْتُ قَائِلَةً : « لَسْتُ بِزَوْجَةٍ صَالِحَةٍ . أَعْرِفُ ذَلِكَ ، فَأَنَا لَا  
أَحْسِنُ الْقِيَامَ بِوَاجِبَاتِي الْمُنْزِلِيَّةِ ، كَمَا أَنَّنِي لَا أَفْهَمُ شَيْئًا مِمَّا تَقْرُؤُهُ  
لِي مِنْ كُتُبٍ . أَنْتَ إِنْسَانٌ ذَكِيٌّ وَبَارِعٌ ، فِي حِينِ أَنَّنِي جَاهِلَةٌ  
وَعَبِيَّةٌ . وَلَكِنِّي أَحِبُّكَ يَا دَاوِيدَ .. أَحِبُّكَ كَثِيرًا ، فَهَلْ مَا زِلْتُ  
تُحِبُّنِي ؟ »

« أَجَلٌ يَا دُورًا ، وَلَسَوْفَ أَظَلُّ دَائِمًا أَحِبُّكَ . »

كُنْتُ يَوْمَئِذٍ صَادِقًا فِيمَا أَقُولُ ؛ إِذْ كُنْتُ لَا أَزَالُ أَحِبُّهَا بِالْفِعْلِ .

غَيْرَ أَنَّ حَيَاتِي كَانَتْ كَثِيبَةً وَخَاوِيَةً ؛ لِأَنَّ دُورًا كَانَتْ عَاجِزَةً تَمَامًا  
عَنِ الْقِيَامِ بِمُهِمَّاتِهَا رَبَّةً لِلْبَيْتِ ، كَمَا كَانَتْ عَاجِزَةً عَنْ مُشَارَكَتِي  
أَفْكَارِي وَطُمُوحَاتِي . كَانَتْ طِفْلَةً كَبِيرَةً مُدَلَّلَةً ، فَاضْطُرَرْتُ إِلَى  
مُعَامَلَتِهَا كَأَبٍ ، فِي حِينِ كُنْتُ أَتَوَقُّ إِلَى الْعَيْشِ فِي كَنَفِ زَوْجَةٍ  
أَشْعُرُ مَعَهَا بِنَعِيمِ الْحَيَاةِ الْأَسْرِيَّةِ الْمُرِيحَةِ ، وَلَدَّةِ الْفَهْمِ الْمُتَبَادَلِ .

وَذَاتَ صَبَاحٍ ، جَاءَتْنِي رِسَالَةٌ غَرِيبَةٍ مِنَ السَّيِّدِ مِيكَائِيلِ يَطْلُبُ  
فِيهَا أَنْ أَقَابِلَهُ عَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ ، كَيْ يَسْتَشِيرَنِي فِي أَمْرِ هَامٍّ لَا  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْشِفَ بِهِ أَحَدًا سِوَايَ .

وَأَفْضَيْتُ لِصَدِيقِي تَرَادُلَزَ بِفَحْوَى الْخِطَابِ ، ثُمَّ دَعَوْتُ السَّيِّدَ  
مِيكَائِيلَ إِلَى مَنْزِلِي ، كَمَا دَعَوْتُ تَرَادُلَزَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ .

وَمَا إِنَّ حَضَرَ السَّيِّدَ مِيكَائِيلَ حَتَّى بَادَرْتَهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ صِحَّةِ  
السَّيِّدِ وَكُفَيْلِدَ ، فَأَجَابَ بِأَنَّهُ فِي صِحَّةٍ جَيِّدَةٍ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا سَأَلَهُ  
تَرَادُلَزَ عَنْ يُرْيَا هِيْبَ شَحَبَ وَجْهَهُ وَارْتَعَشَ قَمَّةً ، ثُمَّ صَاحَ قَائِلًا :  
« يُرْيَا هِيْبَ ! إِنَّهُ كَلَبٌ ! حَيَوَانٌ ! »

وَهَالَنِي مَنَظَرُ الرَّجُلِ ، فَأَخَذْتُ فِي تَهْدِئَتِهِ قَائِلًا : « إِهْدَأْ يَا سَيِّدَ  
مِيكَائِيلَ ، أَرْجُوكَ ! لَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْ هَذَا الشَّخْصِ الْآنَ . لَكِنْ أَخْبِرْنِي  
بِرَبِّكَ ، كَيْفَ حَالُ الْآنَسَةِ وَكُفَيْلِدَ ؟ »



تَغَيَّرَتْ نَبْرَتُهُ عَلَى الْفَوْرِ ، وَأَجَابَ : « الْآنِسَةُ أَغْنِيسُ ؟ إِنَّهَا بِخَيْرٍ .  
إِنَّهَا غَايَةٌ فِي الرُّقَّةِ وَالطَّبِيبَةِ ، غَيْرَ أَنَّي لَا أُسْتَطِيعُ التَّفَكِيرَ فِي الْآنِسَةِ  
أَغْنِيسُ دُونَ أَنْ تَتَوَرَّ مَشَاعِرِي . إِنَّي ... »

وَأَنْفَجَرَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلَ فَجَاءَهُ فِي الْبُكَاءِ ، فَتَبَادَلَتْ وَتَرَادَلَتْ  
النَّظَرَاتُ فِي دَهْشَةٍ بِالْغَةِ . وَلَمْ يَلْبَثِ الرَّجُلُ أَنْ اسْتَطَرَدَ قَائِلًا فِي  
أَنْفِعَالٍ شَدِيدٍ : « لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَكْتُمَكُمْ الْأَمْرَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ،  
فَأَنْتُمْ جَمِيعًا أَصْدِقَاءُ أَوْفِيَاءُ . لَقَدْ أَحْسَنْتُمْ مَعِيَ الصَّنِيعَ ، وَلَكِنِّي  
لَا أُسْتَحِقُّ عَطْفَكُمْ . لَقَدْ عَدَوْتُ رَجُلًا شَرِيرًا مِثْلَ هَيْبَ ، وَلَكِنِّي  
أَقْسِمُ أَنَّي سَوْفَ أَتَغَيَّرُ عَلَى الْفَوْرِ . وَالْآنَ سَوْفَ أَخْبِرُكُمْ بِسِرِّ يَرِيَا  
هَيْبَ ، رَغْمَ أَنَّي قَدْ أَتَعَرَّضُ وَعَائِلَتِي لِلْسُجْنِ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ . »

كَانَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلَ يَرْغِي وَيَزِيدُ فَلَمْ نَسْتَطِعْ تَبَيِّنَ مَا قَالَهُ عَلَى  
وَجْهِ الدَّقَّةِ . وَأَخِيرًا أَمْسَكْتُ بِذِرَاعِ الرَّجُلِ ، وَقُلْتُ وَأَنَا أَحَاوِلُ  
إِجْلَاسَهُ عَلَى الْمَقْعَدِ : « إِهْدَأْ ، يَا سَيِّدُ مِيكَائِيلَ . إِهْدَأْ قَلِيلًا ، لَوْ  
سَمَحْتَ . »

وَأَقُلْتُ مَنِي ، وَهُوَ يَصِيحُ : « لَا ، لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَهْدَأَ ! إِنَّي  
أَمَقَّتُهُ ! أَمَقَّتُهُ وَأَزْدَرَبَهُ - هَذَا الْوَعْدُ ! تَعَالَ مَعِي إِلَى كَانْتَرَبْرِي فِي  
الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ . تَعَالَ وَقَابِلْنِي هُنَاكَ فِي الْفُنْدُقِ ، وَلَسَوْفَ أَكْشِفُ

لَكَ الْأَعْيَبَ الْحَقِيرَةَ . »

كَانَ الرَّجُلُ فِي ذِرْوَةِ الْإِنْفِعَالِ ، فَلَمْ يَقَوْ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْكَلَامِ .  
وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ غَادَرَ الْمَنْزَلَ مُسْرِعًا .

قَالَ تَرَادَلَز : « يَا إِلَهِي ! هَذَا أَمْرٌ بِالْغُ السُّوءِ ! هَلْ جُنَّ السَّيِّدُ  
مِيكَائِيلَ ؟ »

لَكِنِ الرَّجُلُ كَانَ عَاقِلًا تَمَامًا . وَبَعْدَ أَنْ مَرَّ يَوْمَانِ آخِرَانِ أُرْسِلَ  
لِي خِطَابًا آخَرَ يَعْتَذِرُ فِيهِ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُ أَثْنَاءَ وُجُودِهِ فِي مَنْزِلِي ،  
وَيُطَلَّبُ إِلَيَّ الْحُضُورَ إِلَى كَانْتَرَبْرِي فِي الْأُسْبُوعِ التَّالِي ، لِإِطْلَاعِي  
عَلَى مَا وَعَدَ بِهِ مِنْ مُؤَامَرَاتٍ يَرِيَا هَيْبَ .

وَفِي الْمَسَاءِ التَّالِي ، كُنْتُ أُسِيرُ فِي حَدِيقَةِ مَنْزِلِي شَارِدَ الْفِكْرِ  
فِيمَا عَسَى أَنْ يُفْضِي بِهِ إِلَيَّ السَّيِّدُ مِيكَائِيلَ مِنْ سِرٍّ ، حِينَ ذَلَقْتُ  
أَمْرًا إِلَى الْحَدِيقَةِ . وَعِنْدَمَا رَأَيْتَهَا صَحَتْ : « مَارَتَا ؟ هَلْ لَدَيْكَ  
أَخْبَارٌ ؟ »

أَجَابَتْ : « أَجَلٌ . لَقَدْ عَثَرْتُ عَلَى إِمِيلِي . وَلَكِنْ أَيْنَ السَّيِّدُ  
بِيغُوتِي ؟ »

« إِنَّهُ يَزُورُنِي هُنَا كُلَّ مَسَاءٍ تَقْرِيًا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْضُرِ اللَّيْلَةَ بَعْدُ . »



« لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَيْهِ فِي مَسْكِنِهِ ، وَلَكَمَا لَمْ أَجِدْهُ تَرَكْتُ لَهُ خِطَابًا .  
وَالآنَ ، تَعَالَ مَعِيَ عَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ ، رِثْمًا يَلْحَقُ بِنَا فِي حُجْرَتِي .  
وَاصْطَحَبْتَنِي مَارْتَا إِلَى بَيْتِ مُتَوَاضِعٍ مُقَسَّمٍ إِلَى حُجَرَاتٍ .  
وَأَخَذْنَا فِي صُغُورِ السُّلَمِ ، فَلَا حَ لَنَا ظَهَرَ فَتَاةٌ تَتَقَدَّمُنَا بِبِضْعِ  
دَرَجَاتٍ .

قُلْتُ لِمَارْتَا : « أَنَا أَعْرِفُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ . إِنَّهَا ... » فَأَشَارَتْ لِي  
مَارْتَا بِالصَّمْتِ . وَاسْتَمَرَّتِ الْفَتَاةُ فِي الصُّعُودِ إِلَى أَنْ وَقَفَتْ عِنْدَ  
بَابِ حُجْرَةِ مَارْتَا ، وَتَطَلَّعَتْ إِلَى الْبِطَاقَةِ الَّتِي تَحْمِلُ اسْمَ سَاكِنَةِ  
الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ لَمْ تَلْبِثْ أَنْ دَلَقَتْ إِلَى الدَّخْلِ .

قُلْتُ لِمَارْتَا فِي هَمْسٍ : « هَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ رُوزَا دَارْتَل . هَيَّا نَتَّبِعْهَا  
إِلَى دَاخِلِ الْحُجْرَةِ ، فَقَدْ تُحَاوِلُ إِيْذَاءَ إِمِيلِي . »

غَيْرَ أَنَّ مَارْتَا نَصَحْتَنِي بِالتَّرِيثِ وَالْوُقُوفِ أَوَّلًا عِنْدَ الْبَابِ ، لِنَسْمَعَ  
مَا يَدُورُ دَاخِلَ الْحُجْرَةِ .

قَالَتْ رُوزَا لِلْفَتَاةِ : « اسْمُكَ إِمِيلِي ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَابَتْ إِمِيلِي : « أَجَلْ ، وَلَكِنْ مَنْ أَنْتِ ؟ »

« اسْمِي رُوزَا دَارْتَل ، وَأَعِيشُ مَعَ السَّيِّدَةِ سْتِيرْفُورْثَ فِي مَنْزِلِهَا . »

هَمَسَتْ إِمِيلِي : « سْتِيرْفُورْثُ ؟ »

أَجَابَتْ رُوزَا فِي صَوْتٍ بَارِدٍ أَجَشٍّ : « أَجَلْ ، سْتِيرْفُورْثُ . دَعِنِي  
أَنْظُرَ إِلَى وَجْهِكَ . أَنْتِ تَمْلِكِينَ وَجْهًا جَمِيلًا ، وَلَكِنَّكَ خَبِيثَةٌ  
وَحَمَقَاءُ ! »

صَرَخَتْ إِمِيلِي ، وَهِيَ تُجْهَشُ بِالْبُكَاءِ : « لَا ، لَا ! لِمَاذَا أَتَيْتِ  
إِلَى هُنَا ؟ وَلِمَاذَا تَرْمِينِي بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْجَارِحَةِ ؟ »

« لِأَنَّنِي أَكْرَهُكَ . لَقَدْ انْتَزَعْتَ حَبِيبِي سْتِيرْفُورْثَ مِنْ أُمِّهِ وَمَنِّي .  
لَقَدْ جَذَبَهُ جَمَالُكَ فَهَرَبَ مَعَكَ ، عَلَى حِينِ كُنْتُ تُرِيدِينَ  
الاسْتِحْوَاذَ عَلَى أَمْوَالِهِ فَحَسَبُ . لَقَدْ خَدَعْتَ أُمَّهُ وَخَدَعْتَنِي . أَنَا  
أَكْرَهُكَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي . »

صَاحَتْ إِمِيلِي : « لَا ، لَا ! لَقَدْ أَحْبَبْتُهُ ، كَمَا بَادَلَنِي هُوَ الْحُبَّ  
كَذَلِكَ . »

صَاحَتْ رُوزَا فِي قَسْوَةٍ وَتَشَفٍّ : « أَحْبَبْتِهِ ؟ وَكَيْفَ تَعْرِفِينَ مَعْنَى  
الْحُبِّ ، وَأَنْتِ فَتَاةٌ مِنْ قَاعِ الْمَجْتَمَعِ - ابْنَةُ صَيَّادٍ فَحَسَبُ ! لَقَدْ  
اشْتَرَاكَ سْتِيرْفُورْثُ بِمَالِهِ ، وَكَانَ الْحُصُولُ عَلَى نَقُودِهِ هُوَ غَايَةُ  
مُبْتَغَاكَ . »



صَرَخَتْ إِمِيلِي قَائِلَةً : « لا ، لا ! هَذَا لَيْسَ صَاحِبًا ! لِمَاذَا  
أَتَيْتِ إِلَى هُنَا ، أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ الْقَبِيحَةُ ؟ »

« لِكَيْ أَلْحِقَ بِكَ الْأَذَى ! إِنَّهُ ذَنْبُكَ دُونَ سِوَاكَ ، فَأَنْتِ الَّتِي  
بَدَأْتَ بِإِذَائِي . عَلَيْكَ بِمُغَادَرَةِ هَذِهِ الْحُجْرَةِ ، وَالْعُودَةَ إِلَى أَسْرَتِكَ  
فِي الْحَالِ . »

صَاحَتِ إِمِيلِي قَائِلَةً : « لَا أَسْتَطِيعُ ! لَا أَسْتَطِيعُ ! إِنِّي أَتَحَرَّقُ  
شَوْقًا لِرُؤْيَا عَائِلَتِي وَخَالِي بِيغُوتِي مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ ؛  
فَأَنَا خَجَلِي مِنْ نَفْسِي ! »

قَالَتْ رُوزَا فِي حَقِّ شَدِيدٍ : « إِذَا سَوَّفَ أَطْرَدُكَ مِنْ هَذِهِ الْحُجْرَةِ  
لَأَنَّكَ فَتَاةٌ شَرِيرَةٌ يَجِبُ أَنْ تُغَادِرِي لَنْدُنَ ، بَلْ وَإِنْجَلْتِ بِرُمْتِهَا عَلَى  
الْقَوْرِ ، وَلَا فَضَحْتِكَ وَشَهَرْتَ بِكَ بَيْنَ النَّاسِ . »

أَجَابَتْ إِمِيلِي بِأَكِيَّةٍ : « دَعِينِي هُنَا ، أَرْجُوكِ ، وَلَا تَكُونِي قَاسِيَةً  
الْقَلْبِ ، فَأَنَا لَسْتُ شَرِيرَةً ، كَمَا تَظُنِّينَ ! »

صَاحَتِ رُوزَا قَائِلَةً : « لَا ، بَلْ اخْرُجِي مِنْ هُنَا فِي الْحَالِ ، فَأَنَا  
لَنْ أَطِيقَ رُؤْيَا وَجْهِكَ عِنْدَ عُودَتِي مَرَّةً أُخْرَى ! » ثُمَّ هَرَوَلَتْ إِلَى  
خَارِجِ الْحُجْرَةِ .

وَاخْتَبَأَتْ مَعَ مَارْتَا خَلْفَ الْبَابِ ، حَتَّى تَهْبِطَ السُّلَّمُ دُونَ أَنْ  
تَرَانَا . غَيْرَ أَنَّ رُوزَا التَّقَتْ فِي أَسْفَلِ السُّلَّمِ بِرَجُلٍ لَمْ تَعْرِفْهُ . كَانَ  
الرَّجُلُ هُوَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي .

وَسَرَّعَانَ مَا صَعِدَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي الدَّرَجَاتِ وَثَبًا ، ثُمَّ دَلَفَ إِلَى  
دَاخِلِ الْحُجْرَةِ . وَعِنْدَمَا رَأَى إِمِيلِي مُسْتَعْرِقَةً فِي الْبُكَاءِ أَخَذَهَا فِي  
حَضْنِهِ قَائِلًا : « لَا تَبْكِي ، يَا عَزِيزَتِي إِمِيلِي . شُكْرًا لِلَّهِ أَنْ عَثَرْتُ  
عَلَيْكَ آخِرَ الْأَمْرِ . لَا تَبْكِي ، فَأَنْتِ الْآنَ فِي أَمَانٍ تَامٍ . »

قُلْتُ لِمَارْتَا : « يَجِبُ أَنْ أَغَادِرَ هَذَا الْمَكَانَ فِي الْحَالِ ؛ خَشْيَةً  
أَنْ تَرَانِي إِمِيلِي فَيَعْتَرِبَهَا الْخَجَلُ الشَّدِيدُ . »

وَعُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي فِي التَّوَّ ، وَجَلَسْتُ فِي انْتِظَارِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي ،  
الَّذِي لَمْ يَلْبَثْ أَنْ حَضَرَ . كَانَتْ دُورًا تُلَازِمُ الْفِرَاشَ فِي الدُّورِ  
الْعُلُويِّ مِنْ جَرَاءِ مَرَضِ عَضَالٍ أَلَمَ بِهَا ، فَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَقْضِيَ مَعَ  
بِيغُوتِي وَقْتًُا طَوِيلًا . كَانَ جِدًّا سَعِيدٍ بِالْعُثُورِ عَلَى إِمِيلِي ، وَحَكَى لِي  
عَنْ رَحْلَتِهَا فِي الْخَارِجِ ، وَكَيْفَ قَابَلَتْ مَارْتَا بَعْدَ عُودَتِهَا إِلَى  
إِنْجَلْتِهَا ، فَأَخَذَتْهَا الْأَخِيرَةُ إِلَى حُجْرَتِهَا وَاعْتَسَتْ بِهَا . ثُمَّ اخْتَتَمَ  
حَدِيثُهُ بِالثَّنَاءِ عَلَى مَارْتَا ، قَائِلًا : « إِنَّ الْفَضْلَ يَعُودُ إِلَيْهَا فِي إِنْقَازِ  
حَيَاةِ إِمِيلِي مِنَ الضَّيَاعِ . »



قُلْتُ لِلْسَيِّدِ بِيغُوتِي : « وَ مَاذَا تَعْتَزِمُ أَنْ تَفْعَلَ الْآنَ ؟ »

أَجَابَ : « سَوْفَ أَهَاجِرُ مَعَ إِمِيلِي إِلَى أَسْتْرَالِيَا ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ لَنْ تَطْيِبَ لَهَا فِي يَارْمُوْثَ بَعْدَ الَّذِي حَدَثَ . غَيْرَ أَنَّي سَأَنْتَظِرُ بَضْعَةَ أَصَابِيحَ رَيْثَمَا أَدْبُرَ لِلْسَيِّدَةِ عَمِيدُجَ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ ، وَمَسْكَنًا تَعِيشُ فِيهِ . »

كَانَتْ بِيغُوتِي ، خَادِمَتَنَا الْقَدِيمَةَ ، تَعِيشُ فِي مَنْزِلِ السَّيِّدِ هَامَ ، وَتَرَعَى شُؤْنَهُ ، فَقُلْتُ لِلْسَيِّدِ بِيغُوتِي : « وَلَكِنْ أَخْتِكَ سَوْفَ تَحْزَنُ لِفِرَاقِكَ ، فَهِيَ لَنْ تَذْهَبَ مَعَكُمَا إِلَى أَسْتْرَالِيَا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« نَعَمْ ، فَهِيَ سَتَبْقَى فِي إِنْجِلْتْرَا . »

وَصَمَتَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي هَنِيئَةً ، ثُمَّ أَرْدَفَ : « لَدَيَّ خِطَابٌ قَصِيرٌ لِلْسَيِّدَةِ سْتِيرْفُورْثَ ، وَبِدَاخِلِهِ مَبْلَغٌ مِنَ الْمَالِ كَانَ قَدْ أَعْطَاهُ ابْنُهَا لِإِمِيلِي عَلَى دُفْعَاتٍ . أَرِيدُ الْآنَ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهَا كُلَّ مَا دَفَعَهُ . هَلْ يُمَكِّنُ ، يَا دَافِيدَ ، أَنْ تَحْمِلَ إِلَيْهَا هَذَا الْخِطَابَ ؟ »

أَجَبَتْهُ : « أَجَلٌ ، بِالتَّأَكِيدِ . »

« وَهَلْ تَرَعِبُ فِي الذَّهَابِ مَعِي إِلَى يَارْمُوْثَ لِرُؤْيَةِ بِيغُوتِي ؟ إِنَّهَا سَتَسْعَدُ كَثِيرًا بِذَلِكَ . »

« نَعَمْ ، سَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ . »

وَهَكَذَا سَافَرْتُ مَعَ السَّيِّدِ بِيغُوتِي إِلَى يَارْمُوْثَ . وَبَعْدَ أَنْ قُمْتُ بِزِيَارَةِ شَقِيقَتِهِ ، خَرَجْتُ لِلتَّرِيضِ مَعَ هَامَ .

قَالَ لِي هَامَ أَثْنَاءَ سَيْرِنَا : « سَوْفَ تُقَابِلُ إِمِيلِي ، يَا سَيِّدَ كُوپِرْفِيلْدَ ، فَإِذَا مَا سَأَلْتُكَ عَنِّي ، فَقُلْ لَهَا إِنَّي بِخَيْرٍ ، وَأَنَّي أَعِيشُ حَيَاةً هَانِئَةً . إِنَّ هَذَا قَدْ يُرِيحُ ضَمِيرَهَا الْمُعَذِّبَ ، وَيُخَفِّفُ مِنْ شُعُورِهَا بِالذَّنْبِ ، لَا سِيَّمَا أَنَّهَا تَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّي قَدْ عَفَرْتُ لَهَا . قُلْ لَهَا ذَلِكَ ، أَرْجُوكَ ؛ فَهِيَ لَنْ تَرَانِي بَعْدَ الَّذِي حَدَثَ . إِنَّي بِائِسٌ وَتَعِيسٌ فِي الْوَاقِعِ ، وَلَكِنْ لَا أَرِيدُهَا أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ - فَأَنَا لَا أَرِيدُ أَنْ أَسَبِّبَ لَهَا مَزِيدًا مِنَ الْحُزَنِ ، لِأَنَّي مَا زِلْتُ أَحِبُّهَا . »

وَشَدَدْتُ عَلَى يَدِ الرَّجُلِ الطَّيِّبِ الشَّهْمَ ، ثُمَّ تَرَكْتُهُ قَاصِدًا مَنْزِلَ السَّيِّدِ بِيغُوتِي . وَكَانَتْ إِمِيلِي مُلَازِمَةً لِلْفِرَاشِ .

وَصَاحَتِ السَّيِّدَةُ عَمِيدُجَ قَائِلَةً لِي فِي تَوَسُّلٍ : « أَرْجُوكَ ، يَا سَيِّدَ كُوپِرْفِيلْدَ ، قُلْ لِلْسَيِّدِ بِيغُوتِي أَنْ يَأْخُذَنِي مَعَهُ إِلَى أَسْتْرَالِيَا ، وَأَلَّا يَتْرَكَنِي هُنَا وَحِيدَةً . »

وَأَمْسَكْتُ بِذِرَاعِ السَّيِّدِ بِيغُوتِي ، وَارْدَفْتُ قَائِلَةً فِي تَوَسُّلٍ :



« خُذْنِي مَعَكَ يَا دَانِيْل ، بِحَقِّ السَّمَاءِ ! دَعْنِي أَشَارِكُكَ حَيَاتَكَ  
الْجَدِيدَةَ فِي أَسْتْرَالِيَا . »

أَجَابَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي : « حَسَنٌ ، سَوْفَ أَخُذُكَ مَعِي ، يَا سَيِّدَةُ  
عَمِيدَج ، وَلَكِنْ أَدْعُكَ هُنَا بِمُفْرَدِكَ . »

وَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ ، وَالْفَرَحَةُ تَتَرَاقَصُ أَمَامَ عَيْنَيْهَا : « أَشْكُرُكَ  
يَا دَانِيْل ، أَشْكُرُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي . لَنْ أَشْكُو أَوْ أَتَذَمَّرَ بَعْدَ الْآنَ ، بَلْ  
سَأَبْذُلُ قُضَارِي جَهْدِي فِي خِدْمَتِكَ . »

غَادَرَتْ يَارْمُوثُ عَائِدًا إِلَى لَنْدُنَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي . وَكَانَ الْوَقْتُ  
قَدْ حَانَ لِمُزَارَعَةِ السَّيِّدِ مِيكَائِيلِ ، فَاصْطَبَحَتْ تَرَادِلُزُ وَعَمَّتِي إِلَى  
كَانْتَرِبْرِي . وَكَانَ السَّيِّدُ وَكْفِيلِدُ مَرِيضًا ، فَاصْطَبَحْنَا السَّيِّدَ مِيكَائِيلِ  
لِلْاجْتِمَاعِ بِبُيْرِيَا هِيْبَ فِي مَكْتَبِهِ .

قَالَ بُيْرِيَا ، وَهُوَ يَفْرُكُ يَدَيْهِ مَبْتَسِمًا كَعَادَتِهِ فِي النِّفَاقِ : « السَّيِّدُ  
كُوپِرْفِيلِدُ ، وَالْآنِسَةُ تِرُوتُودُ ، وَالسَّيِّدُ تَرَادِلُزُ يَجْتَمِعُونَ فِي مَكْتَبِي ؟  
يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةٍ سَارَةٍ ! »

غَيْرَ أَنَّ هِيْبَ لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا بِتِلْكَ الزِّيَارَةِ ؛ فَلَقَدْ أَمَرَ السَّيِّدَ  
مِيكَائِيلِ فِي حَقِّهِ بِأَنْ يُغَادِرَ الْحُجْرَةَ . لَكِنْ السَّيِّدُ مِيكَائِيلِ لَمْ يَمْتَثِلْ

لِلْأَمْرِ ، وَصَاحَ ، وَقَدْ شَحَبَ وَجْهُهُ ، وَتَلَا حَقَّتْ أَنْفَاسُهُ : « لَا ،  
لَنْ أَخْرُجَ مِنْ هُنَا . »

تَطَلَّعَ بُيْرِيَا هِيْبَ إِلَيَّ ، وَقَالَ : « آه ! لَقَدْ فَهَمْتُ الْآنَ ! إِذَا فَانَتْ  
تَتَامَرُ مَعَ خَادِمِي مِيكَائِيلِ عَلَيَّ ! أَعْرِفُ أَنَّكَ تَكْرَهُنِي مِنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ،  
يَا كُوپِرْفِيلِدُ . »

صَاحَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلِ قَائِلًا : « بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَتَامَرُ أَيُّهَا الْوَعْدُ !  
لَقَدْ دَبَّرْتَ مُؤَامَرَةً ضِدَّ السَّيِّدِ وَكْفِيلِدِ ، وَسَجَّلْتُ أَنَا تَفَاصِيلَهَا فِي  
خِطَابٍ ، كُنْتُ أَعْتَزُّمُ إِرْسَالَهُ لِجَمِيعِ أَصْدِقَاءِ الرَّجُلِ وَأَحِبَّائِهِ ،  
لِفَضْحِكَ أَمَامَهُمْ . » ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ وَرَقَةً مَكْتُوبَةً وَشَرَعَ فِي  
قِرَاءَتِهَا . وَحَاوَلَ بُيْرِيَا أَنْ يَنْتَزِعَهَا مِنْهُ ، فَضَرَبَهُ السَّيِّدُ مِيكَائِيلِ بِمِسْطَرَةٍ  
كَبِيرَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ .

وَصَرَخَ بُيْرِيَا فِي ذُهُولٍ وَهُوَ يَتَرَجَّعُ إِلَى الْخَلْفِ ، وَهَرَعَتْ أُمُّهُ  
إِلَى دَاخِلِ الْحُجْرَةِ ، لَكِنْ السَّيِّدُ مِيكَائِيلِ صَاحَ قَائِلًا : « إِهْدَأْ  
يَا هِيْبَ ، فَلَسَوْفَ أَقْرَأُ خِطَابِي عَلَى الْحَاضِرِينَ رَغْمًا عَنْكَ . »

وَأَخَذَ الرَّجُلُ فِي قِرَاءَةِ الْخِطَابِ فِي بُؤْدَةٍ وَوُضُوحٍ ، وَكَانَتْ  
سُطُورُهُ كَالَّتَالِي :

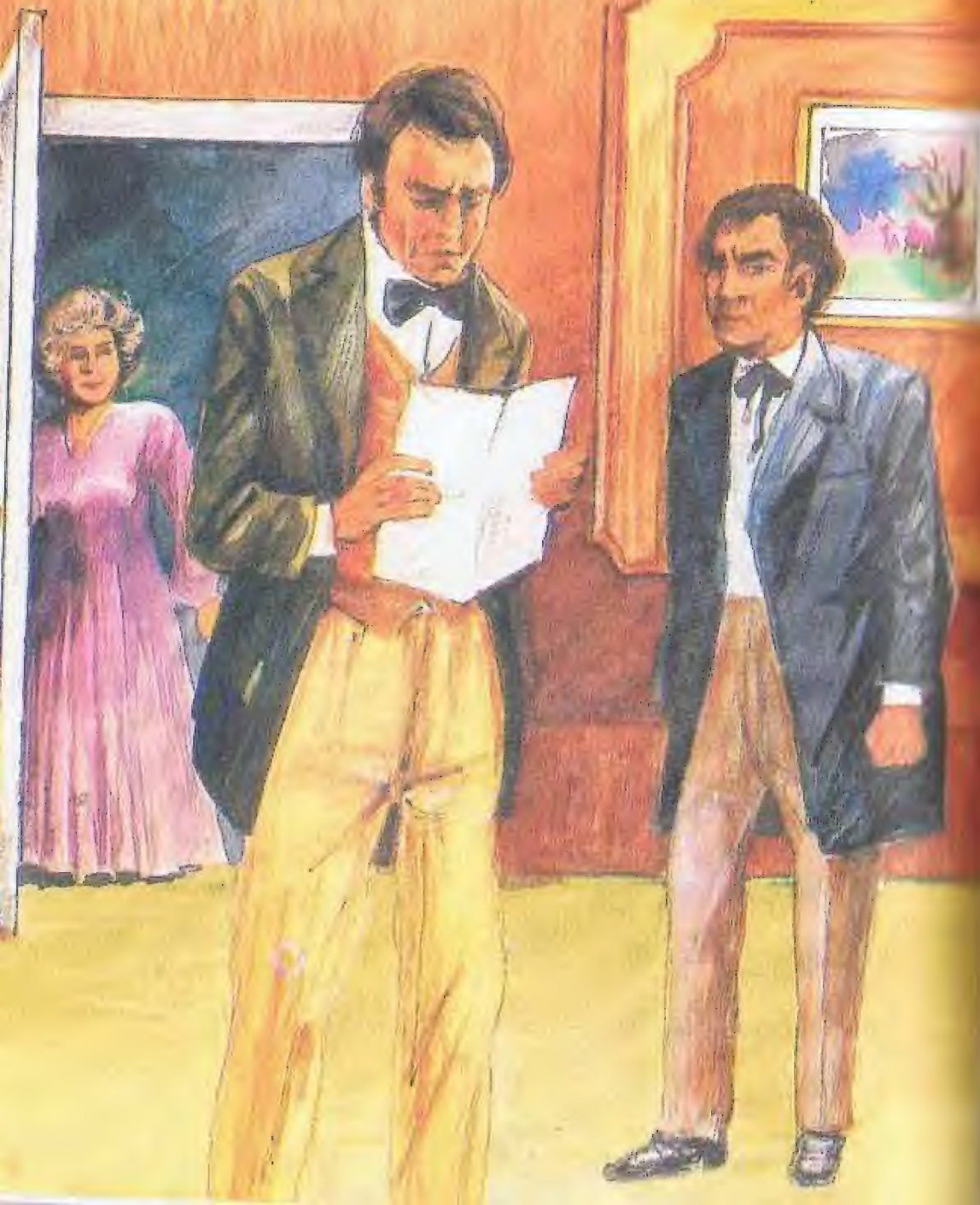
« تَعْلَمُونَ جَمِيعًا أَنَّنِي قَدْ أَتَيْتُ لِلْعَمَلِ مَعَ هِيْبَ فِي مَكْتَبِ



السيد وكفيلد . واستغل هيب حاجتي فأقرضني نقوداً لم أستطع سداها ، فهدد بإدخالني السجن . ثم لم يلبث أن ساومني - تفادياً للسجن - أن أنفذ كل ما يأمرني به ، فوعده بذلك . ولكن ما هي إلا أيام قلائل حتى تكشف لي مآربه الدنيء : كان يريدني أن أساعده في سلب أموال السيد وكفيلد وتعرضه لسجن محقق ! ذلك أن بعض موكلي المكتب كانوا يتقدمون بنقود ليستثمرها السيد وكفيلد لحسابهم ، وقد ألف يرأ أن يأخذ هذه النقود لنفسه ، ويحصل من السيد وكفيلد على إيصالات بتسليمه إياها . وكان الرجل يوقع ليأرياً على هذه الإيصالات عندما يفقد وعيه بتأثير الخمر . وهكذا استطاع الوغد الزنيم ، بهذا النهب المنتظم المخطط ، أن يسرق من السيد وكفيلد اثني عشر ألف جنيه ، ويهدده بسجن طويل المدى . والمؤسف في الأمر أن السيد وكفيلد المسكين يخال أنه قد بدد النقود ، ويتوارى خجلاً من هيب ، لأنه في حالة سكر شبه مستمر !

صاح يرأ في غضب قائلاً : « كذب وبهتان ! ما ذليلك على صيحة ما تزعم ؟ »

أجاب السيد ميكاور بقوله : « لدي الدليل الناصع . لدي





المفكرة التي كتبها بخط يدك ، والتي شرحت فيها خطتك  
الجهنمية بالتفصيل . لقد أخذت هذه المفكرة من درج مكتبك .  
ولكن دعني أكمل خطابي الذي سطرته لهؤلاء السادة .

ثم استأنف القراءة قائلاً : « وبالإضافة إلى ما تقدم ، فإن يريا  
سرق نقوداً أخرى من خزانة السيد وكفيلد ، وأنا كفيل بإثبات  
ذلك . كما أعرف أن السيد وكفيلد قد أحجم عن مفاتحة يريا في  
الأمر ؛ خشية بطشه وانتقامه . » ثم طوى الرجل الخطاب ، ووضع  
في جيب سترته .

وعندئذ قفرت عمتي بشي من مقعدها ، وصاحت قائلة لي ريا :  
« إلي بنقودي على الفور أيها اللص ! إنها تلك التي كانت في  
الخزانة ! لقد ظننت أن السيد وكفيلد هو الذي أضعها ، فأخفيت  
الأمر عن أغنيس ، ولكن يمكنني الآن الإفصاح عن ذلك . » ثم  
أمسكت بتلابيبه ، وأخذت تهزه بعنف ، وهي تردد قائلة : « إلي  
بالنقود على الفور ! إلي بالنقود على الفور ! »

وأقلت ترادلي يريا من قبضتها بعد جهد جهيد ، ثم نظرت إلى  
الفتى قائلاً : « والآن ماذا تنوي أن تفعل يا هيب ؟ هل ستضطرنا  
لإرسالك إلى السجن ؟ »

صرخت السيدة هيب قائلة : « سجن ؟ وا تعسا لك يا وكدي  
المسكين ! »

لكن يريا لم يلبث أن تطاع إلينا بعينيه الحمراء الضيقتين ، ثم  
قال في غيظ مكتوم : « لا ، لن أذهب إلى السجن . سوف أرد  
لكم النقود . » ثم غادر الحجرة في حلق شديد .

عندئذ صاح السيد ميكابر في حور : « الآن أستطيع أن أنعم  
بالسعادة وسكينة النفس . لقد كنت خائناً مثل هيب ، ولكنني  
أرحت ضميري بالإفضاء إليكم بهذا السر . أعرف أنني مدين  
لهيب بمبلغ كبير من المال ، وأنه قد يرسلني بهذه الذريعة إلى  
السجن الذي هو جزاء عادل لأمثالي ، ولكنني أستطيع أن أقف ،  
منذ هذه اللحظة ، مرفوع الرأس ، مستريح الضمير ! »

قالت عمتي للسيد ميكابر : « لقد غدوت الآن بلا عمل ،  
فماذا تنوي أن تفعل ؟ »

أجاب الرجل في ابتهاج لم أعهد فيه من قبل : « عمل ؟ أنا  
لا تعينني الأعمال الآن . ربما نرحل إلى أستراليا عما قريب .  
والآن ، يجب أن أعود أدراجي للقاء أسرتي . »



وَمَضَى الرَّجُلُ ، وَهُوَ يُغْنِي فِي نَشْوَةِ عَارِمَةٍ . عِنْدَيْهِ نَظَرْتُ إِلَى  
عَمَّتِي فَنَظَرْتُ إِلَيَّ . وَسُرْعَانَ مَا تَعَانَقْنَا فِي فَرْحَةٍ غَامِرَةٍ .

## الفصل الخامس عشر

غَيْرَ أَنَّ الْحُزْنَ انْبَثَقَ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيَا الْفَرَحِ وَالْإِبْتِهَاجِ ؛ فَلَقَدْ اشْتَدَّ  
الْمَرَضُ بِدُورَا فَغَدَتْ عاجِزَةً عَنْ مُبَارَحَةِ الْفِرَاشِ ، وَإِنْ بَقِيَتْ دَائِبَةً  
عَلَى مُلَاعَبَةِ وَتَدْلِيلِ جَيْبٍ ، كَمَا أَضْحَى الْكَلْبُ عَجُوزًا لَا يَقْوَى  
عَلَى الْكُرِّ وَالْفَرِّ ، وَقَنَعَ بِالْجُلُوسِ إِلَى جَانِبِ صَاحِبَتِهِ ، دُونَ أَنْ  
يَعْدُو هُنَا وَيَثِبَ هُنَاكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ .

وَقَالَتْ عَمَّتِي لِدُورَا ذَاتَ يَوْمٍ : « لَقَدْ شَاخَ جَيْبٌ وَأَصَابَهُ الْوَهْنُ ،  
فَهَلْ تُحِبِّينَ أَنْ أُشْتَرِيَ لَكَ جِرْوًا يَكُونُ أَقْدَرَ عَلَى تَسْلِيَتِكَ ؟ »

أَجَابَتْ دُورَا : « لَا يَا عَمَّتِي بِشَيْءٍ ، أَشْكُرُكَ . لَقَدْ قَدَّمَ لِي  
دَافِيدُ ذَاتَ يَوْمٍ بَاقَةً مِنَ الزُّهُورِ ، فَشَرَعْتُ جَيْبٌ فِي قَضْمِهَا ، غَيْرَ  
أَنِّي كُلَّمَا تَطَلَّعْتُ إِلَى كَلْبِي الْآنَ ، تَذَكَّرْتُ تِلْكَ الْأَيَّامَ الْحُلُوةَ  
الْجَمِيلَةَ . لَا ، يَا عَمَّتِي . لَا أُرِيدُ أَنْ اسْتَبْدِلَ بِجَيْبٍ كَلْبًا آخَرَ . »



وَتَمَكَّنَ الْمَرَضُ مِنْ دُورَا فَأَصْبَحَتْ ضَعِيفَةً شَاحِبَةً الْوَجْهَ ، يَدَّ  
أَنَّهُا كَانَتْ دَائِمَةً التَّفَاؤُلَ وَالْإِبْتِسَامَ . وَذَاتَ يَوْمٍ ، زَايَلَتْ الْبَسْمَةَ  
وَجْهَهَا الصُّبُوحَ . وَتَطَلَّعَتْ إِلَيْهَا فِي حُزْنٍ وَقَلَقٍ ، فَقَالَتْ : « دَافِيدُ ،  
أَرِيدُ أَنْ أَرَى أَعْنِيسَ . أَرْجُوكَ أَنْ تُرْسَلَ فِي طَلِبِهَا . »

وَمَا إِنْ تَلَقَّتْ أَعْنِيسَ خِطَابِي حَتَّى هُرِعَتْ إِلَى مَنْزِلِنَا . وَجَلَسَتْ  
إِلَى جَانِبِ دُورَا فِي الْفِرَاشِ ، وَأَخَذَتْ تُؤَانِسُهَا بِحَدِيثِ شَائِقٍ مَرَحٍ .  
ثُمَّ أَعَانَتْ دُورَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَمْرِهَا فِي رِقَّةٍ وَعَطْفٍ  
وَهُدُوءٍ . وَسَرَتْ دُورَا بِوُجُودِ أَعْنِيسَ إِلَى جَانِبِهَا سُرُورًا بِالْعَا ، وَرَجَّتْهَا  
أَنْ تَبْقَى مَعَنَا أَطْوَلَ فِتْرَةٍ مُمَكِّنَةٍ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَاشْتَدَّ الضَّعْفُ بِدُورَا ، فَلَمْ تَعُدْ تَقْوَى عَلَى  
الْجُلُوسِ فِي الْفِرَاشِ . وَصَارَتْ تَتَحَدَّثُ إِلَيْنَا هَمْسًا ؛ إِذْ أَصْبَحَتْ  
عَاجِزَةً حَتَّى عَنِ الْكَلَامِ .

وَذَاتَ مَسَاءٍ ، هُرِعَتْ إِلَيَّ أَعْنِيسُ ، وَقَالَتْ وَالْحُزْنَ مُرْتَسِمٍ فِي  
عَيْنَيْهَا : « دُورَا تُرِيدُ أَنْ تَرَكَ . »

صَعِدْتُ السُّلَّمُ وَثَبًا إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ . وَبَدَتْ لِي دُورَا ضَّئِيلَةً  
الْجِسْمِ فِي فِرَاشِهَا الضَّخْمِ الْعَرِضِ ، غَيْرَ أَنَّ وَجْهَهَا كَانَ لَا يَزَالُ  
جَمِيلًا فَتَانًا . وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهَا ، وَأَخَذْتُ رَاحَتَهَا بَيْنَ كَفَّيَّ ،





فَقَالَتْ فِي هَمْسٍ مَشُوبٍ بِالتَّأَثُّرِ وَالْإِنْفِعَالِ : « أَنْصِتْ يَا دَاوَيْدُ إِلَى مَا سَأَقُولُ ؛ لَقَدْ كُنْتُ زَوْجَةً غَيْرَ مَسْئُولَةٍ - لَمْ أُعْتَنَ بِالْمَنْزِلِ كَمَا يَجِبُ ، وَلَمْ أَعَاوُنْكَ عَلَى شَأْنٍ مِنْ شَعْنٍ حَيَاتِكَ . لَمْ أَكُنْ أَفْهَمُ مَا تَقْرَأُ مِنْ كُتُبٍ وَمَا تُؤَلِّفُ مِنْ قِصَصٍ ، غَيْرَ أَنَّي أَحْمِلُ لَكَ فِي قَلْبِي قَدْرًا هَائِلًا مِنَ الْحُبِّ . اغْفِرْ لِي ، يَا دَاوَيْدُ ، أَرْجُوكَ ! »

صَحَّتْ ، وَأَنَا أَجْهَشُ بِالْبُكَاءِ : « أَبَدًا لَمْ تَكُونِي زَوْجَةً سَيِّئَةً ، يَا دُورَا . إِنَّنِي أَحْبَبْتُ كُلَّ الْحُبِّ . »

أَشْرَقَ وَجْهُهَا بِابْتِسَامَةٍ عَرِيضَةٍ ، ثُمَّ هَمَسَتْ قَائِلَةً : « يَكْفِينِي مِنَ السَّعَادَةِ مَا قَدْ سَمِعْتُ ، غَيْرَ أَنَّي سَأُغَادِرُ هَذَا الْعَالَمَ عَمَّا قَرِيبٍ . حَزِينَةٌ أَنَا لِإِفْرَاقِكَ يَا حَبِيبِي ، وَلَكِنِّي سَعِيدَةٌ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ ؛ إِذْ يُمَكِّنُكَ عِنْدِي أَنْ تَتَزَوَّجَ بِفَتَاةٍ جَدِيدَةٍ . وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً صَالِحَةً ، وَوَفِيَّةً لَكَ . »

قُلْتُ فِي تَأَثُّرٍ بِالْغَمِّ : « لَا ، لَا يَا حَبِيبَتِي ! لَسْتُ رَاغِبًا فِي آيَةٍ زَوْجَةٍ عَدَاكَ ! »

تَحَسَّسْتُ شَعْرِي ، وَقَالَتْ وَهِيَ تُحَاوِلُ الْإِبْتِسَامَ : « إِنَّنِي أَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ ، لِأَنَّكَ مَا زِلْتَ رَاغِبًا فِي زَوْجَتِكَ الْغَيْبَةِ الْحَمَقَاءِ . وَالْآنَ قَبِّلْنِي ، يَا دَاوَيْدُ ، ثُمَّ ابْعَثْ بِأَغْنِيسَ إِلَيَّ . »

قَبَّلْتُهَا فِي حُبٍّ وَخَنَانٍ ، ثُمَّ نَزَلْتُ لِاسْتِدْعَاءِ أَغْنِيسَ ، الَّتِي صَعِدَتْ لِنُورِهَا إِلَى غُرْفَةِ دُورَا . وَجَلَسْتُ وَحِيدًا فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ ، وَأَخَذْتُ أَدَاعِبُ الْكَلْبَ الَّذِي كَانَ قَابِعًا إِلَى جَانِبِ مَقْعَدِي .

قُلْتُ مُخَاطِبًا الْكَلْبَ : « مِسْكِينُ أَنْتَ يَا جِيْبُ ! إِنَّنِي أَحْسُ أَنْ صَاحِبَتَكَ قَدْ تَمُوتُ عَمَّا قَرِيبٍ . سَوْفَ تَحْزَنُ كَثِيرًا لِإِفْرَاقِهَا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ » غَيْرَ أَنَّ جِيْبَ لَمْ يُبْدِ حَرَكَاتًا . وَمَدَدْتُ يَدِي أَتَحَسَّسُهُ ؛ فَوَجَدْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ .

وَنَزَلْتُ أَغْنِيسَ مُهْرُولَةً ، وَالْفَزَعُ فِي عَيْنَيْهَا ، فَقَفَزْتُ مِنْ مَقْعَدِي صَائِحًا : « أَغْنِيسَ ، مَاذَا حَدَثَ ؟ هَلْ أَصِيبَتْ دُورَا بِمَكْرُوهٍ ؟ »

أَجَابَتِ الْفَتَاةُ فِي أَسَى : « لَقَدْ التَّحَقَّقْتُ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى فِي سَلَامٍ ! »

وَبَكَيْتُ بُكَاءً مُرًّا . ثُمَّ أَخَذْتُ نَوْبَاتُ الْبُكَاءِ تُعَاوِدُنِي بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ . وَظَلَلْتُ عَزُوفًا عَنْ مُحَادَثَةِ النَّاسِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ؛ فَلَقَدْ كُنْتُ أَحَبُّ دُورَا حُبًّا صَادِقًا عَمِيقًا .

وَأَخِيرًا فَكَّرْتُ فِي مُغَادَرَةِ إِنْجِلْتَرَا ؛ إِذْ بَدَتْ لِي مَكَانًا مُوَحِّشًا كَثِيمًا . غَيْرَ أَنَّي رَأَيْتُ أَنَّ أَزُورَ السَّيِّدِ مِيكَائِيلَ وَتِرَادِلْزَ أَوَّلًا ، لَا سَيِّمَا



أَنْهُمَا كَانَا يُعَاوَنَانِ السَّيِّدَ وَكَفَيْلِدَ فِي مَحَنَتِهِ

وَعَلِمْتُ مِنْ تَرَادُلِ أَنْ السَّيِّدَ وَكَفَيْلِدَ فَقَدْ نُقِدُوا طَائِلَةً مِنْ جَرَاءِ  
الْأَعْيَبِ يُرِيَا هَيْبَ ، وَأَنْ وَطْأَةَ الْمَرْضِ قَدْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ ، وَأَنْ أَغْنِيسَ  
تُعْنَى بِهِ تَمَامًا ، وَأَنَّهَا سَوْفَ تُنْشِئُ مَدْرَسَةً صَغِيرَةً لِتَكْسِبَ مِنْ وَرَائِهَا  
بَعْضَ الْمَالِ .

أَمَّا عَمَّتِي بِتْسَى فَقَدْ اسْتَعَادَتْ نُقُودَهَا كَامِلَةً ، وَكَانَتْ تَبْلُغُ  
خَمْسَةَ آلَافٍ جَنْيَةٍ . وَقَالَتْ لِي الْعَمَّةُ عَشِيَّةَ اسْتِرْدَادِهَا لِلنُّقُودِ :  
« سَوْفَ أَقُومُ بِسَدَادِ الدِّينِ الَّذِي لِيُرِيَا هَيْبَ فِي ذِمَّةِ السَّيِّدِ مِيكَائِيلَ ،  
حَتَّى يُمَكِّنَ لِلْأَخِيرِ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى أَسْتْرَالِيَا فِي سَلَامٍ . لَنْ أَدَعَ يُرِيَا  
يَهْدُدُ الرَّجُلَ بِالسَّجْنِ مَرَّةً أُخْرَى . »

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، قَامَتِ الْعَمَّةُ فِعْلًا بِسَدَادِ الدِّينِ ، وَكَانَتْ  
قِيمَتُهُ عِشْرِينَ جَنْيَةً . وَمَا إِنْ عَلِمَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلَ بِالْأَمْرِ حَتَّى بَكَى  
مِنْ فَرَطِ التَّأَثُّرِ ، وَأَخَذَ يَقْبَلُ يَدَيْهَا شُكْرًا وَعِزْفَانًا .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، عَاوَدَتْ عَمَّتِي الْحَدِيثَ عَنِ السَّيِّدِ  
مِيكَائِيلَ فَقَالَتْ إِنَّهَا سَوْفَ تَتَبَرَّعُ لَهُ بِمَبْلَغِ خَمْسِمِائَةِ جَنْيَةٍ أُخْرَى  
لِيَبْدَأَ بِهَا حَيَاتَهُ الْجَدِيدَةَ فِي أَسْتْرَالِيَا . وَهُنَا تَدَخَّلْتُ قَائِلًا لِلْعَمَّةِ :  
« لَا تُعْطِي الْمَبْلَغَ لِلْسَّيِّدِ مِيكَائِيلَ فِي يَدِهِ فَإِنَّهُ مُسْرِفٌ مُتَلَاَفٌ . »

أَرَى أَنَّ مِنَ الْأَفْضَلِ إِعْطَاءَهُ لِلْسَّيِّدِ بِيغُوتِي لِلْإِحْتِفَافِ بِهِ لِحِسَابِ  
الرَّجُلِ ، إِلَى حِينَ تَدْعُو الْحَاجَّةُ لِتَقْدِيمِهِ لَهُ هُنَاكَ ؛ فَإِنَّ السَّيِّدَ  
بِيغُوتِي سَوْفَ يَرْحَلَ مَعَ مِيكَائِيلَ إِلَى أَسْتْرَالِيَا .

وَأَمْتَدَحْتُ عَمَّتِي هَذَا الرَّأْيَ ، وَطَلَبْتُ مِنِّْي الْعَمَلَ عَلَى تَنْفِيذِهِ ؛  
فَذَهَبْتُ إِلَى السَّيِّدِ بِيغُوتِي فِي عُرْفَتِهِ بِلندنَ ، وَخَاطَبْتُهُ فِي الْأَمْرِ ،  
فَقَبِلَ الْإِحْتِفَافَ بِنُقُودِ السَّيِّدِ مِيكَائِيلَ لَدَيْهِ ، كَمَا وَعَدَ بِرِعَايَةِ الرَّجُلِ  
فِي الْوَطَنِ الْجَدِيدِ . وَصَمَتَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي لِحُظَّةٍ ، ثُمَّ قَالَ :  
« لَدَيَّ خِطَابٌ كَتَبْتُهُ إِمِيلِي لِهُامَ ، وَطَلَبْتُ أَنْ أَسَلِّمَهُ إِلَيْهِ . لَكِنِّي  
لَنْ أَسْتَطِيعَ الذَّهَابَ إِلَى يَارْمُوثَ نَظَرًا لَانْشِغَالِي الشَّدِيدِ هُنَا بِالْإِعْدَادِ  
لِلسَّفَرِ . هَلْ يُمَكِّنُكَ الْقِيَامُ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ ، يَا سَيِّدَ كُورْفِيلِدَ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « يُمَكِّنُنِي بِالطَّبَعِ . سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَى يَارْمُوثَ فِي الْغَدِ ،  
وَأَسَلِّمُ الْخِطَابَ لِهُامَ . »

وَهَكَذَا سَافَرْتُ إِلَى يَارْمُوثَ فِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ . كَانَ الطَّقْسُ  
رَدِيئًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَقَدْ كَانَتْ السَّمَاءُ مَلِيئَةً بِالسُّحُبِ الدَّاكِنَةِ ،  
كَمَا كَانَتْ الرِّيَّاحُ تَعْوِي وَتُزْمَجِرُ فِي صَخَبٍ شَدِيدٍ . وَمَا إِنْ وَصَلْتُ  
إِلَى الْبَلَدَةِ حَتَّى غَادَرَتِ الْعَرَبَةَ ، وَلَكِنَّ الرِّيَّاحَ الْهُوجَ كَانَتْ لَا  
تَزَالُ تَعْوِي وَتُزْمَجِرُ . وَلِهَذَا فَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَى الْفُنْدُقِ فِي الْحَالِ .



قَالَ لِي أَحَدُ الرُّجَالِ هُنَاكَ : « الطُّقْسُ فَظِيعٌ ، وَلَمْ تَشْهَدْ لَهُ  
يَارْمُوتَ مَثِيلاً مِنْ قَبْلُ . لَقَدْ تَسَبَّبَ الْبَحْرُ الْهَائِجُ فِي عَرَقٍ كَثِيرٍ مِنَ  
السُّفُنِ ، وَمَصْرَعٍ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الرُّجَالِ » .

أَجَبَتْهُ قَائِلاً : « إِنَّهُ أَمْرٌ مُؤَسِّفٌ » . ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ مُنْصَرِّفًا إِلَى  
حُجْرَتِي .

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَغْمُضْ لِي جَفَنٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ ؛ فَلَقَدْ  
رَاعَتْنِي الرِّيحُ الْعَاتِيَةُ الَّتِي ظَلَّتْ تَزْمَجِرُ حَتَّى بُرُوغِ الْفَجْرِ . وَمَا إِنْ  
أَنْبَلَجَ الصُّبْحُ حَتَّى هَرُولَ إِلَيَّ أَحَدِ الْخَدَمِ ، وَهُوَ يَصِيحُ قَائِلاً : « هَيَّا  
مَعِيَ إِلَى الشَّاطِئِ ، يَا سَيِّدِي . لَقَدْ حَاصَرَتِ الْأَنْوَاءُ مَرَكَبًا كَبِيرًا ،  
وَلَكِنْ رُبَّمَا اسْتَطَعْنَا إِنْقَاذَ بَعْضِ الرُّكَّابِ » .

عَدَوْتُ مَعَ الْخَادِمِ نَحْوَ الشَّاطِئِ حَيْثُ احْتَشَدَ جَمْعٌ غَفِيرٌ مِنَ  
النَّاسِ ، وَكَانَ هَامٌ يَقِفُ وَسَطَهُمْ .

صَرَخْتُ قَائِلاً : « أَيْنَ الْمَرَكَبُ ؟ »

صَاحَ أَحَدُ الْوَاقِفِينَ مُشِيرًا بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ قَصِيٍّ : « هَا هُوَ ذَا  
يَتَأَرَّجُ فَوْقَ الْمَوْجِ هُنَاكَ ! »

كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْمَرَكَبِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ . وَسُرْعَانَ مَا زَحَفَتْ

عَلَيْهِ جِبَالُ الْمَوْجِ ، فَغَيَّبَتْ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ . وَتَطَلَّعْتُ فِي فَرْعٍ ، فَرَأَيْتُ  
الْإِثْنَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ عَنْ بُعْدٍ ، كَانَ أَحَدُهُمَا طَوِيلَ الْقَامَةِ ، وَيَضَعُ قُبْعَةً  
حُمْرَاءَ .

صَاحَ هَامٌ قَائِلاً : « إِلَيَّ بِجَبَلٍ طَوِيلٍ ، فَلَرُبَّمَا اسْتَطَعْتُ إِنْقَاذَ  
هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ » .

وَأَتَوْا إِلَيْهِ بِالْجَبَلِ ، فَرَبَطَهُ هَامٌ حَوْلَ جَسَدِهِ رِبْطًا مُحْكَمًا . ثُمَّ  
وَقَفْنَا جَمِيعًا نَتَطَلَّعُ إِلَى الْمَرَكَبِ الَّذِي تَتَقَادَفُهُ الْأَمْوَاجُ كَرِيْشَةٍ فِي  
مَهَبِّ الرِّيحِ . وَكَانَ الرُّجُلَانِ لَا يَزَالَانِ وَاقِفَيْنِ عَلَى مَتْنِهَا .

عِنْدَئِذٍ صَحَّتْ فِي هَامٍ : « لَا تَذْهَبْ . إِنَّ الْمَوْجَ سَيَصْرَعُكَ عَلَى  
الْفُورِ » .

لَكِنَّهُ أَجَابَ قَائِلاً فِي إِصْرَارٍ : « بَلْ سَأَذْهَبُ . يَجِبُ أَنْ أَنْقِذَ  
هَذَيْنِ التَّعِيسَيْنِ » .

وَسُرْعَانَ مَا أُلْقِيَ بِنَفْسِهِ فِي خِضَمِّ الْبَحْرِ ، فِي حِينَ أَمْسَكَ  
بَعْضُ الرُّجَالِ الْوَاقِفِينَ عَلَى الشَّاطِئِ بِالْجَبَلِ . وَلَكِنْ الْأَمْوَاجُ  
الْهَادِرَةُ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ هَاجَمَتِ الْمَرَكَبَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَابْتَلَعَتْ فِي  
جَوْفِهَا أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ . وَعِنْدَئِذٍ أَسْرَعَ الرُّجَالُ بِجَذْبِ الْجَبَلِ وَإِعَادَةِ



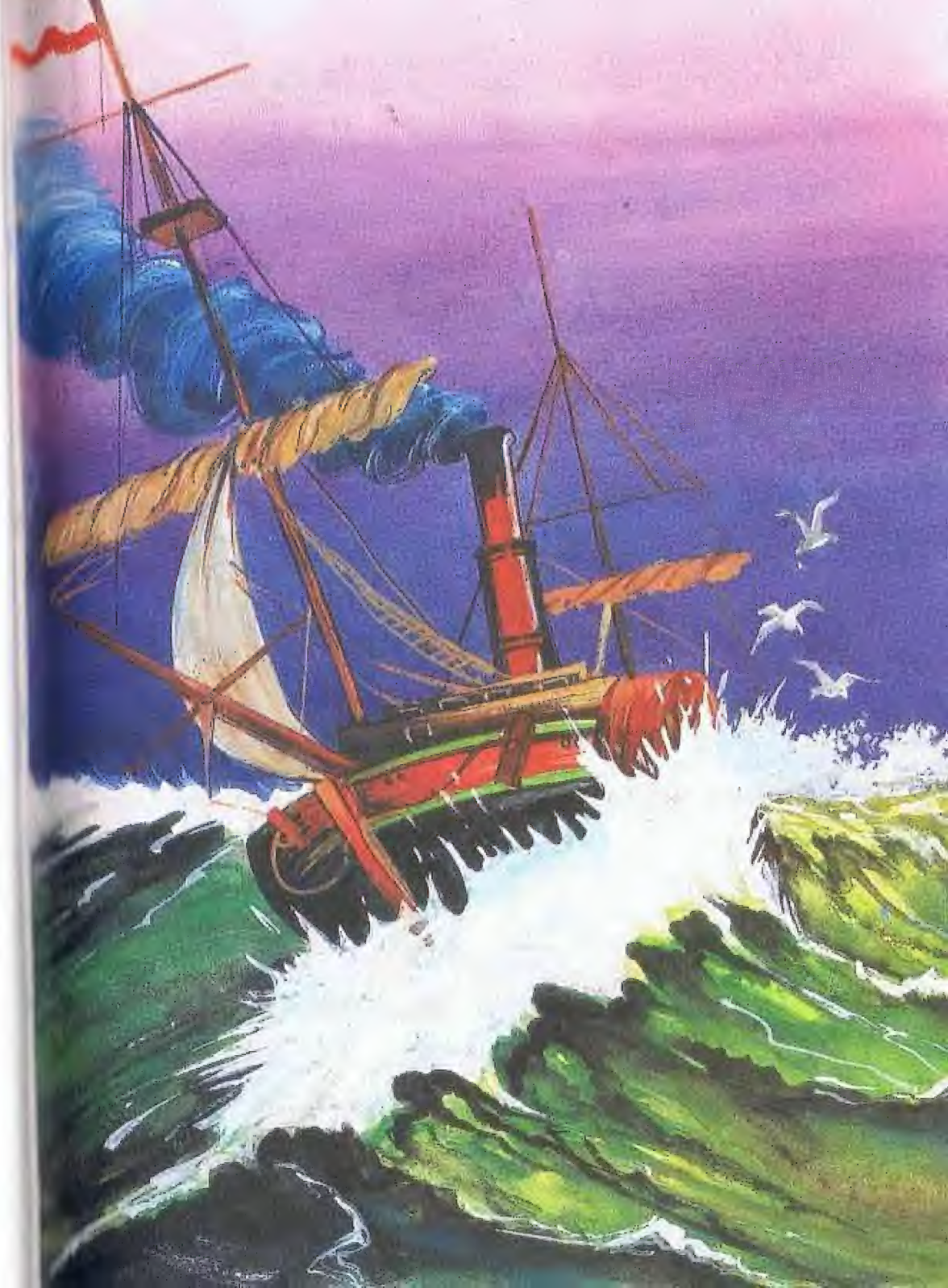
هام إلى الشاطئ .

وصاح هام طالباً مزيداً من الجبال ، فصرخت في وجهه قائلاً :  
« لا تنزل إلى البحر الهائج يا هام ، فسيبتلعك هذه المرة بالتأكيد . »

لكن الرجل الشهم أصر في بسالة نادرة على أن يخوض  
المعركة مع البحر ؛ كي ينقذ حياة آخر رجل يقف في دُعر على  
ظهر المركب .

وألقي البطل بنفسه بين الأمواج المتلاطمة . وكانت الرياح  
الصاخبة ترمجر في عنفٍ فلا تسمع غير عوائها المرعب المخيف .  
ولم أستطع الرؤية بوضوح في خضم العاصفة ، غير أنني أبصرت  
رأس هام تبرز فوق سطح الماء ، وهو يصرع الموج للوصول إلى  
الرجل الواقف على ظهر المركب البعيد ، والذي كان يلوح له  
بقبعته الحمراء الزاهية .

وأخيراً اقترب هام من الرجل ، بيد أن الأمواج العارمة  
المضطخبة ، سرعان ما عاودت الزحف على المركب في شراسة  
بالغة . ولما انحسرت متراجعة ، كانت قد غيبت المركب والرجل  
الواقف فوقه في جوف اليم .





وَتَطْلَعُ الرُّجَالُ الْوَاقِفُونَ عَلَى الشَّاطِئِ إِلَى بَعِيدٍ ، ثُمَّ صَاحَ أَحَدُهُمْ قَائِلًا : « لَقَدْ تَحَطَّمِ الْمَرْكَبُ ، وَلَقِيَ الرَّاكِبُ حَتْفَهُ . هَيَّا اجْذِبُوا هَامَ إِلَى الشَّاطِئِ . »

وَجَذَبَ الرُّجَالُ الْحَبْلَ فِي سُرْعَةٍ بِالْغَةِ ، غَيْرَ أَنَّ هَامَ كَانَ قَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ كَذَلِكَ . لَقَدْ صَرَعَهُ الْبَحْرُ الْهَائِجُ مِثْلَ وَحْشٍ مُفْتَرَسٍ .

وَحَمَلَهُ الرُّجَالُ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَتَوَارَوْا عَنِ الْأَنْظَارِ ، كَانَ الْيَمُّ قَدْ قَذَفَ إِلَى الشَّاطِئِ بِجُثَّةٍ أُخْرَى . وَتَحَلَّقَ بَعْضُ الرُّجَالِ حَوْلَهَا ، ثُمَّ صَاحُوا قَائِلِينَ : « إِنَّهَا جُثَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ عَلَى الْمَرْكَبِ . إِنَّهُ يَقْبِضُ بِيَدِهِ عَلَى قُبْعَتِهِ الْحَمْرَاءِ . »

وَنَظَرْتُ إِلَى الْجُثَّةِ فَإِذَا بِهَا لِرَجُلٍ أَعْرِفُهُ تَمَامًا - كَانَتْ جُثَّةُ صَدِيقِي سْتِيرْفُورْثَ .

وَتَهَالَكْتُ عَلَى الرُّمَالِ مَحْزُونًا ، ثُمَّ انْخَرَطْتُ فِي بُكَاءٍ مَرِيرٍ . لَقَدْ فَقَدْتُ زَوْجَتِي ، وَبَعْدَهَا هَامَ وَسْتِيرْفُورْثَ فِي أَمَدٍ وَجِيزٍ .

بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ ، دَهَبْتُ لِوَدَاعِ أَصْدِقَائِي الْمَسَافِرِينَ إِلَى أَسْتْرَالِيَا . وَوَقَفْتُ بَيْنَهُمْ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، وَمَعِيَ عَمَّتِي بِثْنِي ، وَيِغُوتِي شَقِيقَةُ السَّيِّدِ يِغُوتِي .

كَانَ السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ فِي ذُرْوَةِ الْفَرَحِ وَالْإِبْتِهَاجِ . وَقَالَ لِعَمَّتِي ، بَعْدَ أَنْ قَبَلَ يَدَهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ : « أَشْكُرُكَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي يَا أَنْسَةَ تِرُونُود . سَوْفَ أَعْمَلُ فِي أَسْتْرَالِيَا بِكُلِّ جِدٍّ وَمُثَابَرَةٍ ، لِأَعْدُو رَجُلًا ذَا شَأْنٍ هُنَاكَ . »

وَأَتَتْحَى بِي السَّيِّدُ يِغُوتِي جَانِبًا ، ثُمَّ قَالَ : « هَلْ سَلَّمْتَ الْخِطَابَ لِهَامَ ؟ »

أَجَبْتُهُ كَذِبًا بِأَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّنِي لَمْ أَرِدْ أَنْ أَفْسِدَ سَعَادَتَهُمْ بِالسَّفَرِ . وَسَأَلْتُهُ : « أَتَيْنَ إِمِيلِي ؟ »

أَجَابَنِي مُشِيرًا إِلَى بَعِيدٍ : « إِنَّهَا تَقِفُ هُنَاكَ . »

وَنَظَرْتُ نَحْوَهَا ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً تُمْسِكُ بِيَدِهَا ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ هِيَ مَارْتَا .

وَأَسْتَطَرَدَ السَّيِّدُ يِغُوتِي قَائِلًا : « لَقَدْ رَغِبْتُ مَارْتَا فِي الرُّحِيلِ مَعَنَا لَتَبْدَأَ حَيَاةَ أَفْضَلٍ فِي أَسْتْرَالِيَا . سَوْفَ نَحْيَا جَمِيعًا حَيَاةَ أَفْضَلٍ هُنَاكَ . »

وَشَدَدْتُ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ يِغُوتِي ، وَأَنَا أَقُولُ : « وَدَاعًا ، يَا سَيِّدُ يِغُوتِي ! أَرْجُو أَنْ تَحْمِلَ سَلَامِي وَتَمْنِيَّاتِي الطَّيِّبَةَ إِلَى إِمِيلِي وَمَارْتَا . »



أَجَابَنِي الرَّجُلُ : « سَوْفَ أَفْعَلُ ، وَسَوْفَ أَعُودُ إِلَى إِنِجْلَتْرَا  
لِزِيَارَتِكُمْ يَوْمًا مَا . »

وَعِنْدَمَا تَقَدَّمْتُ إِلَى أُسْرَةِ مِيكَوِيرٍ لِتَوْدِيعِهَا ، بَكَتِ السَّيِّدَةُ  
مِيكَوِيرُ وَهِيَ تُصَافِحُنِي ، وَقَالَتْ : « سَوْفَ أَكْتُبُ لَكَ خِطَابَاتٍ  
كَثِيرَةً مِنْ أَسْتْرَالِيَا ، يَا عَزِيزِي كُوِيرْفِيلْد . »

وَمَا إِنَّ صَافَحْتُ السَّيِّدَ مِيكَوِيرَ حَتَّى صَاحَ أَحَدُ الْمَلَاحِينَ قَائِلًا :  
« اِهْبِطُوا إِلَى الْبَرِّ . سَنَبْحِرُ بَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ . »

غَادَرْتُ السَّفِينَةَ مَعَ عَمَّتِي وَيِغُونِي ، وَلَكِنْ أَبْصَارُنَا ظَلَّتْ مُتَعَلِّقَةً  
بِالْمَرْكَبِ وَهُوَ يَتَبَعِدُ رُويْدًا رُويْدًا ، إِلَى أَنْ اخْتَفَى فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ .

بَعْدَ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ ، وَقَعْتُ فَرِيَسَةً لِكَايَةِ شَدِيدَةٍ ؛ لَقَدْ فَارَقَنِي  
هَؤُلَاءِ الْأَحْبَاءُ ، وَأَنَا فِي مَسِيرِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ ، بَعْدَ أَنْ مَاتَتْ عَنِّي  
زَوْجَتِي ، ثُمَّ سْتِيرْفُورْثُ وَهَام .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ، عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَغَادِرَ إِنِجْلَتْرَا ، وَأَطُوفَ  
بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ الْأَجْنَبِيَّةِ ، لِكَيْ أَفْلِتَ مِنْ قَبْضَةِ أَحْزَانِي ،  
وَأَبْدَأُ بِدَوْرِي حَيَاةً أُخْرَى جَدِيدَةً .

## الفصل السادس عشر

زُرْتُ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ فِي أَوْرُبَا ، وَلَكِنِّي ظَلَلْتُ أُسِيرَ الِهَمِّ  
وَالْحُزْنِ . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ مَرَضْتُ فَأَصْبَحْتُ عاجِزًا عَنْ تَأْلِيفِ  
الْقِصَصِ الَّتِي كُنْتُ أَعْتَزُّمُ كِتَابَتَهَا فِي أَثْنَاءِ الرُّحْلَةِ . وَبَعْدَ  
بِضْعَةِ شُهُورٍ ، وَصَلْتُ إِلَى سويسْرَا ، وَنَزَلْتُ وادِيًا بِالْغِ الرَّوْعَةِ  
وَالْجَمَالِ . وَهُنَاكَ أَبْلَلْتُ مِنْ مَرْضِي ، كَمَا أَخَذْتُ حَالَتِي النَّفْسِيَّةَ  
فِي التَّحَسُّنِ . وَبَدَأْتُ فِي تَأْلِيفِ كِتَابٍ جَدِيدٍ . وَعِنْدَمَا قَرَعْتُ مِنْ  
كِتَابَتِهِ أَرْسَلْتُهُ لِصَدِيقِي تِرَادِلْزِ ، الَّذِي قَامَ بِتَسْوِيقِهِ نِيَابَةً عَنِّي لِأَحَدِ  
النَّاشِرِينَ فِي إِنِجْلَتْرَا ، فَحَصَلْتُ بِذَلِكَ عَلَى مَبْلَغٍ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ  
الْمَالِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ تَلَقَّيْتُ خِطَابًا رَقِيقًا مِنْ أَعْنِيسَ . وَبَعْدَ أَنْ قَرَأْتُهُ عِدَّةَ  
مَرَّاتٍ ، قُلْتُ لِنَفْسِي : « لَا شَكَّ أَنَّكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْغَفْلَةِ  
وَالْحُمُقِ يَا دَافِيد ! هَلْ عَرَفْتَ الْآنَ أَنَّكَ تُحِبُّهَا وَتَهْوَاهَا ؟ لَقَدْ



كُنْتُ تَزْعُمُ مِنْ قَبْلُ أَنَّهَا بِمِثَابَةِ أَخْتِ لَكَ فَحَسْبُ - كما كانت تَزْعُمُ هِيَ أَيْضًا ذَلِكَ .

لَمْ أَكُنْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا قَائِلًا : أَنَا أَحِبُّكَ يَا أَعْنِيسَ ، وَأُرِيدُ الزَّوْاجَ بِكَ . وَلِذَلِكَ فَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى السَّقَرِ إِلَى إِنْجِلْتِرَا فِي الْحَالِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ، بَدَأْتُ رَحْلَةَ الْعُودَةِ . وَوَصَلْتُ إِلَى لَنْدَن فِي يَوْمٍ مُمَطَّرٍ شَدِيدِ الْبُرُودَةِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ سَعِيدًا بِرُؤْيَةِ شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَمَبَانِيهَا مَرَّةً أُخْرَى . وَلَمْ أَلْبَثُ أَنْ تَوَجَّهْتُ إِلَى مَنْزِلِ تِرَادَلِرْ ، وَكَانَ يَسْتَأْجِرُ آنَذَاكَ شَقَّةً تَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثِ عُرُفٍ صَغِيرَةٍ . وَلَكِنْ عِنْدَ صُعُودِي السَّلَمِ ، سَمِعْتُ أَصْوَاتَ عِدَّةِ فَتَيَاتٍ .

وَمَا إِنْ فَتَحَ صَدِيقِي الْبَابَ حَتَّى صَاحَ قَائِلًا فِي ابْتِهَاجٍ شَدِيدٍ :  
« عَزِيزِي كوبرفيلد ! يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةٍ سَعِيدَةٍ ! »

وَتَعَانَقْنَا فِي شَوْقٍ ، ثُمَّ دَلَقْتُ إِلَى الدَّاخِلِ ، فَرَأَيْتُ سَيِّدَةً جَمِيلَةً جَالِسَةً فِي عُرْفَةِ الْجُلُوسِ . وَسُرْعَانَ مَا قَدَّمْ لِي تِرَادَلِرْ السَّيِّدَةَ بِقَوْلِهِ :  
« هَذِهِ هِيَ صُوفِي زَوْجَتِي . لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا أَخِيرًا بِالزَّوْاجِ . وَهِيَ أَنَا ذَا قَدْ عَدَوْتُ ، كَمَا تَرَى ، رَجُلًا سَعِيدًا هَانِي الْبَالِ ! »

قُلْتُ : « وَلَكِنَّكَ لَمْ تُخَيِّرْنِي بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ يَا تِرَادَلِرْ . »

ضَحِكَ صَدِيقِي ، وَقَالَ : « لَا ، لَقَدْ أَثَرْتُ أَنْ أَفَاجِئَكَ بِالنَّبَأِ السَّعِيدِ . »

كَانَتْ صُوفِي فَتَاةً بَارِعَةً الْجَمَالِ . وَكَانَتْ أَخَوَاتُهَا الْأَرْبَعُ يَعِشْنَ مَعَهَا فِي الشَّقَّةِ نَفْسِهَا ، غَيْرَ أَنْ تِرَادَلِرْ كَانَ يَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ فِي شَقَّتِهِ الصَّغِيرَةِ ، رَغْمَ اكْتِظَاطِهَا بِالسُّكَّانِ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ زَوْجَتَهُ كَانَتْ بَارِعَةً فِي إِدَارَةِ شُؤْنِ الْبَيْتِ . وَلَقَدْ قَضَيْتُ مَعَ صَدِيقِي وَزَوْجَتِهِ وَقَرِيبَاتِهَا أَمْسِيَةً مُمْتَنِعَةً قَبْلَ أَنْ أَعُودَ إِلَى مَنْزِلِي فِي الْمَدِينَةِ .

كَانَتْ عَمَّتِي قَدْ عَادَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا الْأَنِيقِ فِي دوفر ، بَعْدَ اسْتِرْجَاعِهَا لِلنُّقُودِ الَّتِي أَوْدَعَتْهَا مَكْتَبُ السَّيِّدِ وَكْفِيلِد . وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِي ، ذَهَبْتُ إِلَى دوفر لِلِقَائِهَا ، حَيْثُ أَطْلَعْتَنِي عَلَى آخِرِ الْأَنْبَاءِ ؛ كَانَ السَّيِّدُ يِغُوتِي وَالسَّيِّدُ مِيكَائِيلُ سَعِيدَيْنِ فِي أَسْتْرَالِيَا ، كَمَا كَانَ الْآخِيرُ يَعْمَلُ فِي جِدِّ وَاجْتِهَادٍ ، وَيُرْسِلُ نُقُودًا إِلَى الْعَمَّةِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ .

سَأَلْتُ عَمَّتِي فِي لَهْفَةٍ : « هَلْ تَزَوَّجْتَ أَعْنِيسَ ؟ »

أَجَابَتْ : « لَا ، وَلَكِنْ قَدْ تَتَزَوَّجُ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ . » ثُمَّ رَمَقْتَنِي بِنَظَرَةٍ غَرِيبَةٍ ، وَهِيَ تَقُولُ : « أَعْنِيسُ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ وَرَقِيقَةٌ ، كَمَا أَنَّهَا ذَاتُ شَخْصِيَّةٍ رَصِينَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ . لَا شَكَّ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْ



الرَّجَالِ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى الْفُوزِ بِهَا .

قُلْتُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْاضْطِرَابِ : « أَعْرِفُ ذَلِكَ . »

نَظَرْتُ إِلَى الْعَمَّةِ نَظْرَةً أُخْرَى ذَاتَ مَغْزَى ، ثُمَّ اسْتَطَرَدْتُ قَائِلَةً :  
« إِنَّهَا لَيْسَتْ جَاهِلَةً وَلَا مُدَلَّةً مِثْلَ كَثِيرِينَ غَيْرِهَا ، كَمَا أَنَّهَا  
لَيْسَتْ حَمَقَاءً مِثْلَ بَعْضِ الْفَتَيَاتِ ، فَبَعْضُهُنَّ يَقَعُ فَرِيسَةً لِلرُّعُونَةِ  
وَالْحُمُقِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

وَسُرْعَانَ مَا غَادَرْتُ دَوْثِرَ قَاصِدًا كَانَتْ بِرِي . وَكَانَتْ أَغْنِيسُ  
بِمُفْرَدِهَا فِي الْمَنْزِلِ . وَاسْتَقْبَلْتَنِي فِي تَرْحَابٍ ، سَائِلَةً : « كَيْفَ  
حَالُكَ ، يَا دَافِيدُ ؟ »

« أَنَا فِي تَمَامِ الصَّحَّةِ وَالسَّعَادَةِ . »

غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ صَادِقًا فِيمَا قُلْتُ ، ثُمَّ أَرَدْتُ قَائِلًا : « أَظُنُّ  
أَنَّ لَدَيْكَ أَخْبَارًا سَارَّةً ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »  
« أَخْبَارٌ سَارَّةٌ ؟ أَيَّةُ أَخْبَارٍ ؟ »

« سَمِعْتُ أَنَّكَ قَدْ تَتَزَوَّجِينَ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ ؛ أَلَيْسَ هَذَا  
خَبْرًا سَارًّا ؟ »

أَجَابَتْ عَلَى الْفُورِ : « لَا ، هَذَا لَيْسَ صَحِيحًا . لَنْ أَتَزَوَّجَ ! فَأَنَا  
لَا أَسْتَطِيعُ الزَّوْاجَ ! »

وَتَسَاقَطَتِ الدُّمُوعُ غَزِيرَةً مِنْ عَيْنَيْهَا ، وَأَرَدْتُ قَائِلَةً فِي حَيَاءٍ :  
« لَا تَنْظُرْ إِلَيَّ هَكَذَا ، فَأَنَا فَتَاةٌ حَمَقَاءُ . »

قُلْتُ فِي دَهْشَةٍ : « مَا خَطْبُكَ يَا عَزِيزَتِي ؟ لِمَاذَا لَا تَسْتَطِيعِينَ  
الزَّوْاجَ ؟ »

أَجَابَتْ بَعْدَ شَيْءٍ مِنَ التَّرَدُّدِ : « لِأَنَّنِي مُتَعَلِّقَةٌ بِرَجُلٍ مَا . »  
« وَلِمَاذَا لَا تَتَزَوَّجِيهِ ؟ »

« لِأَنَّهُ لَا يُبَادِلُنِي الْحُبَّ . »

صَبَحْتُ قَائِلًا فِي انْفِعَالٍ : « وَمَنْ هُوَ هَذَا الْأَبْلَهُ الْغَافِلُ عَنْ  
مَحَاسِنِكَ ؟ »

سَارَتْ مُتَبَعِدَةً ، وَهِيَ تَقُولُ : « لَنْ أَخْبِرَكَ بِاسْمِهِ . لَا ، لَا  
أَسْتَطِيعُ . »

فَقَفَزْتُ فِي إِثْرِهَا ، وَأَمْسَكْتُ بِذِرَاعِهَا قَائِلًا : « أَغْنِيسُ ! أَخْبِرْنِي !  
مَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ ؟ »



نَظَرَتِ الْفَتَاةُ فِي عَيْنِي ، وَقَالَتْ : « إِنَّهُ أَنْتَ ، يَا دَاوِيدَ ! غَيْرَ أَنِّي  
أَسِفَةٌ لِدَلِّكَ . أَعْرِفُ أَنَّكَ تُعَامِلُنِي كَأَخْتٍ ، وَأَنْتَ لَمْ تَتَطَلَّعْ إِلَيَّ  
زَوْجَةً يَوْمًا مَا . »

صَحْتُ فِي جَدَلٍ عَارِمٍ : « وَلَكِنِّي أُرِيدُ الْآنَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي  
أَنْ أَتَزَوَّجَكَ . لَقَدْ كُنْتُ طَائِشًا وَذَاهِلًا عَنْ نَفْسِي فِيمَا مَضَى ،  
وَلَكِنِّي أَفَقْتُ الْآنَ ، وَأَصْبَحْتُ وَاثِقًا بِحَقِيقَةِ مَشَاعِرِي . إِنِّي أَحِبُّكَ  
يَا أَعْنِيسَ ؛ فَهَلْ تُحِبِّينَنِي حَقًّا ؟ وَهَلْ تَقْبَلِينَ زَوْجًا لَكَ ؟ »

أَجَابَتْ فِي صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ ظَاهِرَيْنِ : « لَقَدْ أَحْبَبْتُكَ عَلَى  
الدَّوَامِ يَا دَاوِيدَ ، وَسَاطِلُ أَحِبُّكَ إِلَى الْأَبَدِ . إِنِّي أَقْبَلُ الزَّوْاجَ بِكَ  
بِالتَّأَكِيدِ . »

وَأَقْرَبْتُ مِنْهَا . غَيْرَ أَنَّنِي لَمَحْتُ فِي عَيْنَيْهَا ظِلَالَ هَمٍّ صَامِتٍ  
دَفِينٍ ، فَسَأَلْتُهَا فِي قَلْقٍ وَلَهْفَةٍ : « لِمَاذَا أَنْتِ حَزِينَةٌ ، يَا أَعْنِيسَ ؟ »

« لَسْتُ مَهْمُومَةً يَا دَاوِيدَ ، غَيْرَ أَنَّ دَوْرًا قَدْ طَافَتْ بِخَاطِرِي .  
أَتَذَكَّرُ يَوْمَ اسْتَدْعَيْتَنِي إِلَى عُرْفَتِهَا ، وَهِيَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ ؟ أَنْتَ  
لَا تَعْلَمُ مَاذَا قَالَتْ لِي حِينَئِذٍ ، فَقَدْ أَبْقَيْتَهُ سِرًّا دَفِينًا لَمْ أَفْضِ بِهِ  
لِأَحَدٍ . لَقَدْ طَلَبْتُ مِنِّي أَنْ أَعِدَّهَا بِالزَّوْاجِ مِنْكَ ، وَلَقَدْ وَعَدْتُهَا  
حِينَئِذٍ بِدَلِّكَ ، كَيْ تَرْجِعَ رَوْحُهَا إِلَى السَّمَاءِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . »

قُلْتُ : « هَا قَدْ أَنْ أَوَانُ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ . »

وَتَزَوَّجْتُ بِأَعْنِيسَ فِي غَمْرَةٍ مِنْ أَفْرَاحِ الْأَهْلِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، وَعَلَى  
رَأْسِهِمُ السَّيِّدُ وَكَفِيلِدَ وَعَمَّتِي وَتَرَادِلُزَ . وَأَقَمْنَا فِي لَنْدَنِ حَيْثُ أَنْجَبْنَا  
أَرْبَعَةَ أَطْفَالٍ لِطَافٍ أَصِحَّاءَ .

وَفِي يَوْمٍ هَبَطَ عَلَيْنَا ضَيْفٌ عَزِيزٌ غَالٍ . لَقَدْ أَتَى السَّيِّدُ بِيغُوتِي مِنْ  
أُسْتْرَالِيَا عَلَى جَنَاحِ الشُّوقِ لِيُزَوِّرَ أَسْرَتَنَا السَّعِيدَةَ ، وَيَرَى صِغَارَنَا  
الْأَرْبَعَةَ .

وَسَأَلْنَاهُ عَنْ إِمِيلِي ، فَقَالَ : « لَقَدْ عَزَفَتْ إِمِيلِي عَنِ الزَّوْاجِ ،  
وَنَذَرَتْ نَفْسَهَا لِخِدْمَةِ الْآخَرِينَ ، وَهِيَ سَعِيدَةٌ بِذَلِكَ . »

« وَمَارْتَا ؟ »

« لَقَدْ تَزَوَّجَتْ مَارْتَا بِشَابٍ طَيِّبٍ ، وَهُمَا يَعِيشَانِ مَعًا فِي وِثَامٍ . »

« وَالسَّيِّدَةُ غَمِيدُجُ ؟ »

هَزَّ بِيغُوتِي رَأْسُهُ الَّذِي اسْتَعْلَ شَيْبًا ، ثُمَّ ضَحِكَ قَائِلًا :  
« السَّيِّدَةُ غَمِيدُجُ لَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدُ . لَقَدْ تَقَدَّمَ لَهَا رَجُلٌ فِي الْخَمْسِينَ  
مِنَ الْعُمُرِ ، وَلَكِنَّهَا أَثَرَتِ التَّفَرُّغَ لِرِعَايَةِ شُؤْنِي الْخَاصَّةِ . عَلَى أَنَّهَا  
كَفَتْ عَنِ الْحُزَنِ وَالتَّدْمُرِ مُنْذُ أَنْ هَبَطْتُ أَسْتْرَالِيَا . وَنَحْنُ سَعْدَاءُ »



جَمِيعاً بِالْحَيَاةِ هُنَاكَ .

« وَالسَّيِّدُ مِيكَائِيلُ ؟ ماذا حَدَّثَ لَهُ فِي الْوَطَنِ الْجَدِيدِ ؟ »

« آه ! لَقَدْ تَحَوَّلَ بِدَوْرِهِ إِلَى إِنْسَانٍ جَدِيدٍ هُنَاكَ ، وَعَدَا بِجَدِّهِ  
وَاجْتِهَادِهِ مِنْ رِجَالِ الْأَعْمَالِ الْبَارِزِينَ ، كَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ ثَرَوَةً  
طَائِلَةً فِي زَمَنِ وَجِيزٍ . »

وَأَخْرَجَ السَّيِّدُ بِيغُوتِي مِنْ جَيْبِهِ خِطَاباً أَرْسَلَهُ السَّيِّدُ مِيكَائِيلُ .  
وَكَانَ خِطَاباً رَقِيقاً يَنْضَحُ بِالْوَدِّ وَالْعِرْفَانِ ، وَيَنْمُ عَنْ سَعَادَةِ عَائِلَتِهِ  
وَسَعَادَتِهِ فِي الْوَطَنِ الْجَدِيدِ .

وَأَخِيرًا رَزَقَنَا اللَّهُ بِطِفْلَةٍ جَمِيلَةٍ أَسْمَيْنَاهَا « دُورَا » ؛ فَأَصْبَحَ لَدَيْنَا  
بِذَلِكَ خَمْسَةُ أَطْفَالٍ . وَأَتَتْ بِيغُوتِي - خَادِمَتُنَا الْقَدِيمَةُ - مِنْ  
يَارْمُوثَ لِتَقِيمَ مَعَنَا فِي لَنْدُنَ ، وَتَرْعَى أَطْفَالَنَا الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهَا  
كُلُّ الْحُبِّ .

أَمَّا عَمَّتِي بَيْسِي ، فَقَدْ سَعِدَتْ بِمَجِيءِ حَفِيدَتِهَا الْجَدِيدَةِ  
الصَّغِيرَةِ أَيُّهَا سَعَادَةٍ . لَقَدْ تَلَاشَتْ كَرَاهِيَّتَهَا لِلْفَتَيَاتِ ، بَعْدَ مُرُورِ  
هَذِهِ السَّنَوَاتِ الطَّوَالِ .

وَالْآنَ ، وَبَعْدَ قَضَاءِ الْيَوْمِ فِي عَمَلٍ دَائِبٍ ، هَا أَنَا ذَا أَسْجُلُ

لَكُمْ السُّطُورَ الْأَخِيرَةَ مِنْ قِصَّةِ حَيَاتِي . لَقَدْ تَجَاوَزَ الْوَقْتُ مُنْتَصَفَ  
الَّيْلِ ، وَلَكِنَّهَا مَا زَالَتْ جَالِسَةً فِي مَقْعَدِهَا أَمَامِي ، تَسْهَرُ كَعَادَتِهَا  
إِلَى جَانِبِي حَتَّى أَنَامَ . وَعِنْدَمَا أَتَطَلَّعُ إِلَى عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَتَيْنِ  
الصَّافِيَتَيْنِ ، وَيَسْطَعُ وَجْهُهَا الصَّبُوحُ الْهَادِئُ بِابْتِسَامَتِهَا الْحُلْوَةِ  
الْمُشْرِقَةِ ، يُنْفَضُ عَنِّي غُبَارُ النَّصَبِ وَالْكَلالِ ، وَتَغْمُرُنِي سَكِينَةُ النَّفْسِ  
وَرَاحَةُ الْبَالِ . تِلْكَمُ هِيَ أَغْنِيسُ زَوْجَتِي الْحَبِيبَةُ الرَّقِيقَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَالَّتِي  
عَدَوْتُ بِفَضْلِهَا مُؤَلِّفًا مَشْهُورًا .



## الروايات المشهورة

- |                      |                           |
|----------------------|---------------------------|
| ٩ - الرجل الخفي      | ١ - جين إير               |
| ١٠ - الزمن العصيب    | ٢ - فرانكنشتاين           |
| ١١ - الزنبقة السوداء | ٣ - مونفليت               |
| ١٢ - الأمير و الفقير | ٤ - دراكولا               |
| ١٣ - سايلاس مارثر    | ٥ - لورنا دون             |
| ١٤ - الوادي الغاضب   | ٦ - دكتور جيكل ومستر هايد |
| ١٥ - أوليفر تويست    | ٧ - شي الملكة الأسطورة    |
| ١٦ - دافيد كويرفيلد  | ٨ - كونت مونت كريستو      |



مَكْتَبَةُ لُبْنَان  
سَاحَةُ رِيَّاضِ الصَّلَح - بَیروت

01 C 198116

رقم الكمبيوتر